شاهد على اليمن

أشياء من الذاكرة



حمد جابر عفيف

2000 م

بسم الله الرحمن الرحيم

شاهد على اليمن

أشياء من الذاكرة

شاهد على اليمن

أشياء من الذاكرة

أحمد جابر عفيف

صنعاء
2000

الطبعة الأولى
2000

صنعاء – الجمهورية اليمنية
ص.ب : 12484 – هاتف : 260334
تلفاكس: 240148
بريد إلكتروني : alafif@y.net.ye

Sana'a - Republic of Yemen
P.O. Box: 12484 - Tel. 260334
Tel. & Fax: 240148
http://www.yemconsultant.com/alafif

الإهداء

إلى المؤمنين بالحرية

والديموقراطية

عملاً لا قولاً

محتويات الكتاب

العفيف شاهداً على اليمن

نادراً ما يتاح للمرء منا أن يقترب من شخصية كبيرة لها حضور ولها فاعلية في حياة الأمة.

وأكثر الناس يكتفون بمتابعة حياة رجالاتهم النابهين من بعيد.. قانعين بتلقي عطاءاتهم وخدماتهم.. حتى ليبدو لهم وكأن من الطبيعي أن يكون هذا الرجل على هذه الشاكلة. وله هذا التأثير والنفاذ في صميم حياتهم.. وعلى صفحات التاريخ فيما بعد..

ولكن...

ماذا لو اقتربنا من أحد هؤلاء الرواد..؟

ماذا لو حاولنا سبر أغواره.. ورؤية الجانب الآخر.. من هذا القمر الذي يضيء ليلنا..؟

ماذا.. لو أردنا لهذا الكبير أن يسفر عن صغائره..؟

لو قلنا لصاحب الحياة العامة.. والدور الوطني.. ورجل التربية: نريد أيضاً معرفة خصوصياتك؟.. ونريد معرفة خفايا كبائر الأمور.. وما دار في الكواليس..؟

لا شك أننا في حال استجابته.. سنكون أمام أبواب تنفتح على الدهشة.. فتثير من الفضول وحب الاستطلاع بمقدار ما تثير من الرهبة إزاء رحلة عصامية حافلة بالآلام والمتاعب.. كما هي حافلة بالنجاحات والنتائج المثمرة.. وكذلك بالعلاقات المتشابكة والتداخلات المؤثرة..

إن ارتباطنا بالأستاذ / أحمد جابر عفيف واقترابنا اللصيق منه لفترة من الزمن، كان دافعنا الأساس لخوض مثل هذه المغامرة.. فقد كنا نعرف الرجل شخصية مشهورة بإسهاماتها في الحركة الوطنية، والعمل التربوي والدبلوماسي، وعرفناه رجل الموسوعة اليمنية، ومؤسسة العفيف الثقافية، وغيرها وكنا نقدر ذلك ونكبره فيه.

بيد أن اقترابنا منه وتعّرفه إلينا.. وما أبداه من اهتمام بالغ بنا وتبنٍ لتطلعاتنا.. ثم ما أسبغه من رعايته علينا.. فتح أعيننا على جوانب أخرى وقضايا متنوعة هي من صميم اهتمامات الرجل..

وعندما كنا نناقشه ونحاوره بين الحين والآخر.. كنا نسمع منه ما يغري بالإثبات والتسجيل.. ومع مرور الوقت وتواصل الحوار الذي صار يومياً لا يكاد ينقطع، وجدنا أن ما يجمعنا بالرجل أكبر مما يمكن أن تعبر عنه الكلمات..

فإلى جانب الانسجام الثقافي.. والتطلعات الإنسانية، واتساع مدى الألفة والحميمية بيننا نحن الثلاثة وهذا الإنسان الذي وجدنا فيه الأب والأخ والصديق.. بدأنا نكتشف بالفعل مفاتيح وأسرار نجاح..هذا الرجل ..فقد عرفنا

النظام الدقيق، والتفكير المتزن والمنطقية العقلانية.. التي لا تحول دون التدفق العاطفي.. إزاء المواقف الإنسانية التي يبدو فيها نبيلاً في غاية النبل والسمو..

ولابد لمن يعرف العفيف عن قرب أن تساوره فكرة.. بل الأحرى أن نقول: إنه سؤال مؤداه: " هل يعقل أن يكون هذا الرجل من ذلك الجيل القديم الذي جاوز السبعين..؟ ".

يساورك هذا السؤال وأنت أمام رجل فيه كل شروط العصرنة والاستنارة.. عينه على الإنجازات الإيجابية حيثما أبدعها الإنسان.. وقلبه على الوطن، يريد له أن يصل إلى ما وصل إليه الآخرون، وكل وقته مسخر لتنفيذ مشروعه الوطني الإنساني.. من أجل بناء يمن ينافس القمم.. وإنسان يمتلك المبادئ الموصلة إلى النجاح.. ومؤسسات تعتمد على الأساليب المتقدمة في فعلها الثقافي والتنموي والإبداعي.. ويبذل في كل ذلك من الجهد والعرق والمال ما يجعلك تقف له تحية وإجلالاً..

ومن المسلّم به أنَّ في العظمة عقلاً يعرف به العظيم حاجة عصره.. وعزماً يمضي به في إبلاغ إرادة العصر، فقدرة الفرد على أن يصوغ إرادة عصره.. وأن يعبر عنها.. وأن يجعلها حقيقة واقعة هي الجوهر الحقيقي للعظمة والبطولة في مدلولها.. كما يقول (كارليل).

ولذلك فإننا نؤمن أن العظمة شيء يجب أن ينطوي على موهبة أو مقدرة فوق العادة.. ومع ذلك فهي ليست مجرد حظ طيب، ولكنها آثار ميمونة قام بها ذلك الشخص، وميزات أبداها أثناء تأدية دوره في الحياة، إنه شخص يترك طابع شخصيته الإيجابي في ضمير الأمة وتاريخها.

ومن هنا تبدى لنا واضحاً أن حياة الأستاذ لم تؤخذ – حتى الآن – كما

كان ينبغي لها أن تؤخذ.. أو كما هي فعلاً.. بمعنى أنها لم تقدم تقديماً يناسب حجم الإنجاز..

ولما كان الرجل قد دأب في نقاشاتنا وحواراتنا معه على الحديث عن أفعال العمر، وتأثير الزمن في الإنسان.. حتى صرنا نسمع منه هواجس عن الرحيل تخيفنا، وتثير الأسى في نفوسنا فإذا ما أبدينا له ألمنا من ذلك الكلام.. أجابنا هادئاً، راضياً، مطمئن القلب والضمير:

إن هذا هو المصير اليقين.. وإن تقدم السن هو الإنذار..!!

ولذلك فقد قررنا بفهم واستبصار، وبعيداً عن المبالغة والانفعال.. أن نفاتحه حول ذكرياته وأشيائه الغائرة في الزمن.. الطفولة، والتكوين، الشباب والكهولة..

- كيف عاش الآباء والأجداد..؟

- وكيف هي صورة العصر الحقيقية في شهادة أحد أبنائه الحقيقيين..؟

وكنا ندرك جيداً.. أن عملاً كهذا سيضع بين يدي المعاصرين والقادمين من بعد تجربة مثيرة.. وقدوة مؤثرة ودروساً مفيدة.

كما أنه سيهتك الحجب عن كثير من الخبايا والخفايا في حياة الرجل وفي محيطه.. ووطنه. فهو رجلٌ امتزجت حياته الخاصة بحياة وطنه.. وعرف الكثير مما لم يقل بعد..

ليكن..

فقد دفعنا الاقتناع بضرورة أن يقول الأستاذ كل شيء.. إلى عرض الموضوع عليه.. ورغم إبدائه بعض التحفظات فيما يختص بأسلوب العمل والتنفيذ، وبعض الأمور الإجرائية.. إلا أنه في النهاية أبدى موافقته

واستعداده.. لخوض غمار هذه التجربة كواجب وطني وإنساني وكرسالة للجميع.. وقادنا ذلك إلى نقاش مستفيض حول الطريقة أو الأسلوب الذي لابد أن ينفذ به هذا العمل.. توخياً للدقة والنجاح من جهة.. ولكسب الوقت من جهة أخرى..

وفي النهاية اتفقنا جميعاً على أن يتم تقسيم حياة الأستاذ إلى مراحل.. وأن يقوم هو بتسجيل ذكرياته على أشرطة كاسيت على انفراد.. وبعد الانتهاء من التسجيل نفرغ نحن الأشرطة تفريغاً أميناً يحافظ على نفسه وأسلوبه وأفكاره ومعانيه، فلا نتدخل إلا إذا كان هناك ما يوجب التدخل إجرائياً..

وراح الأستاذ وفي أوقات مختلفة يسجل.. شريطاً ثم يتبعه بثان.. ثم ثالث.. حتى توفرت لديه مجموعة أشرطة، أعاد هو بنفسه الاستماع إليها.. ومراجعتها.. وكان متردداً إزاء أشياء كثيرة.. ثم في الأخير وتحت إلحاحنا قدم إلينا مجموعة الأشرطة قائلاً: هذه هي حصيلتي..

وتحت نظر الأستاذ ومتابعته بدأنا نفرغ الأشرطة، وهو يشرف على مراجعة المادة أولاً بأول.. شريطاً.. شريطاً.. مطلقاً لقلمه العنان.. على الصفحات التي أفرغنا فيها الأشرطة، فراجعنا معاً (هو ونحن) ضبط التواريخ والأسماء واللغة.. ثم قرر الأستاذ الاحتفاظ بنسختين من الأشرطة التي سجل عليها ذكرياته (وهي حصيلة هذه الذكريات).. نسخة احتفظ بها في بيته، وأخرى في مؤسسة العفيف الثقافية.. لتكون مرجعاً لمن يحب أن يطلع عليها..

وكان لابد من استكمال استقطار ذاكرة الأستاذ بهذا الحوار الذي أجريناه معه، ثم أيضاً دعم الكتاب، بالملاحق والوثائق والصور وشهادات الأصدقاء.

وهكذا يكون الكتاب نقلاً أميناً لما سجله الأستاذ على مجموعة الأشرطة

المحفوظة كما أسلفنا.. مضافاً إليه نص حوارنا معه ثم الملاحق المتضمنة لوثائقه وصوره وشهادات أصدقائه له..

وأخيراً..

أيها القارئ العزيز.. هانحن نضع بين يديك ثمرة أكثر من ستين عاماً.. من التجارب والخبرات.. من التميز والإنجاز..

نضع بين يديك شهادة صادقة على العصر وحياة رجل بأمة كاملة..

عادل محمد قائد، علوان مهدي الجيلاني، وجدي الأهدل.

صنعاء ١٩٩٩م.

تمهيد

منذ مدة شريكة حياتي وأبنائي وبناتي يطرحون عليّ فكرة جمع ما أحكيه لهم وما يعيشونه معي من مواقف وطرائف وأخبار وأحداث، وذلك في كتاب لا يتقيد بسيرتي الشخصية المتواضعة فحسب، وإنما ينفتح على سيرة الوطن بأكمله.. كنت أستمع إلى رغبتهم التي دافعها المحبة والاعتزاز، ولا أعلّق، ذلك أن من عادتي أن أفكر ملياً قبل إبداء رأيي في أي شيء مهما يكن.

وفي تداول نقاش وحوار استمر فترة من الزمن بيني وبين أبنائي عادل محمد قائد، علوان مهدي الجيلاني، وجدي الأهدل، أبدى هؤلاء الأبناء رغبتهم الملحة عليّ في كتابة ما عشته وعاصرته من أحداث جسام مرت ببلادنا الحبيبة، وعن حياتي التي تمتد على مدى ثلثي هذا القرن، الذي شهد خروج اليمن من ظلام القرون الوسطى إلى أنوار الحضارة الحديثة.

كانت هذه بادرة منهم، بسبب ما كنت أحكيه لهم ولأمثالهم من الشباب من حكايات الطفولة والشباب، ومراحل العمر إلى اليوم، كأمثلة وشواهد على حياة اعتصرتها اعتصاراً من أنياب الظلم والجهل والفقر، ممسكاً بمصيري بكلتا يدي، محاولاً أن أشكل حياتي كما أردت لها أن تكون، لا أن تشكلني هي فتسحقني في دوامتها التي لا ترحم المتقاعسين..

(حياتي) التي خلقتها خلقاً بالنضال والإرادة والمقاومة..

كنت أرى الكثير من الشباب يتأثرون بمنهجي في الحياة ويرونه قدوة لهم. والثلاثة الذين ذكرتهم في البداية، كانوا أكثر رغبة وإصراراً في الطلب، أحدهم يرغب أن أكتب ذلك، والثاني يرى إجراء حوار (يوجهون إليّ الأسئلة وأتولى الإجابة عليها)، وثالثهم يرى ترك الأمر لي شخصياً.

وفكرت كثيراً، أولاً استجابة لرغبتهم، وثانياً كان عندي شعور بأنه من حق هذا الجيل أن يسأل وأن أجيب.. وعادت بي الذاكرة إلى ما قبل ستين عاماً أو أكثر.. كيف؟.. وما هو المردود من هذه الذكريات؟.. وكلما فكرت في إخراجها إلى حيز الوجود زاد يقيني بأنها قد تفيد الكثير من الشباب الطامح والرافض لسكونية المجتمع.

وطرحت أمام نفسي الخيارات المتعددة.. الكتابة وجدتها صعبة، الحوار أو الرد على الأسئلة أيضاً صعب، بل يحتاج إلى زمن طويل وطويل.. ومن يدري..؟

وإذن فإن الأقرب وربما الأسهل عليّ هو التسجيل بالصوت.

وفعلاً، أحضرت مجموعة من أشرطة كاسيت مع المسجل، وبدأت استحضر وأنبش داخل مخزون الذاكرة ما علق بها وما تبقى من ذكريات بعضها قريب وبعضها يمتد لأكثر من ستين عاماً. وبدأت أكتب عناوين الذكريات، وبمجرد ذكر حادث ما، أكتبه في دفتر أمامي في سطر أو سطرين أو ثلاثة على الأكثر (رؤوس الحدث)، وهكذا ملأت أكثر من خمسين ورقة (حجم متوسط) ذكرت فيها رفقاء حياتي منذ الصغر، مروراً بزملاء الدراسة وبأصدقائي إلى يومنا هذا، اهتممت بالدرجة الأولى بالأحداث وما كانت تعيشه البلاد.

وعرضت ما فعلته على الشباب الثلاثة الذين يلازمونني يومياً لساعات طويلة، وإذا بهم يشجعونني أكثر، ويدفعون بي إلى تحقيق هذه الرغبة.

وصدمت عندما بدأت بالتنفيذ.. ذلك أن (موضوعاً ما) أردت تسجيله، فوجئت بضياع تفاصيله من ذاكرتي جراء تداعي الذكريات والاستطراد.. ورجعت أفكر مرة تلو أخرى حتى اقتنعت بأنه قبل الإقدام على التسجيل لابد أن أستحضر الموضوع (بداية - وسط - نهاية) فكنت أمكث أحياناً ساعة كاملة حتى تنضج الفكرة نضوجاً كاملاً. وكنت أحياناً أشعر بالتعب والإرهاق، وكنت أضع أمامي الموضوع (أي موضوع) وبجانبه الصدق مع النفس، وعدم المبالغة، وتسجيله بصورة تلقائية وعفوية.

وبدأت أدير شريط التسجيل وأتحدث لمدة نصف ساعة أو أكثر، وأسترجع بعض الجمل والعبارات بغرض التصحيح ليس إلا، وهكذا بدأنا العمل في هذا الكتاب.

واكتشفت أنه عندما يعود رجل في مثل سني إلى الوراء، فإن رحلته تتحول إلى رحلة اكتشاف مثيرة تتردد في أصداء الماضي..

وهي تجارب إنسانية ثرية بأيامها الحلوة والمرة على حد سواء، لابد من التعبير عنها بوعي كامل بعد أن انقضت كل تلك السنوات..

إنني، وقد تجاوزت السبعين من عمري، أنظر إلى الوراء فأرى مراحل حياتي وتجاربها ممتزجة ومنصهرة في تاريخ بلادي صعوداً وهبوطاً، فرحاً وغماً، فشعرت شعوراً واضحاً بأنني لن أكون صادقاً مع نفسي إلا إذا تقصيت بعض الأشياء من وقائع حياتي، لأقدمها لأبناء وطني، شهادة على عصري لأبنائي في المستقبل، لعلهم يستقون طرفاً من الحقيقة ويلمون بملامح حياة شعبنا في هذا القرن الذي آذن بالرحيل..

وربما يلاحظ بعض المهتمين أن ثمة أحداثاً ووقائع ليست بذات أهمية،

لكنـــي أردت أن أسترســـل بتلقائيـــة وعفويـــة، محـــاولاً الإمســـاك بشـــتات الذكريات، متتبعاً متعة هذا الإحساس الجديد، الذي يربط في وحدة متكاملـة طفولتي بشبابي مع كهولتي وصولاً إلى الحاضر الـــذي أعيشـه، حيث يلتحـم الحاضر بالماضي، والزمان بالمكان..

وسيجد القارئ (والباحث خاصة) أن هذا السرد التلقائي هـو مـا يعكـس وجـه الأوضـاع الـتي كـانت سـائدة في بـلادي.. وعلـى مسـتويات متنوعـة ومبعثرة هنا وهناك، فحياة أسرتي هي حياة الغالبيـــة العظمـي مـن المواطنـين، حيث الجهل والمرض والفقر، وكل ما لاقته أسرتي هو عينه مـا كـان يعيشـه أبناء وطني إلا ماندر.

ثم تابعت الرحلة تمشياً مع اقتناعي حول ماحدث قبل وبعد ثـورة سـبتمبر المجيدة ١٩٦٢م، مروراً ببعض المحطات المتنوعة من هنا وهناك، حيث تتلاقـى أو تتباعد بعض الأحداث، كل يراها من زاويته.

وقد أكون مصيباً أو غـير موفـق، ومـن حـق مـن لـه رأي آخـر أن يقولـه بصراحة وموضوعية، وهدفنا جميعاً هو البحث عن الحقيقة.

لقد حاولت جهدي أن يكـون هـذا الكتـاب صـورة تعكـس مـن وجهـة نظري الأحوال والأوضاع ونمط الحيـاة الـتي عاشـها شـعبنا اليمـني في القـرن العشرين.

أحمد جابر عفيف

صنعاء ٢٠٠٠

الفصل الأول

أشياء غائرة

خيوط البداية

١ - المجيء

- اسمي أحمد جابر عفيف.

- من مواليد مدينة بيت الفقيه.. محافظة الحديدة.

هل أقول إن عام ١٩٢٨م كان عام إطلالتي على الحياة؟ لن أكون دقيقاً لو قلت ذلك واطمأننتُ له، ذلك أنني ولدتُ في بيئةٍ لا يعرفُ أغلبُ أبنائِها ما يُسمى بشهادةِ الميلاد، وكان التاريخُ لولادةٍ أو موت يقتصر على بيوتٍ فقهيّةٍ يتوفر لها حظٌ من العلم والمعرفة إلى حدٍ ما، أما أنا فقد ولدت لأبوين فقيرين [١]، فلم يكن أبي يعرفُ القراءة والكتابة، ولا أمي أيضاً يرحمهما الله.

كانت الأمية هي الطاغية في اليمن، ونادرٌ جداً من تجده يقرأ ويكتب، ونادر جداً جداً من تعلم الفقه، كنا في معزلٍ عن العالم لا نعرف شيئاً حتى إنّ العزلة كانت موجودة بين القرية والقرية وبين المدينة والمدينة، وذلك

---

(١) الفقر هنا لا يعني العدم، فالناس يعيشون حياة عادية فالشريحة الوسطى هي الممتدة على الخارطة اليمنية.

بسبب الجهل السافر والفقر المدقع، وانعدام المواصلات، مما جعل حياة النـاس تتّسِم بالتقوقع على الذات، والقناعة من العيش بذلك المستوى الذي يقنع فيه المرء بمجرد أن يبقى حيّاً. وهكذا كانت الحياة في اليمن عزلة كاملة حتى إنني أتذكر أن الأحداث الكبـيرة في العـالم – كـالحرب العالميـة الثانيـة (١٩٣٨– ١٩٤٥م) مثلاً – كان اليمنيون لا يعرفون عنهـا شيئاً، إذ لم يوجـد الراديـو ولا الصحف ولا الكتب ولا شيء من هذا آنذاك، إلا عند الإمام يحيى وأمثاله.

وعلى ذلك فإن عام ١٩٢٨م هو التاريخ التقديري لميلادي هكذا احتسبته احتساباً تقديرياً، ولي في ذلك أسباب اعتمدت عليها، فذكريـاتي عـن الغـزو السعودي عام (١٩٣٤م) مثلاً هي ذكريات طفلٍ في السادسة أو السابعة مـن عمره.

ولدت كما قلتُ في مدينةِ بيت الفقيه، وكانت في تلك الفترة توجد بعض المدارس أو الكتاتيب في المدن الصغيرة ومنها مدينة بيت الفقيـه، وفي المعلامـة " الكتاب " كان حظي أن درست المرحلة الابتدائية، أو ما يمكـن أن نسـميه هكذا.. وكانت حياتي الأولى في كنف أبي وأمي يرحمهما الله.

كان أبي رجلاً عادياً وهـو مـن سـكان بيـت الفقيـه الأصليـين، أمـا أمـي فكانت من منطقة ريمه، وكان زواج رجلٍ من منطقةٍ مـا بـامرأة مـن منطقـة أخرى في ذلك الوقت، ليس من الأمور المعروفة جداً على نحو ما هو حـاصل اليوم، فقد جمعـت الحيـاة الجديـدة بـين المتبـاعدين وكـان لانحيـاز النـاس إلى سكنى المدن التي تجمع مواطنـين مـن منـاطق مختلفـة، وكذلـك كـان لوجـود الجامعات دور أكبر فصار شيئاً عادياً أن يتزاوج الناس من مناطق مختلفة.

لست أدري الآن كيف التقى أبي بأمي، وكيف تم زواجهمـا، و لم أسـأل

عن ذلك عندما كنت صغيراً، لأنه كان من الصعب جداً أن يفاتح الطفل أباه أو أمه حول أشياء كهذه، وقد يكون انعدام معرفتي بظرف زواجهما عائداً إلى كوني في تلك السن لم أكن ميالاً إلى الانشغال بمثل هذه الأمور، فقد كانت حياتي الأولى تتسم بميلٍ شغوفٍ إلى التأمُّل والحيرة، ومرت بعدها فترة صوفية، كنت أحفظ القرآن مرتلاً، وأتصور الله تصوراتٍ مخيفة فأبكي أحياناً حتى الإغماء.. وكل ذلك كان ولما أبلغ العاشرة من عمري..

كان والدي وأمي آمنة، وأختي فاطمة رحمة الله عليهم يرعونني رعايةً كاملة، وكنت طيعاً إلى حدّ الغرابة، فكل ما كان جارياً في المدينة من الخلافات الأسرية، وحتى في بيتنا لم يكن مما يستثيرني كنت أختلف عن الآخرين، ميالاً إلى الهدوء والابتعاد، وكان عندي نزوع إلى نوع من العزلة النفسية والفكرية إن جاز التعبير، أقضي الساعات في المزارع المجاورة، وأسبح في مجاري مياه الأمطار الغزيرة، وأتذكر أن السيول كانت تتدفق فتهدم البيوت وتُشاهدُ البرك الكبيرة شمال وغرب المدينة.

٢- الصدمة:

كنت - كما سبق أن قلت في الخيط الأول - طيعاً إلى حد الغرابة، فكل ما كان يدور في المدينة من الخلافات الأسرية، وحتى في بيتنا لم يكن مما يستثيرني.. ولكن الذي استثارني هو طلاق أمي من أبي.. ثم زواجها من شخصٍ آخر وغيابها عنّا نهائياً.. وكما أنني لا أعرف كيف التقى أبي بأمي، ولا كيف تم زواجهما.. فإنني أيضاً لم أعرف.. ما الذي حدث بين أمي وأبي، ولا أسباب طلاقهما؟.. أتذكر - الآن - أن أمي كانت كثيرة الكلام - رحمها الله - أما أبي فكان رجلاً متواضعاً.. طيباً وعطوفاً.. إلى أبعد الحدود..

غابت أمي وبقيت في كنف أبي، فكنت أعيش عيشة طفلٍ ينظرُ بعينٍ مختلفةٍ إلى ما ينظر إليه زملاؤه.

وفي هذه الفترة بدأ عمي (شقيق والدي) رحمه الله، يكسب من اشتغاله في التجارة، وبسبب بخله وجشعه صار يضايق والدي بطرق مختلفة لإخراجنا من المنزل، لكي يتوسع.. وظل عمي يلح في مضايقة أبي حتى.. اضطر أبي في النهاية إلى استئجار بيت آخر بعيداً عنه.. وعندما كبر أخي عبدالله رحمه الله، صار يناوش عمي ويؤذيه بكل الوسائل.. فكان عمي يجيء إليّ شاكياً ومتوسلاً.. أن أحل مشكلته مع أخي بأي طريقةٍ كانت..!

ولعل طلاق أمي من أبي.. ثم سلوك عمي تجاه أبي قد ساهما في توطيد ميلي إلى العزلة.. وإن كنت غير قادر على تأكيد ذلك بشكل نهائي، ولكنني بالفعل صرت أعيش أكثر أوقاتي منفرداً، وكان زملائي وأصدقائي محدودين جداً، حيث كانت سعادتي بالعزلة والانفراد، وكان إيماني بالله وفزعي من جهنم يبعدني عن الناس وعن أسرتي أيضاً.. وفي مقابل ذلك تلقيت عناية فائقة من أبي وأختي..

ولكن حبهما لم يكن يعدو الحنان والعطف.

٣- المعيشة:

كانت حياة الناس بسيطةً.. إلى حدّ أن القناعة كانت هي الأصل في كلّ شيء، وكانت معيشتنا عاديّة لأنّ الحياة كانت بسيطة جداً - كما قلت - فالناس يأكلون من الطعام ما يشبع البطن، وهذا الطعام يكون غالباً بسيطاً من نوع واحدٍ أو نوعين، وغالباً ما يكون (الكِدْرُ) المصنوع من الذرة أو الدخن.. ومعه اللبن الحليب أو الرائب، فإذا كان هناك إدامٌ من خضرةٍ، أو سمنٍ، أو زيت السّمسم.. فذلك منتهى الطلب.

ومع ذلك فقد كان الأكل في متناول كلّ إنسان، حيث كنّا نملأ بطوننا

بأي طعام موجود، وكان والدي رحمه الله يعمل لأكلنا.. دون أن يبقى له ما يوفره.. لوقت الحاجة.. أو الأمور الطارئة، وأتذكر أنه كان إذا جاء العيد، يستدين بضع ريالاتٍ - مثلاً - لشراء ملابس العيد.. وكنت أنا وأختي لا ننام من فرحتنا بالثوب الجديد..

٤- الدراسة:

في معلامةٍ (كتاب) من معلامات بيت الفقيه كانت دراستي الأولى.. وأذكر أن دراستي كانت نموذجية في تلك السن المبكرة.. لكن المعلم كان يعتبر الضرب بالعصا من شروط المهنة، وأسلوباً مهماً لإثبات قوّة شخصيته.. فكان في مراتٍ كثيرة يضرب بعصاه الأطفال جميعاً، دون تمييزٍ وبدون سبب..!

وكان مألوفاً أن يأتي الرجل بابنه إلى المدرس ويخاطبه مطالباً أن يستعمل الشدة مع ابنه ما استطاع، منهياً كلامه بتلك العبارة المشهورة " لك اللحم ولي العظم "، ولكن لم يكن سيدنا بحصوله البسيط من العلم على دراية بأساليب التربية الحديثة التي تقوم على أسس وقواعد علمية تراعي جوانب مختلفة اجتماعية ونفسية، وتقيم اعتباراً لمستوى الذكاء الذي يختلف من تلميذٍ إلى آخر..

أما أنا فكنت مختلفاً تماماً عن زملائي، كان في تكويني الطفولي آنذاك حبٌ كبيرٌ للنظام، كنت منظّماً في شؤون حياتي، في البيت، ومع زملائي، حتى أن زملائي كانوا يستغربون هذا الأسلوب، الذي لم يعهدوه، ولم يعرفوه.. لا في البيت ولا في المدرسة، ولا في المجتمع.. وانعكس هذا على حياتي.. وأسرتي، وكذلك على أصدقائي.. فتكونت عندي حاسة معرفة الأصدقاء واختيارهم من الزملاء الذين كنت أتصور في أحدهم ميلاً إلى

جانبٍ من الجوانب التي أميل إليها.. وغالباً ما كانت ميولي إلى جوانب مضيئة.. وكان اختياري لأصدقائي على هذا الأساس..

ولعل حبي للنظام وشعوري بشيء ما في نفسي يجعلني أضيقُ بمدينتي الصغيرة.. حتى أحسست أنه من الصعب عليّ الاستمرار في العيش بها.. أقول لعل كل ذلك هو ما جعلني أطلب التغيير.

٥- التغيير:

كان أخي الكبير عبدالله رحمه الله قد انفصل عنا.. إذ ذهب إلى الحديدة.. ودرس هناك دراسة جدية وأصبح مدرساً مشهوراً.. ومعروفاً في مدينة الحديدة.

ولمّا كنت قد بدأت أضيق بحياتي في مدينة بيت الفقيه، وصار من الصعب عليّ الاستمرار فيها، فإني كتبت إلى أخي عبدالله أطلب منه أن يتوسط لي عند والدي.. حتى يوافق على سفري إلى الحديدة لأدرس عنده..

وتم لي ما أردت.. فانتقلت إلى مدينة الحديدة وبدأت أدرس عند أخي عبدالله، الذي كانت له مكانة كبيرة في " مدرسة الحديدة " وكان موقعها في وسط المدينة القديمة.. أي إنها كانت على مقربةٍ من الميناء.. وكان فيها أساتذة كبار.. مثل الأستاذ محمد خلوصي، والأستاذ محمد الحلبي، والأستاذ أحمد الكتري، وأخي، وغيرهم.

وبعد فترة وجد والدي وزوج أختي عملاً في الحديدة، وكانت أختي قد تزوجت برجلٍ اسمه الحاج علي شريم من صنعاء، يتسم بالطيبة والصفاء، وكان يحنو عليّ أنا بالذات..

ويبدو أن تلك الانتقالة إلى الحديدة قد غيرت حياتي إلى مرحلةٍ أخرى

مغايرة للماضي، ومـا ألفتـه.. فقـد سـحرتني المدينـة، وكـان البحـر باتسـاعه وامتداده المفتوح، يمدني بالقوة والحيـاة، ويؤثـر تأثيراً مباشـراً علـى نفسـيتي، فراحت الصوفية تخـف بـالتدريج.. في حـين أن دراسـتي كـانت ضعيفـة بسـبب عزوفي إلى حيرةٍ من نوعٍ جديد، ولم تكن أسرتي تهتم بتعليمي أو تلقي له بالاً..

ولكن.. كما قلت، فقد جعلني الانتقال إلى الحديدة أتغير إلى حدٍّ كبـير.. فقد كنت أشاهد المدينة بمنظارٍ واسعٍ.. وتـأثرت جـداً بمنظـر البحـر الـذي كـان يوحي لي بأشياء غامضة ومجهولة، لم أكن أدري كنهها، ولا كيفية التعبير عنها.

ولم تطل فترة إقـامتي في الحديـدة.. لأنـني مـا لبثـت أن شـعرت بحنـين إلى مدينتي بيت الفقيه.. فكانت العودة..

٦- ذكريات متفرقة:

في جلستي القصيرة تلك بمدينة الحديدة، شعرت بحنـين جـارفٍ إلى مدينـة بيت الفقيه، ومدينة بيت الفقيه مدينة جميلة، بل إنني لأعتقـد أنهـا مـن أجمـل مدن تهامة.. لا سيما في ذلك الوقت..

كانت المدينة جميلة في كل شـيء، فهـي نقيـة الهـواء، ذات طبيعـة مريحـة، وأهلها بسطاء وأنقياء، يعيشون حياة عادية بسـيطة لا تكلـف فيهـا نهائيـاً.. وكان يعجبني حب الناس للسمر.. وخاصة في الليالي المقمـرة، حيـث يسـمر الناس في أحواش البيـوت، وقـد رشّـوا الأرض بالمـاء لأجـل تلطيـف الجـو.. فتفوح روائح الياسمين والفل تحت ضـوء القمـر.. وفي كـل بيـتٍ مـن بيـوت المدينة كنت تجد الفل والياسمين.. وإني لأذكر أني كنت مشغوفاً بكـل ذلـك إلى أبعد الحدود..

ومما لا يزال عالقاً بذهني إلى اليوم.. عن حياة المدينة وأهلها في ذلك الوقت.. موكب عامل المدينة (مدير)، وكان أيامها العامل هو العلامة محمد بن إسماعيل المنصور، والد الصديق العزيز العلامة محمد بن محمد إسماعيل المنصور.

كان العامل يركب حصانه ويلتف حوله الجنود بالزامل والطاسة والبوق.. وأهل المدينة البسطاء يتبعون الموكب من شارع إلى آخر مبهورين بالأبهة والهيبة والمظهر الذي كان بالنسبة إليهم شيئاً عجيباً.

وعندما عدت من الحديدة إلى بيت الفقيه، كنت قد تشبّعت ببعض الأفكار، أو بالأصح ببعض الرؤى.. أو الجوانب المثيرة.. حتى إن أختي كانت تستغرب بعض تصرفاتي، وبدأ حب النظام في حياتي يقوى أكثر فأكثر.. وكنت أميل إلى التأمل.. ومحاولة معرفة الأشياء من حولي..

وكان والدي رحمه الله يميل إلى العطف عليّ.. من ناحية أنني آخر أولاده أو آخر العنقود.. وقد وصل عطفه عليّ حدّ أن أختي الكبيرة.. كانت تغار مني وتحسدني.

وفي بيت الفقيه واصلت الدراسة، وكان يدرسني ويرعاني الأستاذ محمد علي الآنسي رحمه الله، وكذلك الأستاذ الشريف محسن.. ولكن محمد علي الآنسي كان أكثر رعايةً لي وعطفاً عليّ.. وإلى جانب كونهِ مدرساً، كان هو مدير المدرسة.

كان الرجل معجباً بي إعجاباً كبيراً حتى إنه أخذني معه إلى بيته حيث كنت أخالط أبناءه، وأهل بيته، وفيما هو يهتم برعايتي وتعليمي، كان يتوسم فيَّ النجابة، ويشير إليّ بأنني سأكون في يوم ما مسؤولاً، هكذا كان يتصور، وهكذا كان يقول لي بين حين وآخر، ولعل ذلك الإيحاء كان دافعاً

لي.. أشعر به أو لا أشعر، يدفع بي إلى طموحٍ أكبر، وحسٌ بأنّ الدور المرصود لي يجب أن يكون دوراً فاعلاً في حياة أمتي..

وما أتعجب له من وقائع حياتي في تلك الفترة من أيام طفولتي هو ولعي بتربية الدواجن، وهو ما كان يستغربه زملائي وأقراني آنذاك.

ويالها من صفحةٍ عجيبة فها أنذا الآن أستعيد ذلك الطفل وهو يتخير أقوى الديوك ليشتريه من أجل أن يسلطه على ديوك الجيران، وكم تكون سعادته غامرة حين يرى ديكه نافش الريش قوياً قاهراً، والديوك له خاضعون.. وأحياناً كان الديك يغلب كل الديوك فأضطر لشراء ديك آخر يماثله في القوة ليصارعه.. وكانت لذتي لا توصف وأنا أشهد عراكهما المستمر..

و لم يوقفني عن هذه العادة إلا حادثة حدثت.. فقد كان لدي.. ديكان قويان وجعلتهما ذات مرّةٍ يتصارعان ويتعاركان على جاري عادتي، فتعاركا عراكاً عنيفاً، حتى إن أحدهما صوب نقرة قوية خاطفة إلى عين خصمه فاقتلعها من مكانها لتسقط على الأرض في مشهدٍ مريع، سقط على إثره الديك متأثراً ينزف وينتفض.. مما جعلني أتألم كثيراً لما حدث، فتركت نهائياً تربية الديوك..!

ومن الأحداث التي لا يمكن أن أنساها والتي ما تزال ذاكرتي تحتفظ بها من تلك الطفولة البعيدة، حادثة زواج عمي من فتاةٍ شابةٍ جميلة، من نساء بيت الفقيه، ونساء بيت الفقيه جميلات جداً، وبصراحةٍ أكثر فهن في رأيي أجمل نساء تهامة..

كان عمي رحمه الله قليل الحظ من الوسامة، فهو إلى البشاعة أقرب، وكان همه في الحياة أن يجمع المال – فقط –كان يبني البيوت ويشتري المزارع ومعاصر الزيت واشتهر في بيت الفقيه وما حولها شهرةً واسعة،

اشتهر بالغنى الفاحش والبخل الشديد، ولم يكن يعتني بلباسه، ولا نظافة مظهره، وها أنذا أستحضر والعجب لا يفارقني إلى اليوم مشاهد ذلك العرس، فقد كان التنافر بين مظهر عمي ومنظر العروس يبدو صارخاً جداً، كانت العروس فاتحة اللون، أكثر ما يميزها عنقها الطويل، ووجهها الباهر الملاحة، وكانت في زينتها عجباً يتحدث عنه الناس، وعلى العكس من كل ذلك كان عمي، وإنه لشيءٌ بشعٌ حقاً أن يكون الجمال والوضاءة موضع البيع.

لقد انعكست صورة سيئةٌ من ذلك العرس على نفسي، فإن عمي قد اشترى عروسه بالمال الذي كان يجنيه من تجارته الواسعة في تصدير زيت السمسم على القوافل إلى الحديدة، ومن شراء الأراضي.

وكما قلت، فإن بخله الشديد كان يجعله يخبئ نقوده وذهبه ويكنزها في أماكن لا يعرفها حتى أولاده.. وعندما توفي إلى رحمة الله، بدأ أولاده في تبديد تلك الأموال التي أنفق عمره في اكتنازها، وخلال عشر سنوات تقريباً كانوا قد باعوا كل شيء، وأصبحوا في حالةٍ يرثى لها فتقلب بعضهم في أعمال هنا وهناك، وسافر البعض الآخر منهم إلى المملكة العربية السعودية.

وأعتقد أنني كنت في السادسة أو السابعة من عمري، حين شاهدت عدداً من الغرباء بملابسهم وأشكالهم، وهيئاتهم، وهم يمتطون الإبل ويجوبون شوارع بيت الفقيه.

كان الناس ينظرون إليهم بريبة، ولم أكن واعياً تماماً ما يحدث.. ربما انتابتني تساؤلاتٌ من نوع ما.. ولعلها من ذلك النوع الساذج الذي عادة ما يصدر من طفل في السادسة أو السابعة، وقد أكون تلقيت إجابة ساذجة أيضاً.. إلا أن شيئاً من ذلك لم تحتفظ به ذاكرتي التي ظلت تحتفظ وعلى نحو

غريب بأولئك الذين يمتطون الإبل ويجوبون شوارع بيت الفقيه.. لقد ظل ذلك المنظر يعشّشُ فيّ وكوّن في ذهني شيئاً غريباً.. فرض نفسه على شكل سؤالٍ: ما هذا الذي أشاهده..؟؟

ولم أستطع تمييز ذلك الشيء الغريب إلا بعد سنواتٍ وسنوات عندما عرفت أن تلك الجماعة الغريبة التي رأيتها بهيئاتها وإبلها تجوب شوارع مدينتي لم تكن إلا أفراداً من الجيش السعودي الذي دخل أرض بلادي عام ١٩٣٤م.

الفصل الثاني

الخروج من القوقعة

رحلة إلى صنعاء

بعد فترةٍ من عودتي من الحديدة إلى بيت الفقيه جاء طلبٌ من سيف الإسلام عبدالله بن الإمام يحيى الذي كان يشغل وقتها منصب وزير المعارف، حيث طلب من إدارة معارف الحديدة، وكان هذا اسمها، مجموعة مختارة من طلاب تهامة ليصعدوا إلى صنعاء، بغرض الزيارة.

وكان أمير الحديدة في ذلك الوقت هو العلامة عبدالله بن أحمد الوزير، وكان عدد الطلاب المرشحين من كل مدن تهامة حوالي خمسة وثلاثين طالباً، وسجل اسمي ضمن هذه المجموعة، كان هذا في بداية الأربعينيات، وكنت في المرحلة الابتدائية.. وهكذا جمعنا من شتى أنحاء تهامة، من (بيت الفقيه، الحديدة، زبيد، باجل، الزيدية، الزهرة، اللحية، حيس)، وإلى الحديدة استأجرت حماراً.. وكان في ذلك الوقت.. يوجد من يملكون الحمير بغرض الاكتساب منها بتأجيرها للمسافرين، لا أذكر الآن كم كانت أجرة ذلك الحمار.. وعلى أربعة حمير أخرى ركب مدير المدرسة وثلاثة زملاء آخرين..

وفي الحديدة وجدنا استقبالاً جيداً.. كان المكلفون بالقيام على شأننا في منتهى اللطف، فاعتنوا بنا عنايةً بالغة، حيث فصلوا لنا ملابس جديدة كان

أبرزها ثوباً جديداً وكبيراً، وأذكر أن الملابس التي فصّلت لنا كانت ملابس موحدة.. كما أنهم علّمونا طرق اللباس.. وطرق الأكل وخاصة كيف نمسك بالملعقة والشوكة والسكين.

ونتيجة لانعدام التواصل بين مناطق اليمن والجهل الضارب بأطنابه الظالمة المُظلمة فقد كانت صنعاء بالنسبة إلى أهل تهامة تعدُّ أبعد من اليابان، ولهجة أبناء تهامة تختلف كثيراً وكثيراً جداً عن لهجة أبناء الجبال.. ولم يكن ذلك الاختلاف ناتجاً عن اختلاف عميق في بنية الكلمة أو مسميات الأشياء.. بمقدار ما كان اختلافاً ناتجاً عن عدم التعود على سماع لهجة الآخر.. مما يجعلها غريبة وغير مفهومة..

وأكثر ما يصور ذلك التباعد، تلك اللوعة وذلك البكاء الذي ودّعنا به من تهامة من الرجال والنساء، وكأننا ذاهبون إلى المجهول.

وإلى صنعاء سافرنا بصحبة الوالد عبدالرحمن سويد مدير معارف تهامة، والأستاذ حسين الحدايا، أركبونا سيارة كبيرة على وشك التقاعد، فكانت رحلة طويلة ولكنني لا أتذكر جيداً كم استغرقنا من الوقت لكي نصل إلى صنعاء، ولكنني أظن أنها كانت ثلاثة أيام، ونادراً ما كان يحظى المسافر بسيارة كتلك المتقدمة في العمر التي أركبونا إياها، ويبدو أن ذلك كان مرتبطاً بأهمية استثنائية لكوننا دعينا رسمياً، ورغم طول الرحلة إلا أنها كانت ممتعة.. فكل شيء فيها كان جديداً علينا، الطريق والناس الذين نراهم، وكذلك الطبيعة من حولنا، حيث انتقلنا من السهل المنبسط إلى الجبل المتعرج.. ومن الرمال إلى الصخور والجنادل الحجرية..

وعند وصولنا إلى مدينة صنعاء كان في استقبالنا عددٌ من الشخصيات المرموقة.. وفي الميدان قرب القصر وأمام مكتب الأيتام، وكان هذا اسمه

يومئذٍ، أقيم لنا احتفـالٌ كبيرٌ ثـمّ توجهنـا إلى بيـت بلاطـون.. الـذي سيكون مقامنا فيه.. وقد أعد لنا هذا المسكن إعداداً جيداً، وكان يشرف على راحتنا فيه العلامة علي المؤيد مدير عام المعارف رحمه الله.

ثم أخذنا في زياراتٍ إلى وادي ظهر، حيث كان اليـوم المشـهود.. إذ فيـه قبلنا يد الإمام يحيى الذي كنا نتصوره، تصوراً يجعله شـبه مقـدس.. وألقيـت أمامه قصيدة، وقصتي مع القصيدة كانت مضحكة.. فقـد كتبهـا لي الأسـتاذ حسين الحدايا رحمه الله، وظللت أغنيها ليلاً ونهاراً لمدة أسبوع، إذ لابـدّ أن ألقيها على أحسن وجه لأنه في ذهني كما في ذهن غيري أن الإمـام شـخصية مقدسة، وإنسـان يختلـف عـن بـني آدم.. هكـذا جعلونـا نعتقـد، بـل كـانت الصورة الواضحة، أن الإمام رجلٌ مقدس، يختلف عن الناس شـكله وعظمتـه وهيبته، وكل شيء يتصل به. المهم أنهم نقلونا إلى وادي ظهر، وألقيت أمامه القصيدة، وكنت أرتعش من الفـزع والخـوف، وأتذكـر تمامـاً ذؤابـة عمامتـه (العذبة)، وهي على خده الأيسر إلى قرب كتفه، كان لونها أخضـر، وكـان السيف المذهب مرفوعاً بيد عبـده والجنـود يلتفـون حولـه، وأذكـر أن مظلـةً كبيرةً كانت تدور علـى رأسـه، وبجانبـه سـيف الإسـلام عبـدالله وحاشـيته، وبعد أن ألقيت قصيدتي.. دعاني الإمام إليه فقبلت يده ودعا لي مربتـاً علـى ظهري من باب البركة والتشجيع، ثم أعطاني ريالاً عمادياً من الفضة وعليـه طلاءٌ من الذهب، وأحتفظ به إلى اليوم.

أذكر أن غيري من الزملاء شاركوا بقصـائد وأناشيد وبعـد انتهـاء لقائنـا بالإمام أدخلونا إلى بستانٍ من بساتينهِ، حيث قدموا لنا أعنابـاً ممتـازةً ورمانـاً حلواً، وبعدها عدنا إلى صنعاء.. فمكثنـا فيهـا أسبوعاً زرنـا خلالـه سـيوف الإسـلام.. وزرنـا المتنزهـات مثـل الروضـة وحـدة وبعـض معـالم صنعـاء..

وشخصياتها الكبيرة، وكانت صنعاء في منتهى الروعة والجمال وفي ذلك الوقت كانت مدينة أليفة صغيرة.. وجميلة، ومعظمها داخل السور، ثمة بيوتٌ تتناثر بين البساتين والحدائق والزهور والورود والمياه.

أتذكر غيل الأسود، وغيل إيلاف، والأمطار الغزيرة، وفواكه بير العزب.. ورائحة القضب الجميلة.. لقد كانت صنعاء المتنزهات، وكان الناس يحتفظون بنقاء الفطرة وألفة التعارف، ولكن أهلها كانوا محافظين أيضاً.

وكانت رحلتي إلى صنعاء مما لا يمكن أن أنساه، فقد أثرت تلك الرحلة فيّ تأثيراً بعيداً، وعرفت خلالها أن هناك عوالمَ أخرى غير العالم الذي كنت أعيش فيه، ولابد أن حدث لقائي بالإمام يحيى كان أيضاً ذا أثرٍ عميقٍ في حياتي، فقد أحببت صنعاء حباً عميقاً..

وعدنا إلى مدينة الحديدة، ومن الحديدة عدنا على الحمير كلٌّ إلى مدينته.. وعدت إلى مدينتي بيت الفقيه، وكان زملائي يلتفون بي فأحدثهم عن صنعاء وجمال صنعاء، وهوائها وطيبها وشذا وردها.. ولم يكن حديثي منمقاً بل كان وصفاً فيه من الدهشة والعفوية والبراءة ما يجعله حافلاً بعبارات الانبهار الذي يوحي ولا يُفَصِّلْ.

وبعد شهرين تقريباً طلبونا للدراسة بصنعاء، فكنت من أوائل المستجيبين، وإذن فإنها رياح التغيير تهبُّ فترسم لحياتي أفقاً جديداً لم يكن يخطر لي أنني سأرتاده ذات يوم.. بل إنني أجزم أن ذلك التغيير كان نقطة البداية في حياتي.. إلى الطموح الذي ظل يلازمني ويدفع بي إلى الأمام حتى لحظة تسجيلي لهذه الكلمات، وقد تجاوزت السبعين..

وهاهي كلمات الأستاذ محمد بن علي الآنسي وإيحاءاته تُسفِرُ عن بداية تحققِ نبوءةٍ، كنت أحسبها مجرد تشجيع..

وقد يقول قائلٌ أن الآنسي كان يوحي لك بأنك ستكون مسؤولاً كبيراً.. فكيف تحقق ذلك؟ وكيف بدأ يتحقق بمجرد أنك ستذهب للدراسة في صنعاء؟

وبمعرفة ماذا تعني الدراسة في صنعاء، وفي سكنى المدرسة المتوسطة آنذاك.. لا شك أن الجواب يكون واضحاً جداً.

كنت إذن من أوائل المستجيبين للطلب.. وبينما كنت أتهيأ للسفر إلى صنعاء، كانت مشاعري إزاء ذلك خليطاً من الإحساس بالإقدام على المجهول، ومن فرح مشوبٍ بالأنا الفخورة الشاعرة بالأهمية.

وتم جمعنا للمرة الثانية في الحديدة.. وتوجهنا إلى صنعاء وكان المرحوم عبدالرحمن سويد معنا.. واستمرت دراستي وإقامتي في صنعاء أربع سنوات، توجت بحصولي على الشهادة الثانوية.

وفي هذه المرة عرفت صنعاء معرفةً جيّدة، وبنيت صداقاتٍ مع مجموعة من الزملاء سيصيرون فيما بعد صفوة المثقفين والمستنيرين في اليمن.

وكانت إقامتنا في بيت (بلاطون)، وهو ذلك البيت الذي يواجه مبنى مجلس النواب حالياً، و(بلاطون) اسمٌ تركي، وكنا ندرس في المدرسة المتوسطة في رعاية سيف الإسلام عبدالله.. الذي أشهد شهادة حقٍ أنه كان يرعانا رعايةً كاملة، وأن الفضل يعود له فيما وصلنا إليه أنا وزملائي.. فلولاه ما طلعنا إلى صنعاء، ولولاه ما درسنا، ولكنا أمضينا حياتنا في تهامة كما أمضى زملاؤنا الآخرون حياتهم، أعترف له أنا وزملائي بهذا الجميل، وبهذا العمل، والحق أن مبادرات سيف الإسلام عبدالله لم تقف عند طلبنا للدراسة في صنعاء فحسب، بل إنه أثناء ما كنا نحن ندرس في صنعاء، طلب علماء ومناصب ومشايخ تهامة لزيارة صنعاء، وإني لأذكر جيداً كيف

احْتُفِل بهم عندما وصلوا إلى صنعاء، وكيف قوبلوا بحفاوةٍ بالغة لا يزال الأحياء منهم يتذكرونها إلى اليوم..

كما قلت كانت دراستنا في صنعاء أربع سنواتٍ، وكنا ندرس في المدرسة المتوسطة، ثم انتقلنا إلى مبنى وزارة التربية والتعليم حالياً، وهو المجاور للمتحف الحربي، وكان في ذلك الوقت داراً للضيافة..

ولا أكون مبالغاً إذا قلت إنني كنت من الطلبة الجيدين في بعض الجوانب التي ساعدت.. على إعطائي ذلك الوضع.

أذكر أن حلاوة صوتي التي كانت تتجلّى تجلّياً واضحاً في ترتيل القرآن.. وإنشاد الأناشيد المدرسية والحماسية، تجعل المدرسين يفضلون تكليفي بهذا الجانب دائماً.. فقد كان يتم إرسالي بين الحين الآخر إلى مدرسة دار الأيتام، وكان هذا مفيداً لي في توسيع آفاق الاحتكاك بالآخرين.. وفي مدرسة دار الأيتام، عرفت بعضاً من أهم أصدقائي، وتوثقت صلتي على وجه الخصوص بزميل العمر الأخ والصديق العزيز حسين المقدمي..

وأثناء الدراسة طلب مني الوالد عبدالله كباس رحمه الله بأمر من الوالد علي إسماعيل المؤيد مدير المعارف.. أن أنقل النحو الواضح، ونقلت الأجزاء بخط جميل وممتاز، وكان خطي جميلاً جداً.. فكوفئت عن ذلك بجائزةٍ من سيف الإسلام عبدالله، قدرها عشرة ريالات.. ولا تدري ما معنى عشرة ريالاتٍ في ذلك الوقت.. فإضافة إلى جانبها المعنوي، فإنها كانت تمثل في جانبها المادي شيئاً كبيراً جداً..

كانت المدرسة الثانوية نموذجية وأساتذتها فضلاء وقدوة، وكانت الدراسة أكثر من جيدة، لأن هناك أساتذة أجلاء، أساتذة بكل ما تعني الكلمة..

كان الأستاذ يشعر الطالب بالرعاية والحنان، وأنه بمثابة الأب والمدرس له، وهذا من حسن حظنا فقد كان جميلاً أن مدرسينا هم صفوة رجال ذلك الوقت، إذ اجتمع لنا مجموعة من العقول المستنيرة والنفوس الكبيرة، ما لا يتكرر حدوثه إلا نادراً، وأذكر من أولئك الأفاضل الشهداء - محيي الدين العنسي، وأحمد الحورش، وأحمد البراق، وزيد عنان، وعلي الآنسي، وإبراهيم خليل، وعلي الضبي (الذي علمني تجويد الخط - وسيدنا محمد زيدان، وكذلك علي العنسي، وسيدنا عبدالله كباس، والأستاذ عبدالنافع الجندي السوري) وكان الأستاذ علي العنسي هو مدير المدرسة، وهو شقيق محيي الدين العنسي، ومعظم هؤلاء درسوا وتخرجوا في العراق..

وكان الرائع هو تلك الألفة بين المدرسين وبيننا، كان الأستاذ أحمد الحورش رحمه الله يرعانا رعايةً كاملة ومتميزة، ولكوننا من تهامة فقد لقينا عطفاً واهتماماً من الجميع.

كان سيدنا عبدالله كباس يجلس معنا جلساتٍ خاصة في المساء، يتحدث معنا، ويرعى أحوالنا، وكنا نتسامر معه في تلك الجلسات على نحو رائع إلى أبعد الحدود، فكان لنا بعض القصص والروايات والأحاديث.. وكان رحمه الله يتحدث الفصحى بإجادة.. ولذلك كان عنيفاً مع من يلحن، أو يخطئ في البدهيات..

وكان مدير المعارف العلامة علي بن إسماعيل المؤيد شخصية فذة.. حيث كان مثالاً للوطنية والإخلاص، في حدود تلك المرحلة بمعنى أنه كان يعطف على الطلبة، ويرعاهم ويعطيهم حقوقهم.. وهذا عملٌ وطنيٌّ من كل الوجوه.

عندما رفضت القيد

الإنسان موقف.. ويجب على كل إنسان أن يكون واضحاً في مواقفه قوياً في التمسك بها.. مهما تكن النتائج.. هكذا كنت أفكر دائماً.. وهنا أريد الإشارة إلى أن حياتي في فترة الدراسة بصنعاء لم تكن هناءً خالصاً، وسعادة صافية، فقد جُبلتُ بطبعي على رفض ما أراه غير جديرٍ بالقبول، وكان ذلك يجر عليّ بعض المصاعب في مواقف كثيرة في حياتي، ومن تلك المواقف هذا الموقف:

فقد تم تغيير مديرنا الرائع علي العنسي رحمه الله، وجيء بمدير آخر للمدرسة. ولم يكن هذا المدير الجديد في إنسانية وروح العنسي.. وكانت لي معه ذكريات سيئة، ولذلك فأنا لا أود ذكر اسمه.

أما ذكرياتي السيئة معه، والتي لابد أن أسلكها ضمن المواقف الصعبة أثناء الدراسة، فإنني أسوق عليها هذا المثال: كنت أثناء دراستنا في صنعاء شبه رئيسٍ للبعثة التهامية، أو مقدم عليها (مراقب)، وحدث أن اختلفت مع أحد الزملاء خلافاً بسيطاً، فذهب يشكوني إلى المدير فدعاني المدير بعد أن سمع شكواه.. ثم أمر بي أن أُحبس دون أن يسمع ردي.

وحاولت شرح وجهة نظري له فلم يسمع.. وتكررت محاولتي معه

لدرجة البكاء، وعندما رآني أبكي ازداد غيظاً وشطحاً وإصراراً على حبسي بل انتهى به الحمق إلى أن أمر بقيدي.

ولما لم أكن مخطئاً.. فقد رفضت القيد بشدةٍ، وعندما أصر نهائياً على تقييدي.. انفجرت أبكي بكاءً مراً ثم رحت أصيح محتجاً.. حتى أحدث صياحي ضجة داخل المدرسة وخرج زملائي التهاميون.. وحتى زملائي من صنعاء والمناطق الأخرى خرجوا.. علي الجناتي، وعبدالله الذماري، وحسين الذماري – مثلاً – كلهم خرجوا وقد استفزهم موقف المدير تجاهي..

وما إن علم أولئك المدرسون الأجلاء بما حدث حتى أخذوا مكانهم جانبي مدافعين عني، وكان أكثرهم تشدداً في الدفاع عني هو الأستاذ أحمد الحورش، الذي ما إن بلغه الخبر، حتى استغرب كثيراً.. ما يحدث، وأخذ معه الأستاذ محيي الدين العنسي وذهبا إلى المدير.. يحاولان بكل الوسائل إقناعه.. بأنه لا يمكن بأي حالٍ من الأحوال تقييدي.. وفي البداية مانع المدير مصراً على موقفه مني.. وعلى تنفيذ أمره فيّ بالحبس.. ولكن الحورش قال له: أما القيد فلا وألف لا.. وعندما رأى موقفهما الصلب.. بدأ يتخذ لنفسه حججاً أخرى.. فقال لهما: إنه حلف اليمين أن أقيّد.. ولكنهما عادا فأقنعاه – بأنهما سيدفعان كفارة اليمين – وعندما لم يعد أمام المدير مجالٌ وافق، واستطاع الحورش وصاحبه بالفعل إلغاء أمر القيد.

ثم جاء الحورش إليّ وأنا في غرفة المراقبين في البوابة الخارجية.. ولما أن شاهد بكائي، راح يهون عليّ.. ويلطف الجو.. وبعدها.. عندما رآني أهدأ.. أخذني فأدخلني إلى غرفة المدير.. حيث اعتذرت له وانتهى الموضوع.

وتعقيباً على حادثة القيد.. ومداخلاتها التي رويتها.. أريد القول إن

المدرسين قد ساهموا في تكويننا روحياً.. تكويناً جيداً.. فأمثال الحورش.. بذلك الموقف وأمثاله من المواقف وبحرصهم أيضاً على الصلة الروحية بين المدرسين والطلاب.. هم الذين شدّوا من عزمي، فكانت مبادئهم غريسةً في عقلي وروحي، أحببتها وحاولت دائماً أن أحتذيها..

وكان موقفي الحق أمام المدير.. قد فتح عيني على أمرين..

الأمر الأول: أن الشجاعة في الحق والإصرار على رفض الباطل.. مهما كان غاشماً يجب أن يكونا من أهم شعاراتي في الحياة، وهذا ما حدث فيما بعد.. إذ سوف تروي هذه المذكرات أكثر من حدث وحادثةٍ.. في مواقف أكثر أهميةً ومصيرية، وكنت أصر فيها على رفض الباطل.. والخطأ بشجاعةٍ.

الأمر الثاني: أن صاحب الحق لا يعدم الأنصار.. مهما كان شأنه صغيراً ذلك أن للحق هيبة.. وأعتقد أن كل من يضيع حقه من يده.. إنما يحدث له ذلك.. ليس لضعفه هو.. كإمكانيات وإنما لتفريطه في ذلك الحق.. وتخاذله عن موقفه فيه..

لقد كان موقفي من المدير مناسبة لدرسٍ أتعلمه.. في حياتي كما كان مناسبةً لأن أرى تجلياً من تجليات الحورش، الرجل الذي كان إنساناً عظيماً بكل معنى الكلمة يرحمه الله.

وهكذا هم أصحاب النفوس الكبيرة.. يتصرفون بنفس الاهتمام والشعور بالمسؤولية.. إزاء القضايا الكبرى والصغرى أيضاً.. لأنها جميعاً في نظرهم كل لا ينفصل ولا يتجزأ.. والباطل باطل.. سواء جاء من الإمام أو من مدير المدرسة.. وصاحب الحق يجب دعم قضيته.. سواء كان شعباً بأكمله أو مجرد طالب.. في مدرسة.

وكانت أيامنا في المدرسة العلمية أياماً حلوة.. ولا تزال آثار ذكراها الطيبة في النفس..

كانت حياتنا في تلك المرحلة جميلة جداً، من ناحية أننا كنا نستشعر ما سنحمل من واجبٍ، وكانت آمالنا فيها طموحٌ، طموحٌ إلى المستقبل.. بالرغم من أن حياتنا المعيشية كانت في حالةٍ سيئةٍ إلى أبعد الحدود.

كنّا نعيش عيشة بؤس، وخلال الأسبوع كان لزاماً على كل طالب أن يُفلي القمل من ملابسه.. وكان البقّ والكتن يملأ غرفنا.. ولم تكن تكفينا الكدم والقليل من الرز والحلبة.. وقطعة اللحمة ما بين وقت وآخر.. كان الأكل محدوداً.. لا يكفي.. وصنعاء مرغوبٌ فيها الأكل بسبب جوّها..

ومع ذلك فقد كانت الحياة حلوة لا تُنسى..

وأذكر أني عُرِفتُ بين زملائي بالنظام.. فكنت تجدُ مكاني.. وكيس نومي وأشيائي كلها مرتبة ونظيفة ومتميزة عن حاجات كل الطلاب..

بخل الإمام يحيى

في هذه المرحلـة كنـا في الأربعينيـات.. وكـان الإمـام يحيـى يحكـم اليمـن بطريقةٍ غريبةٍ وعجيبةٍ، فقد جاء من الأهنوم لا يعرف شيئاً عن العـالم، وظـل في صنعاء.. لا يغادرها.. ولا يخرج منها.

ولّما لم تكن له صلةٌ بالعالم الخارجي فقـد بقـي يحكـم بعقليـةٍ قديمـة.. فـلا مشاريع.. ولا توجه نحو التمـدن.. بإدخـال أدوات الحضـارة الـتي ينعـم بهـا العالم من حولنا.. وأنت تصاب بالدوار عندما تفكر في أن اليمن في منتصـف القرن العشرين.. ولا مدارس أو جامعات.. أو طرق، حيث لم يفكـر الإمـام حتى في شق طريقٍ واحدة..

وإني لأذكر في تلك الفترة أنه عندما كان يخرج إلى الروضة في الخريـف.. يأمر قبيلة بني الحـارث.. بـالخروج لإصـلاح الطريـق بـين صنعـاء والروضـة، فكان أبناء تلك القبيلة يخرجون عن بكرة أبيهم.. يصلحون الطريق ويهيئونها لسيارة الإمام حتى يستطيع الوصول بها إلى الروضة أو إلى وادي ظهر.

وإلى جانب ذلك فقد كان الرجل بخيلاً.. كان يبخل على نفسه.. وعلـى الشعب، فهو يكدس الملايين من الريالات الفرنسـية (ريـال مـاري تريـزا) في دار السعادة، ودار الشكر، وعندما يمتلئ المخزن يغلقه ويسده بالحجر.

وكان يحمل - كما تأكدت من مصادر كثيرةٍ - في جيبه دفتراً صغيراً يكتب فيه ما يحتويه هذا المخزن أو ذاك من أموال.

ويبدو لي الآن أن ما كان يتصف به الإمام في هذا الجانب هو شيء أكبر من البخل بكثير.. كان فقيهاً وعالماً ويعرف جيداً كيف تصرف الزكاة.. وما يجب على الحاكم إزاء شعبه.. ولكنه لم يكن يفعل ذلك نهائياً..

وكانت سنوات الجدب تحدث مجاعاتٍ كثيرةً.. فتأتي إلى صنعاء أعداد كبيرة من الجائعين.. من الشرفين والمحابشة.. أو غيرها، وكثيرٌ منهم كانوا يموتون في الطرقات، وكانت صنعاء تشهد كل يومٍ أعداداً من هؤلاء.. والإمام يعرف كل ذلك ويطلع عليه، وينقل له المقربون حالة الناس المزرية، ومع ذلك فإنه لا يفتح مخازن الحبوب الكثيرة الممتلئة.. والموجودة في كل المحافظات.

ولم يحدث أن لانت نفسه فصرف شيئاً لهؤلاء المساكين..

أتذكر أن التاجر غمضان رحمه الله.. وغيره من الموسرين.. كانوا يعدون بعض الوجبات من الكدم أو الخبز لأولئك الجائعين، وكان يحدث ذلك بعلم الإمام، وهو لا يفكر حتى أن يجاريهم فيما يفعلون.

كان الإمام رجلاً غريباً إلى أبعد الحدود، وكان الناس يقدسونه.. لأنه كان يحكم باسم الإمامة المقدسة.. وكانت من الناحية الدينية متغلغلةً في عقول الناس وأفكارهم وحياتهم..

أما أبناء الإمام - سيوف الإسلام - فكان عددهم كبيراً.. وكان لكل واحدٍ منهم قصراً خاصاً به وبأسرته. ويعيش حياته الخاصة في بحبوحة وفي رغد ونِعَم أكثر من الإمام.

وكنا نسمع قصصاً غريبة عن محاولة ونجاح بعض سيوف الإسلام في أخذ مبالغ تقدر بالآلاف من الريالات من مخازن الإمام إلى حد أنه كان يسجنهم في النوبة المرتفعة شرق قصر السعادة (حالياً المتحف الوطني) أو في قصر السلاح بسبب تسلطهم على المال، أو بسبب تعاطيهم المشروبات المسكرة.

وفيما يتعلق بحياة الناس والمجتمع في ذلك الوقت. فإن اليمن لم تكن تعيش مع العالم لا من قريب ولا من بعيد.. فمن يتصور الآن أن بعض اليمنيين آنذاك، كانوا على يقين.. من أنّ آخر الدنيا مكة المكرمة أو عدن.. أو عند البعض مصر وغيرها.

حتى الحرب العالمية الثانية التي كانت تطحن برحاها العالم وتهز أركانه.. لم يكن عند المواطنين علمٌ بها.. وعندما كان الناس يشعرون بأزمةٍ في توفر بعض المواد.. كالقاز أو السكر الأحمر.. فيسألون عنها تكون الإجابة دائماً (البحر مغلقٌ).

وأتذكر أن سماع الأخبار كان مقصوراً على إسحاق وهو شخصيةٌ كبيرة في ذلك الوقت، كان هو وعدد محدود يمتلكون الراديو.. فكان يستمع إليه مع أسرته أو بعض أصدقائه من الشخصيات البارزة.. وعندما كان يُسأل عن الأخبار.. يرد دائماً بإجابةٍ واحدة (وديف الوديف) حتى صارت تلك العبارة نكتة يتندر بها الناس عليه..

وبالجملة فقد كانت حياة الناس، حياة راضيةً، رضا استسلام وجهل.. لا رضا هناء ووعي.. وأنا أتكلم هنا بصفةٍ عامة عن الشعب عن الناس البسطاء خاصة.

والحقيقة أنه من الصعب على الواحد منا أن يسرد سرداً كاملاً يعطي صورةً مكتملةً عن تلك الأزمنة، وعن الحياة المعيشية والاجتماعية لدى الناس.

أما أكثر ما يعجبني من ذكريات تلك الفترة فهو العادات الأسرية.. كانت عادات جميلة، فالأسرة متماسكة، والكبير مطاع.. أما الأب والأم فالأبناء يحترمونهم احتراماً فائقاً.. حتى إن الولد لم يكن يقول لجده: يا جدّ.. كان يقول له: يا سيدي.

الفصل الثالث

سنوات القلق والخوف

زملاء الدراسة
الأعزاء الأجلاء

أذكر أنه كان قد أنهى معي الدراسة الثانوية بصنعاء الزملاء الأعزاء (العزي مصوعي، محمود الكتري، علي عبدالعزيز نصر، أحمد هاجي، صغير سليمان، إسماعيل شريج، عبدالرحمن بابعير، أحمد بلال، شحاري ثواب يحيى، محمد علي أزرق، محمد حسين محسن، محمد قاسم، عُمَرْ ملوك، سليمان النعمي، العزي وجيه، عمر هارون، محمد عبدالله الأحمر، محمد غافل، عمر القليصي) وآخرون.

وها نحن بعد أربع سنوات تقريباً من الدراسة في صنعاء.. نتخرج.. وقد تغيّرَ فينا كلّ شيء.. لقد اتسعت مداركنا.. وتنوعت ثقافتنا.. وأصبحت عيوننا تنظر بشكل مختلف.. وعقولنا تفكر تفكيراً مغايراً.

وكم كان صعباً عليّ مغادرة صنعاء.. لقد امتلأت نفسي بروح هذه المدينة.. وصار لصداقاتي الواسعة.. مكان هامٌ في قلبي.. وها أنذا أغادر أو أتهيأ لمغادرة صنعاء مع زملائي الأعزاء.. وفي النفس ما فيها.. ولا أعلم ماذا تعده الأيام لي..

لكن ما إن أنهينا الدراسة، حتى صدرت التعليمات فتم تعييننا جميعاً بأمر من سيف الإسلام عبدالله.. مدرسين في أقضية ونواحي تهامة.. وعُينتُ مديراً لمدرسة المراوعة.. براتب مقداره (ثمانية ريالاتٍ وقدحا طعام)..

وفي مدينة المراوعة قضيت ثلاث سنوات.. وتميزت حياتي فيها بكونها حياة غير مستقرة، فأنا تارة هادئ البال مطمئن النفس، وتارةً أخرى أشعر بالتعاسة وعدم الرضا.. وهكذا شدٌّ وجذبٌ..

أما شعور التعاسة وعدم الرضا.. فربما يعود إلى عدم قدرتي على التواؤم مع الوضع الجديد.. بشكلٍ أو بآخر.. فليس سهلاً أن تعيش في صنعاء أربع سنوات.. بكل ما تمخضت عنه.. من تغييرات عميقة تفكيراً.. ونظرة إلى الحياة.. ثم تنتقل هكذا إلى قرية في تهامة..

أقول ربما يكون ذلك سبباً في شعوري بالتعاسة وعدم الرضا.. أما السبب القوي وراء عدم شعوري بالارتياح في المراوعة.. فهو تسلط أحد وجهائها عليّ.. وكان رجلاً خبيثاً لئيماً.. لا أُحسن كيف أصف شغفه بالدس والمكائد.. وإيذاء الآخرين.

كان هو ورجل آخر معه لا يمر شهر من زمانٍ إلا ويكون قد كتب تقريراً عني.. ويرسله للمسؤولين في صنعاء.. كان البريد شغله الشاغل.. يخترع أفعالاً وأقوالاً.. ويختلق مواضيع يلفقها لي ولغيري.. ويرسلها بالبريد إلى سيف الإسلام عبدالله، ولقد حاولت بكل الوسائل كسبه.. ولكن دون جدوى..

كنت أحياناً أشكوه إلى والده وهو ذو منصب كبير وعالم جليل، وكذلك إلى أخيه العالم الورع، ومع الأسف سمعت منهما أكثر من شكواي، فلم يكن يسلم من أذيته حتى أهله وأقرب المقربين له.

الشيخ سليمان سالم
ذلك العظيم الذي لا أنساه

كل من يتصل بي من أصدقائي.. وزملائي.. وكذلك أبنائي من الجيل الجديد.. أو بالأصح من الأجيال الجديدة.. ممن تواصلنا معاً.. وحصرت اهتمامي بهم.. منذ نهاية الخمسينات إلى اليوم.. يعرفون عني خصلة أنا دائم على تأكيدها.. بل هي بالنسبة إلي يجب أن تكون دستوراً.. لكل إنسان.. تلك الخصلة هي الموقف الواضح والسلوك القويم.. الذي يتجلى أكثر ما يتجلى.. في الصدق مع النفس.. والشجاعة في الحق.. والعمل للوطن.. بما يقدر عليه الإنسان في مثل وضعي وإمكانياتي المحدودة.

لقد اشتغلت طيلة حياتي في مجال التربية والتعليم.. وأنا الآن أدير مؤسسة يُشرِّفني أنها تؤدي رسالة ثقافية وإبداعية وتربوية ناجحة.. وإذن فالتعليم والثقافة هما حياتي: الذي عشت لهما، وأعطيت كل ما أستطيع من أجلهما.

وما أريد قوله هنا إنني لا آبه لمسألة التعليم والثقافة.. مادامـا لا يجعلان صاحبهما.. قدوة للآخرين في مواقفه وسلوكه.. وصدقه مع النفس.. ورفضه للظلم.

وإني لأعرف الكثيرين من أهل الثقافة والفكر والعلم.. فيصدمني فيهم.. أن سلوك البعض منهم في جانب، وثقافتهم وعلمهم في جانب آخر.. حيث القيم الوطنية والاجتماعية والإنسانية لا تعني لهم شيئاً البتة.

هذه المقدمة ساقني إلى إيرادها.. توقفي عند ذكرياتي عن الشيخ سليمان سالم شيخ العبسيّة والربصا بوادي سهام، ناحية مدينة المراوعة.

فخلال السنوات الثلاث التي قضيتها في المراوعة مديراً لمدرستها.. وهي الفترة التي وصفتها بأنها كانت فترة شدٍ وجذب، شعور بالرضا والاستقرار.. يتلوه شعورٌ بالقلق والبؤس.. وعدم الرضا.. وخاصة وأنا أعاني من دسائس المغرضين ووشاياتهم.

عرفت خلال تلك السنوات الشيخ سليمان سالم.. شيخ الرّبصا والعبسية وسط وادي سهام.. وقبيلة هذا الشيخ تحيط بالحديدة من جهات الشرق حيث توجد آبار المياه التي تروي سكان الحديدة.

وقصتي مع هذا الشيخ قصة غريبة.. فأنا أحتفظ له بذكرى عطرة.. فقد كان يرعاني أكثر من رعايته أولاده، وكنت أعيش معه كابن له.. في الصفحات القادمة سأتحدث عن دوري في ثورة ١٩٤٨م، وسترى مواقف هذا الشيخ التي ستفهم منها.. لماذا قدمت بتلك المقدمة قبل حديثي عن هذا الشيخ.. الذي تعلمت منه درساً قيماً جداً.

أخذ البيعة للإمام الجديد

سنوات الدراسة التي قضيتها في صنعاء.. والمحصلة الثقافية التي خرجت بها.. وكذلك المبادئ التي تشربتها أنا وزملائي من أساتذتنا الأجلاء.. كل ذلك إلى جانب رؤيتنا للأمور ومعايشتنا للحراك السياسي عن قرب.. في العاصمة.. جعلني على استعداد بل وحماس لأي تغيير.

وحين قامت ثورة ١٩٤٨م.. كنت شاباً متحمساً.. فتحركت في اليوم الثاني أو الثالث من قيام الثورة متجهاً إلى قبيلة العبسية بوادي سهام.. وأيضاً إلى الحدود المقابلة جنوب الوادي، حيث أطراف الزرانيق والعبسية.

واجتمعت هناك بالمشائخ والعقال.. وبأفراد الناس وكنت أشرح لهم فوائد الثورة وضرورتها.

وبعد الأخذ والرد معهم كنت آخذ البيعة منهم للإمام عبدالله بن أحمد الوزير.. وكانت أكثر المبايعات بخطي. بما فيها أسماء وتوقيعات وبصمات المشائخ والعقال والأعيان..

حين عدت إلى المراوعة كنت أشعر بأنني فعلت شيئاً كبيراً.. وبرغم

المخاوف التي ستنتج عن المجازفة إلا أنني.. بعثت بتلك المبايعات إلى صنعاء.. وفي مغربة مناخة ألقى عامل حراز القبض على البريد، وأرسله إلى حجة، حيث كان الإمام أحمد حميد الدين، قد وصل إلى هناك وهو يُعد العدة للقضاء على الثورة.. وما هي إلا أسابيع حتى انتصر الإمام أحمد وقضى على الثورة والثوار.. وسقطت صنعاء بيد القبائل.

وإزاء ما حدث انتابني الخوف وشعرت بالقلق حتى كان يُخيلُ إليّ أنني أرى الإمام أحمد أمامي، فلم أكن أنام أو آكل إلا لماماً.. ومرت ثلاثة أيام وأنا في حالةٍ من ذهولٍ وخوفٍ إلى حدّ الشعور بالموت.. وفكرت بالهرب إلى عدن.. وبالفعل تحركت متوجهاً إلى قرية المهد.. وهي قرية الشيخ سليمان سالم.. شيخ الربصا والعبسية بوسط وادي سهام.

وكان الشيخ سليمان سالم قد أصابه مرض قبيل ثورة ١٩٤٨م.. فذهب إلى عدن للعلاج.. وعندما هربت إليه، كان قد عاد للتوّ من هناك، وكانت عودته بطلب من القاضي حسين الحلالي الذي كان يحترمه جداً ويعتمد عليه.

أذكر أن الوقت كان المساء عندما وصلت إلى الشيخ سليمان سالم.. وعلى الفور شرحت له قصة ما فعلت.. وما أنا فيه من شعورٍ بالخوف والقلق.. وطلبت منه تهريبي إلى عدن بالطريقة التي يراها.. قبل أن يلقى القبض عليّ.. وأُرسل إلى الإمام أحمد في حجة.

وعندما رأى الشيخ حالتي وبؤسي ووضعي الحرج.. طمأنني.. وهدأ من روعي.. وقال لي: اذهب الآن فنم وغداً نفكر.

وخصصت لي غرفة عليا (منظر) لأنام، وأين مني النوم؟.. وكل ما فعله الإمام بالأحرار ماثل أمام عيني.

أذكر أني كنت من ناحية الصحة ضعيفاً جداً.. كان وزني قليلاً.. وجسمي بالغ النحافة.. وبتّ ليلتي تلك فريسة مخاوف وهواجس فلم أذق.. ساعة من النوم.

وبينما أنا على تلك الحال، وفي منتصف الليل وصل إلى القرية ثلاثة عساكر بالهجن.. يبحثون عني.. ولما لم يكن الشيخ سليمان سالم رحمه الله يستطيع هو ولا غيره إخفائي عن الإمام في تلك الفترة بالذات.. فإنه أخبرهم بأني موجود لديه وأنه سيسلمني إليهم.. ولكنه طلب منهم أن يناموا إلى الصباح.

وافق العسكر الثلاثة على طلب الشيخ سليمان سالم.. بل ربما كان النوم إلى الصباح بما سيعقبه من إكرام الشيخ لهم هو عزّ الطلب بالنسبة لهم.

وفي الصباح صعد إليّ.. وأخبرني عن مجيء الجنود وما دار بينه وبينهم.. ثم طلب مني أن أسلم نفسي.. وربما أنه تحسس مدى رعبي من ذلك.. فسرعان ما تغيرت لهجته.. وفي جزمٍ وقوة جنانٍ أسمعني الشيخ كلاماً بعث القوة في نفسي.. وجعلني أسمو تماماً على الموقف.. هكذا بمنتهى الشجاعة قال لي: كن رجلاً.. وتحمل وأنا لن أتركك.. وهذا وجهي لك.. بأني سأتابع بعدك حتى يفرج عنك وتخرج من السجن.

وأذكر أنني فكرت في تلك اللحظات بعمق.. فكرت في أسوأ الاحتمالات.. السجن؟.. الإعدام؟.. ليكن فلا مفر إذن.

وبدأت أصحو من مخاوفي واضعاً أمامي الاحتمالات بما فيها الأسوأ والأكثر سوءاً.. وهكذا استسلمت لمصيري.. ونزلت مع الشيخ إلى الحوش حيث كان ثلاثةٌ من الجنود العتاولة في انتظاري.

ورأيت نفسي شاباً نحيلاً ضعيفاً.. ولكنني أحسست بقوة جبارة تنبعث من داخلي.. وإيمان لا حدود له يملأ كياني..

وجيء بطعام الإفطار (القراع).. فجلست مع الشيخ وثلاثة جنود.. وجدت نفسي لأول مرة منذ ثلاثة أيام أقبل على الأكل إقبالاً عجيباً.. وبلذة بالغة.. أكلت الكِدِرَ مع الرائب والسمن والبيض.. وشعرت بالحياة تعود إلى نفسي.. وطردت تماماً القلق والخوف من ذهني..

ودخلت مع الجنود إلى المراوعة.. حيث ركب الجنود هجنهم وأنا على حمار. وفي المراوعة ذبحنا لهم كبشاً.. ثم بعد الغداء ساقوني إلى الحديدة.. وقد أعطيت زمامي للأخطار ولا أمل لي إلاّ وعد الشيخ بالمتابعة بعدي..

وفي الحديدة أخذوني إلى المرحوم أحمد زبارة وكيل الحلالي.. وقالوا له: جئنا بفلان.. فقال لهم: خذوا أبوه إلى الحبس الشريف وقيدوه..

وأخذوني إلى الحبس حيث وضعوا القيد في ساقيّ، وكنت ضعيفاً جداً كما قلت.. وعندما أراد الشاوش.. أن يضع لي سك الحديد الذي كان يُسمى (مَرْوَدْ) فكرت أنا ورفيقٍ لي، أن ذلك سيكون كارثة علي لأنه سيؤلمني جداً.. نظراً لضعف ساقيّ.. واتفقت مع مرافقي ذاك على إعطاء الشاوش مبلغاً من المال.. ليتراجع عن فكرة سك الحديد.. وبالفعل وافق بعد أن أعطيناه مبلغاً من الريالات.

وبعد تقييدي صعدوا بي إلى مكانٍ صغيرٍ في أعلى المبنى.. كان يُسمى (الطيرمانة) حيث عليّ الانتظار حتى يتم القبض على بقية المطلوبين في محافظة الحديدة.. ممن ساندوا الثورة لنذهب جميعاً إلى حجة..

ومرت الأيام بطيئة كل يوم كأنه سنة.. وخالجني شعور بأن الفأس قد وقع في الرأس.. وأنني سألقى مصير الذين سبقوني.. ولم يكن يخفف عني معاناتي.. إلا أمران..

الأول: أملٌ واهنٌ في نجاح الشيخ سليمان سالم.. في إطلاقي.. قبل أن أذهب إلى سجن حجة الرهيب.

والثاني: شخصٌ ذو مروءةٍ ونجدة.. اسمه حسين بن عبدالرحمن بن عبدالله السقاف.. الذي كان يرعاني.. فيأتي بالأكل.. ويوالي الزيارات وقدم فراشاً وشراشف وكان معي أكثر من أخٍ وأكثر من صديق.. وكان ملاكاً إنسانياً بحق.

وأتذكر أنني عندما وصلت إلى قرية المهد.. قرية الشيخ سليمان سالم هارباً.. كان الوقتُ ليلة الجمعة، ويوم السبت دخلتُ السّجن بالحديدةِ.. ويوم الأربعاء.. وصل إلى الحديدة الإمام أحمد حميد الدين، ومعهُ القاضي الحلالي قادماً من حجة.. ومتجهاً إلى القاعدة (تعز).

وعند مروره بالحديدةِ أبقى الحلالي بها بصفته نائب الإمام عليها.. كما كان قبل الثورة..!

وعندما بلغ الشيخ سليمان سالم.. أن القاضي الحلالي في الحديدة.. غادر قريته فوراً إلى الحديدة وزار الحلالي بدار البونية.. مقر النائب.. وكانت زيارته له عصر الخميس.. وهناك شرح الحلالي له شرحاً مفصلاً.. انتصار الإمام أحمد.. وقبل أن ينتهي لقاؤهما.. الذي لاحظ الحلالي فيه مدى اعتلال صحة الشيخ.

اقترح أن يذهب الشيخ إلى أسمرا للعلاج.. وأخبره أنه سيتوجه بنفسه إلى الإمام في القاعدة.. ويطلب منه إصدار توجيهاته بإرسال الشيخ إلى أسمرا.. وقال للشيخ: هيئ نفسك للسفر..

ووجدها الشيخ فرصة سانحة ليطرق موضوعي مع الحلالي.. فطرقه مهوناً منهُ وطالباً إطلاقي من السجن..

وأبدى الحلالي تحفظهُ في ذلك، وراح يحاول إفهام الشيخ أنه سيطلقني ولكن بعد أن يستأذن الإمام.. ولكن الشيخ سليمان ألح عليه وفي حزمٍ قال له: أنا أطلب منك إطلاق فلان، فأنا أعرفه، وأعرف جيداً أنه مسكين ومجرد موظف... والإمام قد انتصر.. نصره الله وآزره.. وجاء إليه بكل رجالات اليمن..

وبعد أخذ وردّ وافق الحلالي على إطلاقي بشرط أن يكتب الشيخ سليمان سالم.. أنهُ كفيلٌ وضامنٌ سلوكي حتى يستطيع إقناع الإمام بالإطلاق.. وإلاّ فإنه سيسلمني للدولة..

وافق الشيخ سليمان على أن يكفلني.. وكتب ابنهُ إبراهيم ورقة الضمان ووقعها الشيخ باسمهِ.. وقد كان ذلك الشيخ العظيم أُمِّيّاً لا يقرأ ولا يكتب إلا اسمه..

ثم كتب الحلالي أمر إطلاقي في وريقةٍ صغيرة.

ولا أنسى تلك اللحظات التي وصل فيها الشيخُ إلى الحبس (الشريف) ومعه أولادهُ وحراسةُ وسلم مأمور الحبس أمر إطلاقي.. ودفع له خمسة ريالات.. فانطلق أحد العساكر صاعداً في الدرج وهو يستدعيني.. أحمد جابر.. أحمد جابر..

وشعرت بالفزع فقد كنت لا أعرف الذي حصل، وتبادر إلى ذهني أنهم ينادون بي.. لأن ساعة ارتحالي إلى سجن حجة قد حانت..

ولكنني ما إن رأيتُ العسكري حتى قال لي: هـات البشـارة.. قلـت لـه.. لماذا..؟

فقال: هات البشارة فقد جاء أمرُ إطلاقك..!

و لم أكد أصدق.. أن ذلك قد حدث.. وفوراً منحته ريالاً.. بينما كـانت المشاعر البهيجة تجتاح جوانحي اجتياحاً..

ثم أخذني ونزل بـي إلى أسفل حيث فوجئت بذلـك الرجـل العظيـم.. الشيخ سليمان سالم.. وأبنائه وحراسه في انتظاري.. فمددت رجليّ.. وفـكّ القيد منهما.. ثـم أخذنـي الشيخ معـهُ.. لأنـام هانئـاً في بيتـهِ بحارة الـتركي بالحديدة.

كنت عند الشيخ سليمان سالم قبل أن يُقبـض علـيّ ليلـة الجمعـة في قريـة المهد.. وها أنذا معهُ ليلة الجمعة بعد إطلاق سراحي.. أي مكثتُ في السجن سبعة أيام بدلاً من سبعة أعوام.. فأي جميل طوقتني به أيهـا الشـيخ العظيـم.. يرحمك الله، ولقد بكيت علـى قـبرك كمـا بكيـت علـى والـدي رحمـه الله، وأعطيتني درساً عظيماً في هذه الحياة.

الفصل الرابع

وقفة مع الثوار

دور المثقفين في ثورة ١٩٤٨م

مادمت قد تحدثتُ عن صلتي ودوري الذي أتيح لي القيام به إبان ثورة ١٩٤٨ م،فإنني سأتوقف قليلاً عن مواصلة سرد الخصوصيات.. لأتحدث عن هذه الثورة مناقشاً بعض الأفكار والآراء.. التي تجحف بحق الثورة ورجالها وتتعامل معها بمنطق اليوم.. لا بمنطق وقتها وظروفها الداخلية والخارجية.. وتلك التي حكمت إلى حدّ كبير أسبابها وأحداثها ونتائجها..

في سنة ١٩١٩- انتهى حكم الأتراك في اليمن نتيجة للحرب التي خاضها اليمنيون بقيادة الإمام يحيى حميدالدين ضد هذا الحكم.. هذا من جهة، ومن جهة أخرى كإحدى نتائج الحرب العالمية الأولى التي جردت تركيا من كل موطئ قدمٍ لها خارج أرضها...

وأصبحت اليمن دولة مستقلة ذات سيادة..

وما هي إلا سنوات قليلة مرّت حتى شعر الناس أن ثمة شيئاً غير طبيعي يحدث..ذلك الشيء هو السبب الذي أسمعنا همسات المحلوي ورفاقه، فقد

عمد الإمام إلى التخلص من بعض أو على الأقل التقليل من شأن السادة الأقوياء الذين كان يتوقع منهم منافسته على الحكم.. وكذلك من بعض الفقهاء والمشائخ...

وبدا واضحاً أن الحكم صار يتخذ مظهراً قوامه الرغبة والتسلط والاستئثار والحكم المنفرد بما يرافقه من بطش بكل من تحوم حوله الشكوك.

وأنا أعتقدُ أن حرص الإمام على مسألة ضمان الحكم له قد جعله بعيداً إلى أبعد الحدود عن تحقيق أدنى تقدم في أي مجال من مجالات الحياة الحديثة، بل إن اليمن عاش عزلة خانقة.. فصلت القرية عن القرية والمدينة عن المدينة.. فكانت اليمن كما سبق أن شرحت.. تعيش مايشبه الحكايات الخيالية التي من الصعب أن يشرح المرء لهذا الجيل أوالأجيال القادمة.. مقدار لا معقوليتها.. وفظاعتها..!

كيف كان يعيش اليمنيون..؟

وكيف كان الحكم..؟

لا مدارس - لا تعليم، لا صحة،لاطرق، لامواصلات.. وليست لها صلة لا من قريب ولا من بعيد بالعالم..

ثورة ١٩٤٨ كان لابد منها لأن الحال لم يعد محتملاً كانت هناك مجموعة من رجالات اليمن.. ممن يحملون فكراً مضيئاً.. ولهم رؤية.. يريدون من خلالها إدخال اليمن إلى العصر..

وأنا عندما أكتبُ الآن معتمداً كلمة (ثورة) وصفاً لما حدث عام ٤٨، أبدي استغرابي وتعجبي إلى أبعد الحدود من أولئك الذين لاتعجبهم كلمة

ـ ثورة.. إنها ثورة بكل ما تعنيه الكلمة، ثـورة بمـا تحمـل مـن أهـداف.. وبمـا جاءت به من دستور مقدس.. وإمــام.. يعـرف الجميـعُ أنـه مقيـد بالدسـتور وبمجلس شورى..

وهي ثورة بما أعطاه رجالها الذين بذلوا الغالي والنفيس.. وقدموا أرواحهم من أجل تحقيق الدستور ومن أجل الحكم الشورويْ.. فتآمر على وأدها جميعُ الحكام العرب.. الكل يعرف أن عبدالرحمن عـزام الـذي طلبتـه صنعـاء علـى رأس وفدٍ من الجامعة العربية توقف في السعودية.. وبطـرق مختلفـة تم تأخـيره من أجل أن يتم القضاء على الثورة..

ومن المعروف أنه ابتداء من الثلاثينات.. قام المثقفون بأدوار عظيمة.. برز اسـم المصلح أحمد الوريث.. والتف حوله عدد من الشبان الذين لهم تطلع إلى الجوانـب المضيئة في العصر.. وكان في طليعة هؤلاء الشباب (أحمد المطاع، العزب، المحلوي) وغيرهم كثير.

الوريث كان يركز علـى التوعيـة الثقافيـة.. أمـا المطـاع فكـان يدعـو إلى الثورة.. أو بالأصح يميل للتمهيد لها..

أما المناضل المحلوي.. ومعــه العـزب فكانـا يمثـلان دور الحركـة الدافعـة.. وكل أولئك كان لهم نصيبهم من التضحيــات.. والبـذل.. وفي ذلـك الواقـع وتلك الظروف.. وكانو مثالاً مشرقاً على دور المثقف في تلك المرحلة..

وإذا ما وصلنا إلى ما قبل ثورة ١٩٤٨م فسنلاحظ ظهور كوكبـة لامعـة مـن خيرة رجال اليمن عبر التـاريخ أمثـال (الزبـيري.. والنعمـان، والحـورش، ومحيـي الدين المسمري) والعنسي.. هؤلاء وكثير غيرهم من العلماء والمثقفـين كـان لهـم الدور الأكبر والحاسم في قيادة الثورة..

لقد كانوا يتحركون كمن يمشي في حقل ألغام.. تخلف يطغى على كل شيء.. وجبروت الإمام وولي عهده أحمد الذي كان يقسم أنه يريد أن يلقى ربه وسيفه مخضب بدماء العصريين..

وكانت أشعار الزبيري تملأ الدنيا.. وتزلزل عرش الإمام..

لقد تمكنت الإمامة من نشر أفكار مضللة عن الدستور.. والأحرار، وقالوا للناس إن الدستور ماهو إلا اختصار للقرآن، وأن الدستوريين كفرة ملحدون..

وأفكار تلك الطلائع هي التي كانت وراء فكرة اغتيال الإمام يحيى الذي كان رجلاً مقدساً.. وأسطورياً..

ومن غير المعقول أن يقدم شخص على اغتياله بتلك الصورة.. لقد كانت ثورة ١٩٤٨ م حدثاً عظيماً بكل المقاييس وكان المثقفون هم قلب الحدث.. وطلائعه.

وعندما أقول (المثقفون) فأنا أعني غالبية المشاركين فيها فقد كان منهم الشاعر والأديب والعالم والضابط.. وبعض الأسر الهاشمية الساخطة.. وهؤلاء بالضرورة مثقفون..

ولقد استطاعوا في النهاية تفجير ثورة ١٩٤٨م.. وهي ليست أول ثورة في البلاد فحسب.. بل كانت أيضاً أول ثورة في الساحة العربية القائمة..

وكان من هؤلاء المثقفين الذين قاموا بالثورة – شعراء كبار باشروا فعالياتها..

وكان الزبيري ضمن الوفد الذي سافر إلى السعودية للقاء وفد الجامعة العربية.. وقد حاول هو ورفاقه معهم بكل الوسائل ولكن دون جدوى..

وبعد إخفاق الثورة اقتيد أغلب رجالاتها إلى حجة، وأعدم الإمام عدداً كبيراً منهم.. أعدم علماء ومثقفين.. حتى الضباط الذين شاركوا فيها وأعدمهم الإمام كانوا ضباطاً مثقفين.. ولقد ظل البقية في سجونهم حتى أطلقوا عند قيام الحركة الوطنية التي قام بها البطل أحمد الثلايا سنة ١٩٥٥م..

وهكذا وبعد عام ١٩٤٨ م جاء الإمام أحمد ليحكم اليمن..لا كإمام ولكن كأسطورة فقد اشتهر الرجل بشجاعته في شمال اليمن في حروبه هناك لتوطيد الحكم أو ضد السعوديين في ١٩٣٤م.

وكذلك اتسعت شهرته بعد انتصاره على الزرانيق في تهامة..

الإمام أحمد هو الذي وطّد حكم والده.. أما والده الإمام يحيي.. فكان جالساً في صنعاء، ولم يخرج منها إلا مرة واحدة إلى دمت وقد ودعه الناس في صنعاء بالبكاء وكان خروجه حدثاً استثنائياً..

وأحمد هو الذي وطّد حكم أبيه كان كما قلت شجاعاً بمعنى الكلمة.. ولكنه كان ضد أي تحركٍ وطني مهما كان..

ولقد ظل بعد استلامه الحكم سبع سنواتٍ وهو يحكم بقوة العنف والشدة.. لا يكل ولا يمل، وأنا أدعو أبنائي إلى زيارة سجون حجة ليروا بأنفسهم كم قاسى الأحرار الذين استمر سجنهم من خمس إلى سبع سنوات إن لم يزد..

وما فعله الإمام أحمد من تنكيل بالأحرار هو ما جعل غليان الناس يظل مستمراً ضد إمامة بيت حميد الدين، سواء داخل سجن حجة أو بين أوساط الفئات الشعبية خارج السجن..

وهذا الغليان هو الذي أفرز حركة ١٩٥٥م التي نصبت عبدالله بن يحيي إماماً..

وقد دفع إخفاق الحركة الإمام إلى الفتك بالبقية الباقية من الأحرار.. الذين أعدمهم في تعز.. كما أعدم أخويه عبدالله والعباس في حجة..

سبع سنوات من سفك الدماء ثم بدأ الوحش الكاسر بعدها يتراجع ويرتد.. بعد أن شاخ في العمر.

وكان يستغرب من نفسه إلى أبعد الحدود.. كيف تسرع الشيخوخة إليه بهذه الصورة.. حتى إنني أتذكر أن بعض الشخصيات كانت تكتب إليه رسائل من هناك عن أشخاص فكان أحياناً لايلقي لها بالاً، وخاصة عندما قام البطلان اللقية والعلفي في مستشفى الحديدة.. ووجها سبع رصاصات إلى جسمه فتظاهر يومها أنه مات ولكن هزيمته بدأت بعد ذلك اليوم فكان أحياناً يشعر بالذل.. كان لا يتصور أن اللقية والعلفي يقدمان على مثل هذا العمل... ويسقطانه على الأرض، وهو يرى الدماء من جسمه تملأ الأرض أمام عينيه.. شيء لا يصدق..

وحتى الذين لايعرفون هذا الرجل لايتصورون أيضاً كيف حصل هذا..

وحقيقة أقول إن الإمام أحمد يختلف عن والده من ناحية أنهُ حقق انفتاحاً محدوداً.. فقد فتح بعض السفارات وعبد الطريق من الحديدة إلى صنعاء.. واشترى أسلحة للجيش.. وإن كانت قديمة.. وهو في كل ذلك يختلف عن والده..

وحتى نظرة الناس كانت تختلف.. بين أحمد ووالده..

كان الإمام يحيي مقدساً.. عندهم.. أما الإمام أحمد فلم يكونوا ينظرون إليه كإمام ذي قدسية.. بل كملك.. جبار مشاكس.. مقاتل، سفك الدماء عنده يسير وسهل..

الإمام يحيى كان يستخدم العنف ولكن بطريقة خفية.. وهو قتل بالفعل أشخاصاً.. بتلك الطريقة.

أما أحمد فكان واضحاً في هذا المجال.. وكان يخرج بسيفه، ويعلن أن هذا السيف.. سوف ألقى به الله وهو مخضب بدماء العصريين وكان إعلانه هذا يخيف العصريين إلى أبعد الحدود ففر من فر منهم إلى عدن.. وتوقى من توقى.

هذه كانت أوجه الخلاف.. بين أحمد وأبيه.. ولكنهما كانا يلتقيان في نقطة مهمة هي عدم اعترافهما بأن هناك شعباً له حقوق أوله حق على الأقل في الزكاة التي كانت لا تعطى للفقراء والمساكين..

كان حكمهما منغلقاً لا يؤمن إلا بنفسه.. وليس له أية صلة بالناس. إلا أنهم من فوق والناس من تحت.. لم يكن أي منهم يعترف بالشعب، حتى رسائل الإمام عندما كان يعين حاكما أو عاملاً أو موظفاً يكتبُ: الرعية.. أو رعيتنا.. وهناك.. رسائل بخط الإمام يحيى.. جاء فيها بالنص هكذا:إلى خدمتنا وتكون الرسائل موجهة إلى شخصيات اعتبارية وهو يخاطبهم هكذا: إلى خدمتنا.

أشياء غريبة شعرت أنه من المحتم عليّ أن أسردها لشبابنا وللأجيال القادمة. ولا أستطيع نهائياً إعطاء هذا الجانب حقه بما فيه من غرابة وما فيه من عودة إلى القرون الوسطى.

الفصل الخامس

أشياء مؤثرة

سنوات التحولات

كانت مشاركتي البسيطة على ذلك النحو في ثورة ١٩٤٨م، وما حدث من تبعاتها، بمثابة الطفولة التي تتفتح عن محاولة لرؤية الحياة.. والخوض في غمارها.. خوضاً مشفوعاً بالعجب والتهيب..

وأنا من المؤمنين بعد أن وصلت إلى هذه السن أن الحياة من صنع البشر.. وليست من صنع مجردات عديمة الحياة.. ولذلك فإن على البشر أن يزيلوا العقبات التي تعترض طريق التوسع في رؤيتهم وأساليب تعاملهم مع الحياة.. بكل نواحيها.. وإنها لمهمة صعبة أن تتغير.. ولكن كلما اشتدت الحاجة إلى التغيير، برزت ضرورة النضال من أجله...

ويبدو لي الآن أن أوضاعي كانت في حاجة أيضاً إلى التغيير.. وأن ذلك التغيير يحتاج إلى بعض الإصرار والاقتناع، وعليه فإني لم أتردد في اتخاذ قراري.. فما إن عدت من الحديدة إلى المراوعة بعد فترة السجن.. حتى تكون لدي العزم الكامل على الانتقال من المراوعة بأي شكل من الأشكال.

وكانت أسبابي الخاصة جداً.. تكمن في إحساسي أنني لا أصلح للحياة في قرية.. إنني أريد مدينة تعج بالحياة وتتصل بالناس.. وأستطيع من خلالها أن أرى العالم ولو بشكل محدود...

وكان السبب المهم هو تلك المعاناة التي لقيتها جراء الدسائس التي كان

يحيكها لي أحد الشخصيات بهذه المدينة الصغيرة.. كما سبق أن سردت في الفصل السابق..

لقد صرت على اقتناع تام بأن المراوعة لم تعد تتسع لي.. وأن الحديدة هي منشودي..

وفي بداية عام ١٩٤٩م.. كنت في مدينة صنعاء.. حيث كان مجيئي إليها لغرض أن أراجع وزارة المعارف بشأن انتقالي.. من المراوعة إلى الحديدة..

ولما لم يكن في صنعاء وقتها فنادق أو حتى مواضع تكتري للنوم فإني.. نزلت ضيفاً على الأخ العلامة محمد بن محمد إسماعيل المنصور وصلتي بهذا العالم الورع لم تكن صلة جديدة.. بل هي امتداد لصلة قديمة منذ أن كان والده العلامة محمد بن إسماعيل المنصور يرحمه الله عاملاً للإمام يحيى حميد الدين على بيت الفقيه.. وكانت تربط أخي عبدالله علاقة وطيدة جداً بالأب والابن... حيث كان الأب يحظى بمكانة كبيرة عند الناس في بيت الفقيه حتى إنه عندما قرر أن يبني لنفسه بيتاً في صنعاء شاركه كل أعيان المدينة تكاليف البناء (إعانة) وعلى منوال الأب كان الابن.. الذي نزلت عام ١٩٤٩م في ضيافته بالفليحي بصنعاء...

كان لهم بيت واسع يشرف على بستان جميل، وقد خصصت لي غرفة في أعلى الدار... وكان العلامة محمد محمد المنصور بالغ الحفاوة بي.. وكذلك كان أخوه الأديب علي يرحمه الله.. وكل من يتصل به..

كانت الحياة في بيت المنصور بالفليحي حافلة.. فالرجل ذو وجاهة وصلاته كثيرة جداً.. كنت أذهب كل يوم إلى وزارة المعارف للمراجعة... ولم يكن محمد بن محمد المنصور ليتركني فقد كان يوصي بي.. ويعينني في كثير من الأشياء..

وأخيراً تمت الموافقة على طلبي ونقلت بالفعل إلى مدينة الحديدة.

وعينت مديراً مساعداً لمــدارس الحديـدة.. وكـان مدير مـدارس الحديـدة آنذاك الوالد الأستاذ محمـد خلوصـي رحمـه الله.. ولم تمض إلا فـترة قصـيرة حتى تقاعد الوالد محمـد خلوصـي عـن العمـل.. فعينـت بـدلاً منـه.. مديـراً لمدارس الحديدة.. حيث بقيت في هذا المنصب إلى بداية عام ١٩٥٥م..

وقـد اصطبغـت هـذه الفـترة مـن حيــاتي بصبغــة التحـولات السياسـية والاجتماعية والتربوية وحتى الإعلامية التي انعكست على شخصي.. وأثرت في رؤيتي.. ونظري إلى ما يدور مـن حـولي.. والحقيقـة أن تلـك الفـترة الـتي قضيتها مديراً لمدارس الحديدة.. كانت من أحسن أيام وفترات حياتي.. فقـد كـان أغلـب زملائـي في التدريـس بمـدارس الحديـدة.. هـم مـن زملائــي في الدراسة بصنعـاء.. الأسـتاذ العـزي مصوعـي، علـي عبدالعزيـز نصـر، صغـير سليمان.. محمود الكتري، أحمد هاجي، عبدالرحمن با بعير، إسمـاعيل شـريج، أحمد العزي بـلال، شـحاري ثـواب يحـي، علـي محمـد أزرق، محمـد حسـن محسن، محمد قاسـم، سـليمان النعمـي، العـزي وجيـه، عمـر هـارون، محمـد عبدالله الأحمر، عمر القليصي وغـيرهم. وكـان معنـا أسـاتذة أجـلاء أمثـال: محمد لقمان، الفقيه عايش، إسماعيل الحرازي، وآخرين. كنا ندّرس برغبــة لا أجدها اليوم في الأجيال الجديدة من المدرسين.. ربما لأننا نحمل آمالاً حقيقيـة في المستقبل تجعلنا أكثر إقبالاً وتفاؤلاً.. حيث كانت تلك الفترة بداية الزخـم التغييري في بلادنا وفي البلاد العربية بل وفي بلدان العالم الثالث قاطبة..

كان بيننا انسجام أخوي.. وألفة إنسانية.. ولبساطة الحيـاة آنـذاك.. فقـد كان رباط الصداقة الذي يربطنا رباطاً عفوياً تلقائياً.. لا تشـوبه شـوائب ممـا يمكن أن يلصق به دافعاً أو دوافع أخرى.. من الدوافع التي مع الأسف نجدهـا اليوم طاغية على علاقات الناس.. كالمصلحة غير البريئة وسواها..

كنا نحب طلبتنـا.. فنعطيهـم مـا في عقولنـا ونفوسـنا بصـدق.. ومسـؤولية.. والتزام أخلاقي.. فتخرج على أيدينا مجموعـة لا بـأس بهـا مـن الشـباب الواعـي المتطلع إلى المستقبل.

وكـانت عندنـا بعثـة تعليميـة مصريـة.. في ذلـك الوقـت.. فنشـأت بيننـا صداقات متينة.. حيث اختلطنـا بهـم فانسـجموا معنـا، وانسـجمنا معهـم.. وكان التعليم يجمع بيننا ويوحدنا ولا شك في أنهم في ظل الاختلاف القـائم آنذاك بـين الظـروف الاجتماعيـة في اليمـن ومصـر.. كـانوا يشـعرون بغربـة حقيقية أعظم مـن تلـك الـتي سيشـعر بهـا مدرسـون مصريـون في يمـن هـذه الأيام.. ولكننا كنا مصممين على إيجاد أجواء حقيقية مؤنسـة مـن حولهـم.. فكنا نشجعهم تشجيع محبة وأخوة.. كنا نلتـف حولهـم.. ونسـمع قصصهـم وأحاديثهم.. عن مصر.. وتاريخها وأهلها.. وعظمتهـا.. ومـا فيهـا مـن ثمـار الحضارة المعاصرة مما ليس يوجد عندنا...!!

وكـم كــان يبـدو مبهـراً لنـا حديثهـم عـن المسـارح والشـوارع المعبّـدة.. والقطارات والسكك الحديدية.. ودور السينما وغيرها..

وكنا نتحدث كثيراً عن مصر ومجريات الأحـوال والأمـور فيهـا خصوصـاً بين عام ١٩٥٠ - ١٩٥٤م، وهي فترة التحولات والثورة في مصر...

وقبل تركي للمراوعة كنت قد تزوجت.. من هنـاك.. بـامرأة جيـدة وطيبـة، وهي زوجتي الأولى أم ولدي الكبير طه.. وابنتي العزيزة هدى.. وبعـد فـترة مـن انتقـالي إلى الحديـدة انتقلـت زوجـتي إلى رحمـة الله.. وبقيـت أرعــى أولادي..

رسالة من النعمان

كثيرة هي الحوادث الصغيرة.. التي يكون تأثيرها في حياة الفرد أهم من تأثير الحوادث الكبار.. بعض الحوادث الصغيرة تشبه انشطار الذرة.. تدمر وتقتل، وبعضها يشبه انفلاق الحبة.. تظهر الحياة والنماء.

في الفترة التي أسرد ذكرياتها وبالتحديد عام ١٩٥٢م، حصلت حادثة من هذه الحوادث الصغيرة ولكنها كانت من ذلك النوع الذي يحفر عميقاً بداخلنا.. فما يزال تأثيرها معي إلى اليوم.

كنت في ذلك الوقت مديراً لمدارس الحديدة - كما ذكرت سالفاً - وجاءتني رسالة صغيرة بخط الزعيم الأستاذ أحمد محمد نعمان رحمه الله وقد كتب الرسالة التي شدتني جداً خطها الجميل.. يطلب مني شراء بعض الأدوية وإرسالها إليه..

وبالنسبة للطلائع المستنيرة في ذلك الوقت فإن الأستاذ النعمان.. كان ملء العين والبصر.. مناضلاً ومثقفاً مستنيراً وتربوياً وثائراً.. ولذلك فإن رسالة منه إلى أيٍّ كان تبدو مفخرة عظيمة.. وشرفاً كبيراً بالغاً.

فرحت حتى شعرت أن الدنيا لا تسعني.. فها أنذا أقرأ رسالة الأستاذ نعمان يكتب لي بخطه الجميل: إلى الولد العزيز.. وبعد قراءة الرسالة أكثر من

مرة.. سارعت إلى شراء الأدوية وأرسلتها.. لا أتذكر الآن.. هل إنني أرسلتها بواسطة الأخ عبدالرحمن سيف أم بواسطة الأخ عبدالرقيب نعمان..

ومع الأدوية أرسلت إلى الأستاذ نعمان رسالة أبدي له فيها مشاعري نحوه، وأشكره على تشريفي بطلبه مني تلك الأدوية.. وفيها أيضاً أخبرته بمدى اعتزازي برسالته...

وبعد أسابيع جاءني الرد منه.. وكان الرد مكتوباً على الوجه الآخر من الورقة التي أرسلت فيها رسالتي إليه، بدأ بشكري على إرسال العلاج إليه، ثم طلب مني أن أعيد قراءة رسالتي التي أرسلتها إليه..

وجريت بناظري على سطوري.. فوجدت أنني في سياق كلامي إليه.. كتبت له (ماعدا) ولكنني لم أكتبها بالألف الممدودة وإنما كتبتها بالألف المقصورة هكذا (ماعدى).. ولذلك وضع الأستاذ نعمان تحتها خطاً بقلمه الأزرق.. ثم كتب فوقها (ماعدا) بالألف الممدودة.

هذا العمل البسيط قلب تفكيري في تلك الأيام رأساً على عقب.. بل كان درساً تلقيته و لم أنسه إلى اليوم..

لقد كان الأستاذ نعمان رجلاً عظيماً.. وإنساناً فذاً وتاريخه ومسيرة حياته تبقى هي الأجمل والأروع والأكثر غنىً.. فهي تحمل صفات الديمومة والاستمرار لأنها مسيرة حوادث ضخمة.. ومهمات جليلة.. وعميقة التأثير في عقول أجيال من أبناء هذا الوطن..

كان نعمان الثائر المناضل نزيل سجن حجة الرهيب يعيش تداعيات إخفاق ثورة ١٩٤٨م.. ويعاني آلام إخوانه السجناء وحسراته على إخوانه الذين أعدموا. ويتألم لشعبه الذي بينه وبين دخول الحياة مسافات ومراحل..

ومع ذلك.. ومع كل تلك الانشغالات الكبيرة تشغله غلطة إملائية بسيطة.. تلفت نظره، وتستوقفه فيقوم بتصويبها ويكتب إلى صاحبها يلفت نظره إليها..!

وكان المتوقع من مثله.. أن يقرأ الرسالة.. فيتغاضى عن ذلك الخطأ البسيط.. إذ إن وراءه ما هو أهم.. وأولى بالتفكير والانشغال.

ولكنه وهو المعلم الكبير والرائد البارز أبى إلا أن يلفت نظري إلى الصواب في كتابة تلك الكلمة..

ذلك الدرس من الأستاذ أحمد محمد نعمان ظل في ذاكرتي يعيش ويحيا وينعكس.. فيما يلاحظه الكثير من تلاميذي وأصدقائي من اهتمامي بالقضايا والأشياء البسيطة.. حيث علق بذهني منذ رسالة الأستاذ.. أننا بمقدار ما نهتم بالأشياء البسيطة نهتم بالأشياء والقضايا الكبيرة.

الفصل السادس

استقراري في صنعاء

زواج في صنعاء

بعد أن انتقلت زوجتي الأولى.. إلى رحمة الله، بقيت بعدها لفترة أرعى طفليّ طه وهدى بدون زوجة.. ولكنني ما لبثت أن أدركت أن الاستمرار على ذلك الحال غير ممكن.. وقررت في نفسي أن أتزوج ثانية.. ولكنني كنت مصمماً هذه المرة أن تكون زوجتي من صنعاء.. وكانت في ذهني بعض الأفكار بكون المرأة الصنعانية بالذات تتوفر على صفات ومميزات لا توجد عند غيرها من النساء.. وربما تكون أكثر النساء اهتماماً بالزوج.. ودفعاً له في شتى مناحي حياته.. بما توفره له من راحة.. وما تفتح له من إقبال على الحياة..

هكذا استقر في يقيني أن الزواج من صنعاء سيكون زواجاً سعيداً وناجحاً.. فاتجهت إلى صنعاء وكان معي من الزملاء، إبراهيم الحضراني، والأخ عبدالحميد الشوكاني شفاه الله، وهاشم طالب رحمه الله، ووصلنا إلى صنعاء.. وبدأت رحلة البحث عن شريكة- حياتي.. وكلي آمالٌ في أن أوفق توفيقاً حسناً في العثور على الزوجة المنشودة التي يحن إليها القلب...

كما سبق القول.. فإنني طلعت بغرض الزواج، وقد دلني أحد الأصدقاء على أن الأخ الصديق علي المحفدي من الممكن الحديث معه حول ابنة أخته.. وقال لي إن أخت المحفدي هي زوجة عمي الصفي الشرفي.. كان شخصية

معروفة في صنعاء، وكانوا يسمونهُ الصفي الشرفي وهو أحمد بن علي الشرفي..

ولم أكن أعرفهُ من قبل.. أما صلتي بالأخ علي المحفدي فقد كانت بيننا صلة قديمة من أيام الدراسة..

وفي جو من الآمال التي كانت تملأ نفسي مشوبةً بتوجس وقلق.. ذهبنا إلى الصديق علي المحفدي.. وطرحنا له الموضوع وأبدى استعدادهُ..

وكان للعم الصفي الشرفي ثلاث بنات وثلاثة أبناء.. فذهبت زوجة الأخ عبدالحميد الشوكاني إلى بيته لرؤية البنات وعندما عادت.. من هناك أثنت عليهن.. واقترحت عليّ الزواج من الوسطى.. وهذه المسألة.. أحياناً تكون مشكلة في صنعاء.. حيث ترفض بعض الأسر زواج البنت الصغيرة قبل الكبيرة.. وتخوفت لذلك، ولكننا تخطينا هذه المشكلة بالتفاهم وقام الأخ علي المحفدي رعاه الله.. بجهد يشكر عليه في هذا التفاهم، وتمت الأمور كما أتمنى بالنسبة إلى المفاتحة والموافقة وتم ترتيب الزواج..

كان بيت الأسرة في نعمان بصنعاء.. وكان هذا البيت يطل على المقشامة وهي حديقة تابعة لأحد المسَاجد..

كنا في بداية صيف ١٩٥٥م، أي في الأشهر المناسبة لإقامة حفلات الأعراس في صنعاء.. والعرس في صنعاء.. جميلٌ جداً

ولا أنسى تلك الليلة التي كانت من أسعد الليالي في حياتي.. أتذكر أنني كنت هكذا ما بين ابن تهامة وابن صنعاء أخذتُ من هناك وهنا، وكانت لهجتي وسط لا هي بالتهامية ولا هي بالصنعانية.

وعندما دخلت على زوجتي وجدتها بحق كما أتمنى.. فقد أخذت بفكري وأحاسيسي.. وكانت سعادتي بها لا تقف عند حد..

وبدأت أرتب معها لفترة كيف نستطيع أن نعيش معاً حياة سعيدة.. لا تشوبها الشوائب ولا تعكر صفوها المشاكل.. كانت وقتها تحفظ القرآن فقط، ثم بدأت أنا بنفسي أدرسها.. وكذلك جلبت لها بعض المدرسين.. وكنتُ باستمرار أشرح لها نهج حياتي.. وبرنامجي، ومن البداية أفهمها حرصي على النظام. وأن الأكل لا يهمني منه إلا أن يكون نظيفاً ومتواضعاً..

زوجتي تفهمت بشكل جيد طباعي وتوجهاتي.. وكانت على استعداد ورغبة أكيدة في أن تعيش معي حياة سعيدة.. كانت مستعدة لأن تتقبل مني أي خطوة، أو خطة أضعها لها..

فتفهمتْ حبي للنظام.. في حياتي.. ومعيشتي، وأكلي، ومنامي، وقراءاتي. إلى آخر ذلك..

وبعد فترةٍ من زواجنا أخذتها معي إلى الحديدة حيث كان عملي هناك مديراً لمدارس الحديدة.. وعاشت في هذه المدينة قبيل الحركة الوطنية للبطل الشهيد الثلايا ثم عقب الحركة مباشرة انتقلنا إلى صنعاء.. وبقينا في صنعاء إلى اليوم.

الحركة الوطنية عام ١٩٥٥م
بقيادة البطل أحمد الثلايا

كان لانتقالنا إلى صنعاء صلة مباشرة بحركة عام ١٩٥٥م.. ذلك أنني قبيل الحركة مباشرة ذهبت إلى تعز لعمل ما.. والتقيتُ بالشهيد الثلايا مرتين، المرة الأولى عنده في بيته، ومرة زارني في دار الضيافة.. وشاهد دخولهُ ضابط كان مسؤولاً عن دار الضيافة.. وكانت وظيفة هذا الضابط أن يكتب إلى الإمام عند لقاء الأشخاص.. التقى فلان بفلان، وجاء فلان إلى فلان.. ومدة اللقاء.. ولا يكتفي بذلك، بل أنّهُ يتجاوز إلى أشياء يختلقها بحكم وظيفته..

المهم أنّهُ بعد أيام قامت الحركة الوطنية بقيادة الثلايا.. وحوصر القصر.. وشاع بين الناس أنّ الإمام انتهى.. وتنازل لأخيه سيف الإسلام عبدالله مرتين.

وذهبت مع الأستاذ نعمان محمد نعمان.. وهو أخو الأستاذ أحمد محمد نعمان.. إلى العرضي.. بهدف مقابلة سيف الإسلام عبدالله.. وقابلنا الشهيد الثلايا أولاً.. وبينما نحن نتهيأ للذهاب إلى سيف الإسلام عبدالله في غرفة أخرى من العرضي.. فوجئنا.. بانفجار الموقف، هدرت المدافع ولعلع الرّصاص بين القصر حيث الإمام، والعرضي الذي يعسكرُ فيهِ الجيش ثم

توقف القصف.. وفي تلك اللحظات اشتدّ حرج الموقف حيث حاول أحد المشايخ اقتحام حماية الثلايا وقتله، وكانت حراسة الثلايا.. جيدة، كما كان بجانبه أحد المشائخ.. فقتل الشيخان، الذي كان يحاول قتل الثلايا.. والمدافع عنه.. حدث ذلك أمام أعيننا أنا والأخ نعمان محمد نعمان.. ولم يعد بالإمكان مقابلة سيف الإسلام عبدالله... بل إننا صرنا محاصرين.. ومهددين فصار همنا الخروج بأي شكل من العرضي.. ولكن الخروج كان متعذراً علينا.. فقد صرنا محاصرين...

وفي تلك اللحظات المتوترة شاهدنا الصديق الضابط محمد علي الأكوع.. العميد حاليا.. وكان من رجال الثلايا.. فطلبنا منهُ أن يحاول إخراجنا.. كان الباب الرئيسي الشرقي بعيداً.. فنادى العميد الأكوع على أحد الرجال آمراً له أن يخرجنا من الباب الخلفي الواقع في الجهة الغربيةِ من العرضي.. ولكن يبدو أن الرجل الذي أمره بمساعدتنا على الخروج.. قد تغافل أو انشغل عنا.. فذهب معنا الأكوع بنفسه ولقد وجدنا الباب الغربي مغلقاً.. فأمر أحد الحراس بفتح الباب.. ففتحوه لنا.. وخرجنا هاربين نجري إلى دار الضيافة.. وأذكر أن الشارع بين العرضي ودار الضيافة ينحدر انحداراً فساعدنا ذلك على الجري بأقصى سرعة.. فقد كنا خائفين نتوقع الموت..

بعد العصر اشتدت المواجهة بين القصر والعرضي وكان أهالي مدينة تعز بمجرد أن سمعوا إطلاق الرصاص قد بدؤوا التنصير للإمام.. وطلع الكثير منهم إلى القصر من جهة الشمال.. وكان الضرب يزداد بزيادة هتاف الناس بحياة الإمام حتى تمت الغلبة.. وكعادته خرج في اليوم الثاني لإعدام الكثير من رجالات الحركة من علماء وضباط ومشايخ...

وبعد يومين وصل سيف الإسلام البدر من حجة إلى تعز والتقيــت بـالبدر وشرحت له خوفي فقال: يحسن أن تتوجه إلى صنعاء.. فتوجهت إلى الحديدة ومنها إلى صنعاء.. ثم بعد ذلك طلبت عائلتي.. وكان هذا هو سبب انتقــالي إلى صنعاء..

في معترك الفعل

وإذن فإن عام ١٩٥٥م.. وبالتحديد أواخر عام ١٩٥٥ م قد شهد استقراري النهائي في مدينة صنعاء مباشرة.. ثم تعييني مفتشاً عاماً في وزارة المعارف..، وشعرت أن آفاقاً بدأت تتفتح لي وأن قدراً من المساهمة الإيجابية.. في حياة شعبي.. سيكون متاحاً لي.

وكنت عندما انتقلتُ من الحديدة إلى صنعاء.. قد نقلتُ معي أستاذاً.. كان يدرس في الحديدة.. واسمهُ إبراهيم رشدي.. وهو سوداني الجنسية ومن أصلٍ مصري.. كان رياضياً وأستاذاً للغةِ الإنجليزية..

وبدأنا نتصلُ بعدد من الشباب.. نلتقي بهم ونجتمع.. وأنشأنا النادي الأهلي وكانت الساحة التي أقمنا عليها أنشطتنا ساحة معروفة.. موقعها غرب وزارة التربية والتعليم حالياً، ثم إننا طلبنا مدرسين مصريين للتدريس.. وخاصةً في مجال الرياضة.. وكانت صلتي بالطلاب صلة أبوية أجلسُ معهم باستمرار وألقي عليهم محاضرات متنوعة.. وكانت مكتبتي.. مفتوحة للمطالعة إلى حد أن كتبي كانت في أيدي الشباب يأخذونها إلى مقار عملهم.. وقد بدأت أشجع الكثير منهم على الالتحاق بالمدارس والكليات العسكرية حتى يكونوا عدة الوطن عندما يحين الحين..

وهنا توطدت صلتي بمجموعة من الطلائع المستنيرة وعلى رأسهم الشهيد علي عبدالمغني.. وكل زملائه.. يتذكرون مدى حبي لهُ.. وكيف أقام فترة في بيتي.. أرعاه كما أرعى أولادي.

كان علي عبدالمغني شاباً متفتحاً.. وكان يلفت نظري بمدى قدرته على كسب الشباب.. فكانوا جميعاً يلتفون تلقائياً.. حولهَ.. وكان لثقافته دور كبير في ذلك.. فقد انفتح صدره للمعارف المتاحةِ له في ذلك الوقت فعب من كتب الأدب والتاريخ.. وتميز بصفات أخلاقيةٍ جذابة، فكان زملاؤه دائماً من حوله.. وهو يبدو في مقام القائد لهم.. أو الشخص الذي يعتمدون عليه.. ويجمعون على محبته.. وريادته..

وكان من زملائهِ الذين كان لي شرف رعايتهم مجموعة من أمثال علي الشيبه، حمود بيدر، صالح المجاهد، أحمد سرحان، أحمد الفقيه، ناجي المسيلي... وهؤلاء جميعاً كانوا أحبّة.. وكان معهم أيضاً محمد الخاوي،أحمد الرحومي، وعلي البهلولي، وغيرهم ممن لا تحضرني أسماؤهم..

وما كان أكثر لفتاً لنظري في ذلك الوقت هو الحبّ والتلاحم بين الشهيد علي عبدالمغني والشهيد محمد مطهر.. ومن مدة من الزمن قبل قيام الثورة.. كانت تلك العلاقة بينهما تقوى وتكبر وكانا كلاهما موضع إعجاب وتقدير الجميع..

وممن سعدت بالإشراف عليهم ورعايتهم في تلك الفترة حمود بيدر ذلك الشاب المتفتح الذي كنت له بمثابةِ الأب، وكذلك عبدالله محسن المؤيد، الذي لا يزال يشهدُ ببعض الذكريات، وكذلك أيضاً علي بن علي الجائفي، وصالح العريض، ولا أنسى أحمد الناصر وأحمد الشراعي رحمه الله.. وكذلك

عبدالله الراعي الشاب المثقف آنذاك وكل هؤلاء شجعتهم على الالتحاق بالكليات الحربية، وعلى تمثل أو الالتفات إلى المبادئ الثورية التي يناضل شعبنا من أجلها منذ سنواتٍ طوال، والتي قدم من أجلها الكثير من الضحايا..

ومنذ سنة ٥٦ كان أولئك الشباب طليعة التوجهات الجديدة.. وكانت صلتي بهم عندما فتحت الكليات الحربية.. في بيتي وفي المدرسة الثانوية.. وكانوا هم من وراء المظاهرات...

أنشأ سيف الإسلام الحسن المدرسة التحضيرية.. بغرض أن يكون فيها بعض الطّلاب ينتمون إلى الحسن ويوالونه.. ويكونون مناوئين للمدرسة الثانوية التي كانت تتبع وزارة المعارف ولكن ذلك لم يحدث فقد كنت ألاحظُ أن الطلبة في المدرسة الثانوية والمدرسة التحضيرية تجمع بينهم المحبة والتفاهم.. يتقاربون متآخين أخوة حميمة على عكس ما كان مخططاً له من زرع التفرقة بين هؤلاء الشبابّ.

أعود فأقول إن الأحياء منهم اليوم مازالوا يتذكرون مدى ما كنت أبديه من حرصٍ عليهم.. ومدى فرحي عندما كانت تتكشف لعينيّ الجوانب المضيئة في شخصياتهم وتفكيرهم.. ونظرتهم إلى المستقبل وأحلام وآمال التغيير التي يحملونها..

وقد كان أولئك الشباب الذين أثرت فيهم توجيهاتي فالتحقوا بالكليات (الحربية، والشرطة، والطيران) هم فيما بعد الذين فجروا نيران ثورة السادس والعشرين من سبتمبر..

وهنا أتذكر أن الشهيد علي عبدالمغني لم يكن يريد الالتحاق بأي مدرسة من تلك المدارس العسكرية.. بل كان يلح طالباً الذهاب إلى القاهرة للدراسة.. فقد كان رحمهُ الله مثقفاً ومغرماً بالأدب.. ولعل بعض شباب تلك الفترة من زملائهِ ورفاقهِ يتذكرون كم حاولت معهُ.. وما زلت به حتى.. اقتنع برأيي.. وانضم إلى الكلية الحربّية، وهناك مع زملائهِ الذين أسلفت ذكر الكثير منهم.. بدأت تختمرُ فكرة الثورة.. على الإمامة.. وإقامة نظام جمهوري.. لقد كان أفراد تلك المجموعة تجمعهم عقيدة لا حدود لها.. من الإيمان بمصير هذا البلد وضرورة أن تحدث التغييرات باتجاه المستقبل.. حتى تنفتحَ اليمن على العالم وتحقق مستوى أفضل من الحياة لمواطنيها.

الفصل السابع

نوافذ على العالم

دسائس بلا أساس

كان الإمام أحمد يضيقُ بوجودي في صنعاء، ولم يكن وقتها أحدٌ من تهامة يعيشُ في صنعاء غيري، ولا أتذكر أنني سمعت بتهامي له وجود في الوسط الوظيفي وقتذاك[1]، ولكن ضيق الإمام بوجودي في صنعاء.. لم يكن بسبب أنني كنتُ التهامي الوحيد في صنعاء.

وكنت أفهم من الأخ الصديق العميد عبدالله الضبي، وكذلك من الأخ المرحوم هاشم طالب، وحتى من المشير المرحوم عبدالله السلال، أن هناك من يكتب للإمام عني، حتى إنه بين الحين والآخر يفاتح البدر عن سبب وجودي في صنعاء.

---

(١) وهذا يدلك على مدى تحجر الحكم الإمامي وانعزاليته المفرطة، وكيف تمكن من عزل المناطق اليمنية بعضها عن بعض عزلاً تاماً وكأن كل منطقة يمنية مغلقة على نفسها، وإذا حاول أحد ما كسر حاجز العزلة الوهمي المصنوع فإن هذا كان يثير ريبة السلطة التي تبدأ على الفور بمتابعة نشاطه ورصد تحركاته وكأنه جاسوس أجنبي أو مواطن مشبوه يعمل لحساب دولة معادية!!..ومن المعروف أنه قامت انتفاضات مسلحة عديدة على الحكم الإمامي في مناطق يمنية مختلفة هنا وهناك، ولكن طريقة الحكم الإمامي في إدارة البلاد (فرض عزلة داخلية فيما بين مناطق اليمن) هو ما أدى إلى نجاح الحكم الإمامي في قمع تلك الانتفاضات المسلحة والقضاء عليها قضاء مبرماً قبل أن تستشري وتنتقل عدواها إلى المناطق اليمنية الأخرى.

وكان البدر يرد عليه دائماً نافياً تلك الوشايات، ومؤكداً له أن هذا مجـرد موظف بسيط في وزارة المعارف ولا خطر منه.. ويتكلم كلاماً آخر من هذا القبيل يطمئن به الإمام، ويجنبني أي مشكلة يمكن أن تلحق بي.. وكنت في تلك الفترة مع المشير عبد الله السلال، والعميد عبدالله الضبي، والأخ إبراهيم الحضراني، ومجموعة من الأصدقاء نتحلق حول البدر.. دائماً.. فقد كانت لنا بعض الآمال في تشجيع تطلعاته العصرية.. وأيضاً خوفاً من سيف الإسلام الحسن وأتباعه.

قلت: إن الوشايات التي كانت تصل الإمام عني كانت وشاياتٍ كاذبةً بلا أساس.. وعلى ذلك أسوق هذه الحكاية:

كان الوزير المفوض بسفارة اليمن في القاهرة رجلاً يحبّ التقرب إلى الإمام بمثل تلك التقارير.. ويبدو أنه لكي يخترق صفوف الاتحاد اليمني.. اتفق مع الإمام على إعلان الحنق والتمرد على الإمام.. والادعاء أنه يقدم استقالتهُ لأنهُ صار يعتقدُ أن الإمام لم يعد ينفعُ لحكم اليمن.

فعل الرجل هذا.. وجلس في بيته.. والحقيقة أن اليمنيين على نياتهم.. في غالب الأشياء.. فما إن صدر عن الوزير المفوض ما صدر حتى بادر إليه عدد من أعضاء الاتحاد اليمني مرحبين.. وضموه إليهم.. اختلط الرجل بهم.. ودخل مقر الاتحاد.. فاطلع الرجل على الوثائق والرسائل.. وصور منها ما صور.. وكان من الرسائل رسالة أرسلتها للزبيري، رحمه الله.. وهي رسالة عادية.. مجرد رسالة إعجاب ومحبة يبديهما شابٌ نحو ذلك الشاعر والزعيم الكبير.. ولم يكن في الرسالة تعرض للإمام أو تعريض به لا من قريب ولا من بعيد.. ولكن الرجل – ولا أحب هنا ذكر اسمه (فقد ذهب

إلى رحمة الله) – أخذ الرسالة وأرفق بها تقريراً ساخناً ينافي تماماً مضمونها.. وفيه يحرض الإمام.. ويقول له بالنص: إن هذا الرجل نقطة الاتصال بين الأحرار في الداخل والخارج.

كان الإمام في السنوات الأخيرة من عمره ضيق النفس.. لا يأبه كثيراً لمثل تلك الدسائس.. وبرغم أنه لم يأمر في شأني بما يولمني.. إلا أنه عندما فتح ذلك التقرير كان بالقرب منه البدر.. والأخ صالح محسن.. وكان الصديق صالح محسن رجلاً وجيهاً وشخصية مؤثرة جداً في الإمام.. وكانت تربطني به صداقة جيدة.

قرأ الإمام التقرير والرسالة.. وتغير وجههُ غضباً فرمى بالرسالة إلى البدر.. وكأنه يقول له: انظر ما يفعل هذا وأمثاله من الذين تدافعُ عنهم.

ولأن البدر كان يعرف طباع أبيه.. فقد سكت.. كما كان يفعل دائماً.. عندما يراه غاضباً.. ولكن الصديق محسن لم يسكت.. فهاجم مرسل الرسالة والتقرير وقال للإمام: إن هذا الرجل يبني من الحبّة قبّة، وهو يتقرب إليكم بالكذب والافتراء على الناس.. أنا أعرف (أحمد جابر عفيف) وهو رجل مسكين.. وموظف عادي.. أعرفهُ حق المعرفة، ولا دخل له بهذا الكلام كله.. وما زال في حديث مثل هذا مع الإمام حتى اقتنع الإمام.. فأخذ الرسالة ووضعها في كيس، اعتاد دائماً أن يكون بالقرب منه يضعُ فيه الرسائل والأوراق المهمّة.

وأنا شخصياً لم أعرف بأمر هذه الرسالة والتقرير إلا بعد قيام الثورة عندما وجدنا ذلك الكيس ووجدناها بين الأوراق.

أتمنى رؤية الخارج

فوائد السفر لا تحصى.. فإلى جانب الفوائـد المعرفيـة الـتي يمكـن أن ينالها الواحد منا حين يسافر.. هناك فرصة المقارنة بين أوضاع البلدان والشعوب.. التي تكشف مدى التطور.. والأخذ بأسباب التقـدم عنـد شـعب دون آخـر، وكذلك مـدى الاختـلاف بـين مجتمـع وآخـر.. وأنـا شـديد الاهتمـام بهـذه الجوانب..

وفي النصف الثاني من الخمسينات كنت أرغب رغبـة ملحـة في الاطـلاع على الخارج، وكانت أمنيتي أو حاجتي هـي الحصـول علـى منحـةٍ دراسـية.. فطلبت من المرحوم يحيى الوادعي، وكان موظفاً كبـيراً في الجامعـة العربيـة.. أن يدبر لي مسألة الحصول على منحة. فسعى في ذلك رحمه الله.. وحصلـت فعلاً على رغبتي في السفر إلى الخارج.. ولكنها لم تكن منحـة، وإنمـا كـانت دعوة لحضور مؤتمر إعـداد المعلـم العربـي.. وبعـث لي الوادعـي، رحمـه الله، بالدعوة، وكانت على نفقة الجامعة العربية.

وسعدت بذلك أيّما سعادة.. ولكن المشكلة واجهتني بعد ذلـك، وتمثلـت في رفض الإمام أن يـأذن لي بالسـفر، وحـاولت بشـتى الوسـائل ولكـن دون جدوى..

وفي الأخير توسلت بالأخ المرحوم محمد بن عبدالرحمن الشامي.. وكيل وزارة الخارجية آنذاك.. فحاول مع الإمام حتى استطاع الحصول على إذن لي بالسفر..

فذهبتُ إلى القاهرة.. وكان شيئاً مدهشاً بكل المقاييس ذلك الفرقُ بين مصر واليمن.. القاهرة وصنعاء.. كنت منبهراً أقفُ عند الأشياء والمظاهر الحضارية متأملاً.. الصغيز منها والكبير.. المرافق والخدمات.. المواصلات والمباني.. المؤسسات والهيئات.. الناس والحياة.. المدنية والحداثة.. في سلوكيات الناس وألبستهم.. فيما تنتجهُ المطابعُ.. من كتب وصحف ومجلات.. أقف عند كل ذلك.. وأتذكر بلادي المحرومة من أبسط مظاهر العصر.. فأشعر بالأسى العميق.. ولكن المؤتمر لم يعقد في القاهرة، فقد عقد في بيروت، وكانت تلك فرصة أخرى لي أرى فيها بيروت، التي أدهشتني هي الأخرى كما فعلت القاهرة، وما هي إلا أيام قلائل حتى انتهى المؤتمر، وعدت بعدها إلى القاهرة، حيث قضيت بضعة أيام ثم حانت العودة .. كنت أفكر في أني يجب ألا أكتفي بهذه المدة القصيرة في القاهرة بل لا بد لي من الترتيب للرجوع إليها.. وقضاء فترةٍ أطول فيها.. ولكن كيفْ..؟

التقيت قبل عودتي إلى صنعاء الأخ والصديق صالح محسن، وكان وقتها في القاهرة.. وقلت له: إنني سأعود إلى صنعاء.. ولكنني ما زلت أريد الرجوع إلى القاهرة، أريد الجلوس هنا والاستفادة مما يتوافر هنا من عمل وأخشى ألا يتيسر لي ذلك..

فأشار عليّ أن أشتري مجموعة من الكتب، وكمية من الحلويات الفاخرة.. أهديها إلى الإمام عند عودتي إلى اليمن، وذهب معي فعلاً لشراء

الكتب والحلوى.. فاخترنا أشياء جيدة، وما إن وصلت بي الطائرة إلى تعز حتى توجهت إلى قصر صالة لتسليم الهدية..

ولكنني لم أستطع مقابلة الإمام.. فقد قيل لي: إن الإمام منذ شهرين لا يخرج ولا يقابل أحداً.

شعرت بخيبة أمل. إزاء ذلك.. ولكن اتفق أن.. خرج دويدار من القصر فسلمته الهدايا مع رسالة.. أطلب فيها الإذن لي بالتوجه إلى صنعاء.. لأنه في تلك الفترة وما قبلها كان السائد أنّهُ لا يمكن لموظف مهما كان شأنهُ أن يتحرك من مكان إلى مكان آخر إلا بأوامر وإذن الإمام.. سواء أكان ذلك في الداخل أم في الخارج..

شخصية الإمام كانت طاغية، وكان هو الكُلّ في الكُلّ حتى محافظ اللواء الذي كان هو نائب الإمام.. لا يمكن أن يتصرف في أي قضية إلا بأمر الإمام.. وعن طريق الإمام.. ومن المحافظ إلى المدرس.. أو الموظف البسيط أو الجندي.. لا يمكن لأي منهم التصرف إلا بأمر الإمام (٢).

المهم أنني كما قلتُ: سلمتُ الهدايا.. مع رسالة أطلب فيها الإذن بالتوجه إلى صنعاء.. ودخل الدويدار.. وفي خلال ساعةٍ كان قد عاد ومعه أمران من الإمام.. سلمهما إلي. أحد الأمرين.. كان بركوبي على الطائرة إلى صنعاء.. أما الأمر الآخر.. فكان مفاجأة سارة جداً لي.. فقد أمر الإمام بصرف مبلغ من المال مساعدة لي.. وكان المبلغ مئة ريال فرنسي.. ويومها كان ذلك المبلغ كبيراً جداً ففرحت فرحاً غامراً.. وتوجهتُ إلى صنعاء في اليوم الثاني وجاء الزملاء والأصدقاء.. وجاء طلبتي.. أيضاً.. كنتُ فرحاً بسفري..

---

(٢) انظر كتابي (الحركة الوطنية في اليمن).

اطلاعي على الخارج.. وكانوا يسألون بلهفة عجيبة عن كل شيء.. فأنت تتحدث عن أشياء غير مألوفة ولا معروفة، فلم يكن في صنعاء تلفزيون ولا سينما.. عكس ما هو عليه اليوم فأنت اليوم قادر على رؤية العالم من خلال هذه التقنيات الجديدة بحيث تكون عندك فكرة عن بلدان العالم المختلفة.. وعن مظاهر الحياة فيها وعن أهم طوابعها حتى وإن لم تزرها..

وكانت لهفة تلك المجموعة من الزملاء والأصدقاء والطلبة كبيرة لقراءة الكتب التي جلبتها معي. فلم يكن الكتاب متيسراً في المكتبات كاليوم.

ورحت أحدثهم عن مصر.. وعما فيها من حياة وحركة.. وعن النيل الخالد.. والأهرامات.. وعظمة القاهرة وعن كل ما بهرني واستفز كوامني في مصر..

مؤتمر الأدباء العرب بالكويت ١٩٥٨م

ولم يمض أسبوعٌ على عودتي من القاهرة.. حتى فوجئت بنائب وزير المعارف العلامة الجليل عبدالقادر بن عبدالله.. وهو من الشخصيات المتميزة في اليمن يدعوني إليه، ويخبرني بأن أمراً قد جاء من الإمام بسفري إلى الكويت لحضور مؤتمر الأدباء العرب.. فأصابتني الدهشة واستغربت.. ثم سألتهُ عن قصة ذلك وكيف حدث؟.. فقال: لا أدري.. الإمام قبل فترة طلب منا ترشيح أسماء للمشاركة في مؤتمر الأدباء.. فكتبنا له مجموعة من الأسماء التي يمكن أن تذهب للمشاركة، فاختار أربع شخصيات.. ثلاث شخصيات من مجموعة الأسماء التي أعطيناه إياها. وأضاف إليها اسمك الذي كتبهُ الإمام بخطه..

فقلت في نفسي: يبدو أن الهدية التي نصحني بها الأخ صالح محسن.. والتي كانت عبارة عن مجموعة من كتب وكمية من الحلويات.. قد أثرت في نفس الإمام، وطغت على كل ما يمكن أن تكون التقارير الكاذبة والرسائل المغرضة والمبالغات إياها قد فعلتهُ..

وسألت العلامة عبدالقادر بن عبدالله.. عن أسماء الأشخاص الآخرين الذين سيضمهم الوفد..

فقال لي: القاضي عبدالله الشماحي، والقاضي إبراهيم الحضراني، والقاضي أحمد عبدالواسع الواسعي، وأنت الرابع، وسيكون رئيس الوفد القاضي عبد الله الشماحي.

قلتُ: (خير وبركة).. وفعلاً التقينا جميعاً في تعز.. ومن تعز توجهنا إلى أسمرا.. ولا زلت أذكر إلى اليوم الدهشة والانبهار وما امتلأت به نفوسنا لمرأى تلك المدينة..

كانت أسمرا في نهاية الخمسينات درّة جميلة.. وكأنما أنت اليوم تنتقلُ من صنعاء إلى واشنطن.. أو إلى مدينة من مدن أمريكا الأخرى..

كانت مدينة صغيرة وجميلة ونظيفة جداً جداً.. أذكر أننا نزلنا في فندق إيطالي.. وكانت الرحلة من بدايتها فرصة جيدة لنا ليعرف كلّ منا الآخر.

وكان شيئاً جميلاً أن أتعرف على القاضي عبدالله الشماحي الذي كنت أخشاه كثيراً.. فهو رجلٌ جمع بين العلم والأدب والشعر.. وشخصيته غريبة فكنتُ أبتعد عنهُ في تعز عندما ألقاه.. وكذلك كنت أتحاشاه في الطائرة إلى أن نزلنا أسمرا..

ولكننا ما إن اختلط بعضنا ببعض في تلك المدينة الساحرة.. حتى وجدتهُ شخصاً آخر.. غريباً.. مَراحاً.. منفتحاً يضحك ويبتسم.. وأكثر ما تعجبتُ منهُ ذلك التحرر لديه الذي لفت نظري إلى مدى غرابة الإنسان وتعدد أطواره.. وقد رأيت منه طرائف مثيرة لا مجال لذكرها هنا..

ومن أسمرا توجهنا إلى القاهرة.. وعن طريق القاهرة ذهبنا إلى الكويت لحضور مؤتمر الأدباء العرب..

تعرفت على الكويت البلد الذي كان صغيراً جداً.. وشدني يومها الشاعر الكبير سليمان العيسى.. فتعارفنا، ولم تزل تربطني به علاقة ود وإخاء.. وكان سليمان العيسى يلقي القصيدة في الأمسية فتهزُ الحاضرين من كويتيين وعرب هزاً.. وكان في الجانب الآخر الشاعر العربي الكبير محمد مهدي الجواهري.. الذي يمثل الزعيم العراقي عبدالكريم قاسم، فيما كان سليمان العيسى يمثل الزعيم العربي عبدالناصر، وكانت تلك الفترة.. فترة ذهبية لعبدالناصر.. والقوميين.. فقد كان عبدالناصر قد حقق لتوه الوحدة مع سورية، وخرج من أزمة السويس منتصراً..

وكانت ليالي المؤتمر من أروع الليالي التي قضيناها وهناك عرفت شخصياتٍ كثيرة.. وكنت إبان ذاك شاباً تشدني أبسط معالم الحداثة في التمدن والتطور الحضاري..

وأذكر أننا كنا نزور بعض الأماكن.. فأشغف بها شغفاً كبيراً.. وأتمنى لو أن مثلها يكون في صنعاء.. وفي تلك الفترة كان محافظ الأحمدي هو أمير الكويت الحالي الشيخ جابر الأحمد الصباح.. أما الأمير فكان المرحوم الشيخ عبدالله السالم الصباح.. أما الرجل الرائع ومدير المعارف وقتها عبدالعزيز حسين فكان هو المسؤول عن المؤتمر وعن الاحتفالات.. وهو شخصية متميزة بثقافتها وانفتاحها.. وبلطف نادر..

وهكذا فقد قضينا في الكويت حوالي الأسبوع تقريباً.. ومنها خرجنا بزاد وافر من الذكريات، حيثُ توجهنا إلى لبنان.. فأمضينا بعض الوقت.. وكان لبنان يومها يمثلُ العظمة كلها في ميادين الثقافة والفن والحريات والسياحة.. بتاريخه النابض.. وتمركز الإبداع والمبدعين في بيروت التي كانت درة البلاد العربية..

ومن لبنان إلى القاهرة حيث عدنا من هناك إلى صنعاء.

القاهرة مرة ثانية

كنتُ قد التقيتُ في القاهرة بالدكتور عبدالعزيز القوسي، وكان معنا في المؤتمر حيث عقد بلبنان بدلاً من القاهرة.. وكان يشغل منصب مستشار وزارة التربية والتعليم في مصر.. وكان وزير التربية والتعليم يومها هو الضابط كمال الدين حسين.. ومعروفٌ أن كمال الدين حسين من ضباط الثورة وشخصية بارزة جداً..

وفي لقائي مع الدكتور القوسي تحدثت معهُ عن رغبتي في الحصول على منحةٍ داخل وزارة التربية والتعليم المصرية، تتيح لي أن أتدرب على أساليب الإدارة الحديثة.. وغنيٌّ عن القول أني كنت وقتها منتمياً إلى السلك التربوي.. وكنت مفتشاً بوزارة المعارف في صنعاء.

وبعد فترة جاءتني الرسالة بأن القوسي قد حصل لي على منحة من كمال الدين حسين.. وحاولت إقناع الإمام، واتفق أيضاً أن الامام أذن لي، بالسفر.. فتوجهتُ إلى القاهرة.. وكانت بالنسبة إلي فرصة ذهبية. فتدربت داخل وزارة التربية والتعليم.. على طرق إدارة التربية والتعليم..

وكان الدكتور القوسي هو الكل في الكل -كما قلت- داخل الوزارة.. يعتمدُ عليه كمال الدين حسين اعتماداً كلياً، ولقد شعر الدكتور القوسي

وهو رجلٌ فاضلٌ من أحسن من عرفتهم.. شعر بحبي لمعرفة دقائق الإدارة. فسهل لي كل الأمور.. وبقيت كل يوم أذهبُ إلى الوزارة.. ومن إدارة إلى إدارة.. أشاهد وأناقش.. وأتعلم كيف تدار العملية التربوية من المناهج إلى النواحي التعليمية.. إلى الجوانب العلمية والثقافية.. وكيفية الإدارة أيضاً داخل الوزارة..

ثلاثة أشهر قضيتها في القاهرة أداوم كل يوم تقريباً في الوزارة.. تحت أنظار الدكتور القوسي.. وفي الأخير عدت إلى صنعاء.

إن تلك الرحلات إلى القاهرة.. وأسمرا.. والكويت.. وبيروت.. خطّت في ذاكرتي أشياء كثيرة، أطلعتني على الدنيا.. وكيف يعيش الناس.. والأهم من ذلك أنها لفتت نظري إلى خصيصة في طباع الإنسان اليمني.. هذا الإنسان الذي اكتشفت كم سحقه في الداخل الحكام الذين سدوا أمامه المنافذ، وهو طبيعي في الخارج يعملُ ويكد ويكسب ولا يختلف بأي حال من الأحوال عن غيره من إخوانه العرب.. بل إن الإنسان اليمني في الخارج أكثر دأباً، وأكثر تماسكاً مع إخوانه.. وأكثر تعاوناً والتصاقاً.. وحباً في العمل.. هو يعمل أي عمل كان من دون استنكاف مادام يأكلُ منه لقمة عيشٍ شريفة.. فقد رأيت العاملين في داخل الخليج في الكويت مثلاً.. ممن يعملون أعمالاً بسيطة.. وهم يؤدون عملهم بتفان وجدٍ وإخلاص..

ولكن الكثير من اليمنيين في داخل الوطن يختلفون كثيراً مع الأسف.. فهم لا يحبون العمل.. بل إنهم ينشغلون بالنخيط. وهناك قائمة من الأعمال البسيطة والضرورية.. لا يمكن لهم أن يمارسوها داخل الوطن.. حتى لا يظهر الواحد منهم أمام الآخرين.. شخصاً عادياً.. ليس ذا شأنٍ كبير.. وليس له

خطر في السلم الاجتماعي، فهو يحب أن يظهر للنــاس منتميـاً مثـلاً إلى قبيلـة كبيرة.. وهذا السلوك هو من أهم أسباب تجذر المشـكلة القبليـة الـتي سـتظل تحدّ من تقدم هذا المجتمع.. بفرضها سلماً من القيم والمواضعات البالية.. الـتي لم تعد تصلح لهذا الزمان.

الفصل الثامن

أحداث في الغبش الأخير

قناة السويس وشباب اليمن

إنَّ تأميم الرئيس الراحل جمال عبدالناصر قناة السويس وما تلاه من عدوان ثلاثي.. هزّا أركان العالم وجعلا من عبدالناصر أسطورة يزلزل مجرد ذكرها الملوك والأمراء وكل أرض الوطن العربي.

وذلك ما جعل المظاهرات تندلع في كل مكان وفي بلادنا خاصة.. حيث بدأ التمرد.. وكان الإمام الغائب بالمورفين يصحو بين الوقت والآخر ليستعمل العنف.. وكان الناس قد بدؤوا يجهرون بخرافة الإمامة.. ويتململون مجاهرين أيضاً بضرورة سقوطها..

والحقيقة أن الإمامة في ذلك الوقت كانت قد فقدت هيبتها وبدأت الألسنة تلوكها باستخفاف وسخرية.. وكان كل شيء يؤول إلى السقوط..

لقد صار التغيير إذن أمراً لا مفر منه، وعندما بدأت المظاهرات في صفوف الطلبة لاحظت أن الكثير من الرجال يعطفون عليهم في صنعاء عطفاً كبيراً وكاملاً.

مع الزبيري والعيني

عند زيارتي للقاهرة سنة (١٩٥٨م).. كان من أول ما يلح على نفسي ويشغل تفكيري أن ألتقي بأبي الأحرار الشهيد محمد محمود الزبيري.. وتم لي ذلك فعلاً.. فزرته في شقةٍ شعبية بسيطة.. كان يعيش فيها عيشة شظف وتقشف.. وأتذكر أن الشقة كانت في حي الدقي.. وأتذكر ونحن في الصالون البسيط أنه كانت هناك ستارة تحجز بين البيت والصالون.. وقد مرت بذهني ومشاعري هزة كبرى.. وأنا ألتقي بذلك الرجل العظيم.. الذي أخذني بحديثه وتواضعه الجم وإيمانه بقضية شعبه.. وخفقان قلبه لأمته. وقبل ذلك كنت أتابعه متابعة كاملة وأثابر على القراءة له والاستماع إلى أحاديثه من مذياع صوت العرب.. وقد امتدت جلستي معه ساعة أو ساعة إلا ربع.. جعلتني أشغف به إلى أبعد الحدود.

حدثني بقوة إرادة وإيمان عن ضرورة الكفاح، وضرورة حمل القضية اليمنية في النفوس والقلوب.. وحدثته عن معاناة البلد.. وما يحدث فيها..

وفي نهاية اللقاء أشار بلقاء الشاب محسن العيني.. وكان يعتبر العيني معتمده الأول بين الشباب.. فقد طلب مني بمنتهى الصراحة أن أكمل الحديث وأنسق في كل ما أريده مع محسن العيني.

وبالفعل جلست مع الأخ / محسن العيني الذي كان قد سبق لي أن لقيته عندما وجهه الإمام ليكون بجانب البدر في الحديدة.. قبل أن يضيق به أي بالعيني.. وأتذكر أنه قد جاء معه الأخوان يحيى جغمان ومحمد الرعدي.. ولكنه كان يأخذ مجرى يختلف عن مجرى زملائه.. حتى وهو يدرس في القاهرة قبل أن يذهب إلى باريس، كانت تتمثل فيه جوانب.. مضيئة وممتازة عملياً وعلمياً.. لم يكن يميل إلى الحديث العادي أو العمل العادي.. وإنما كل شيء عنده يجب أن يكون جوهرياً وصميمياً، خصوصاً فيما يتعلق بالوطن والقضية اليمنية.

دعاني إلى الغداء في أحد مطاعم القاهرة وجرى بيننا حديث طويل سجلته في مذكراتي.

وأريد القول هنا: إنني تعرفت في هذه المرة العيني بشكل أكبر.. فقد جذبني إليه.. وجعلني أحترمه إلى حد بعيد..

كان العيني بسيطاً يدخل إلى نفسك بصدقه مع النفس.. ووضوح رؤيته.. ويجعلك تشعر أنه سيكون في يوم ما شخصية مهمة لها مكانة كبيرة في المجتمع والشعب..

هكذا تصورت العيني ذلك اليوم.. ولا أقول هذا من باب المبالغة أو المجاملة.. فقد كان الرجل مهيأً لأدواره التي لعبها فيما بعد بشكل كبير..

الإمام والمورفين

في سنة ١٩٥٩م.. كانت وتيرة الأحداث تتسارع على نحـو مثير.. ينـذر بحوادث عظيمة وتغيير حتمي.. كان الإمام قد أصبح مدمناً علـى المورفـين.. منذ أن أجريت له عملية البواسير سنة ١٩٥٥.. التي أشـيع عقبهـا أن الإمـام صار عاجزاً ومريضاً وغير قادر على مزاولة مهماته في الحكم.. ممـا دفعـه إلى ركوب حصانه والخروج للاستعراض في ميدان تعز.. فلم يعد إلا وقد تفجـر موضع العملية وراح ينزف نزيفاً حاداً ومؤلماً، الأمر الذي حدا بطبيبـه إلى أن يعطيه حقنة مورفين.. وظل كلما انتهى مفعولها يعطيه أخـرى حتـى أدمـن.. وصار لا يستطيع العيش بغير المورفين.. وأصبح يتعاطاه بالحقنة أمـام النـاس، وكل الذين حوله كانوا على دراية أن الرجل قد صار مدمناً.. ورغـم أن هذا الإدمان كان يغيبه أحياناً إلا أنه كان عندما يصحـو وتأتيـه الأخبـار يضـرب بعنف موجـع.. ولكنـه كـان علـى يقـين بمـدى الوجـع الشـعبي والتململ.. وإحساس الناس بأن التغيير شيءٌ لا بدّ منه.. وقد كان همس الثورة مسموعاً في أذهان الناس.. ولكن كيف ستكون.. وكيـف ستأتي لا أحـد يعـرف.. ربما يأتي تغيير فجائي بدون حسابات.. وربمـا غـير ذلـك.. لا أحـد يـدري، المهم أن اليقين كان عند الجميع بحتميته..

الحق بي سوف
نقتل الإمام

كما سبق لي أن قلت، فإن همس الثورة كان مسموعاً والتغيير كان حتمياً.. وإنما المسألة كانت في كيفية التنفيذ فلم يكن ثمة تخطيط دقيق ومنظم وإنما كان الحماس والتبرم اللذان يدفعان إلى مبادرات فيها البطولة وفيها أيضاً قدر من الارتجال.

وعندما أقدم اللقيـة والعلفي.. على إطلاق النار على الإمام في مدينة الحديدة.. لم يكن لأحد تدخل فيما خططاه وفي عملية التنفيذ.. لقد أقدم البطلان الشهيدان على ذلك كما روى لي الأستاذ والصديق حسين المقدمي الذي كان مديراً لمستشفى الحديدة، الذي تم فيه إطلاق النار على الإمام، بإحساس منهما بوجوب ذلك..

والأخ المقدمي عبر السنوات الماضية يكرر رواية القصة بصدق مع النفس كما حدثت.. وهو يقول: إنه في ذلك اليوم المشهود وقبيل المغرب اتصل به أحد الأمراء وقال له: إن الإمام سيزور المستشفى بغرض زيارة بعض الضباط الذين أصيبوا بحادث سيارة.. وهم من الحرس الخاص للإمام أحمد.. وأوصاه الأمير في اتصاله.. أن يكون الأمر في منتهى السرية..

ويقول الصديق المقدمي: كان عندي بعض الأصدقاء ممن كنت أخرج معهم بين الحين والآخر للتمشية خارج الحديدة.

وفي ذلك اليوم كان معي الأخ محمد رفعت.. والأخ عبدالعزيز حمرة.. فطلبت منهما الانتظار في إحدى الغرف.. وبدأت أنظم المستشفى وأرتبه باتخاذ بعض الإجراءات استعداداً لاستقبال الإمام.

وشاهدني الأخ محمد العلفي فلفت نظره اهتمامي وعدم خروجي، ولما كان العلفي هو ضابط المستشفى، فقد كان من الصعب عليّ أن أخفي عنه الموضوع، فأخبرتهُ أن الإمام سيزور المستشفى ليطمئن على حرسه المصابين (الضابط علي مانع، وضابط آخر لا أذكر اسمه الآن).. وكان العلفي قد رتب مع زميله اللقية أمر قتل الإمام عدة مرات ولم ينجحا لأسباب كثيرة.. المهم أنه عرف بأمر الزيارة.. فاستغلها فرصة.. وركب دراجته ليتجه إلى بيت الشهيد اللقية.. حيث لقيه وقال له: اِلحق بي فوراً فإن الإمام سيزور المستشفى.. وهذه هي ساعتنا لتنفيذ العملية التي طال تخطيطنا لها..

وعاد العلفي إلى المستشفى مسرعاً.. هناك لبس السُّترة البيضاء.. وعندما رآه الأخ حسين المقدمي.. تصور أنه لبس السُّترة من أجل أن يظهر أمام الإمام أنه يلبس بدلة المستشفى.. بينما كان الغرض عنده أن يخفي المسدس وراء هذا اللباس. وما هي إلا فترة بسيطة وقد أقبل اللقية، فاجتمع به العلفي.. ورسما الخطة السريعة..

يقول الأخ حسين المقدمي: جاء الإمام أحمد.. وذهبت معهُ لزيارة الضباط.. وقرأ الفاتحة في الباب.. وهو يمسك بيدي.. وبعد أن قرأ الفاتحة.. أتجه ليعود من نفس الطريق.. فأردت تجنيبه ذلك الممر لأن فيه رائحة

بالوعة.. واستغرب الإمام تغييري الطريق ولكنـهُ مضـى معـي.. (وفيمـا بعـد احتسبها عليّ جداً جداً) وحين اقتربنا من الصيدليـة المواجهـة للبـاب.. جـاء أحد الصيادلة المسؤول عن صيدلية الإمام ليكلمـه واحتراماً لذلـك الشـخص أبعدت يدي من يد الإمام.. وابتعدت قليلاً حتى أفسح له المجال ليتحدث مع الإمام بحرية وراحة و لم أكن أقصد غير هذا..

وما هي إلا لحظات معدودة.. وبينما كان الإمـام ينزل إحـدى درجـات الصيدلية.. أطفأ العلفي واللقية الكهرباء بسرعة.. بدأ بإطلاق الرصاص علـى الإمام ومن بجانبه.. وكانا قد أخذا معهما الهندوانة الذي شاهدهما بالمصادفة فضماه إليهما..

ونتيجة لوابل الرصاص الذي أطلقوه.. أُصيب بمجموعة من حاشية الإمام.. ومـن ضمنهـم أحـد الأمـراء وكذلـك الشـخصية المعروفـة محمـد الرويشـان، والبليلي وهو أحد الحراس.. أما الإمام فقد أصيب بسبع طلقات.. في فخذيـه وكتفيه.. وارتمى على الأرض شاعراً أنه انتهى..

أعود فأقول: إن العملية ومواجهة الإمام بذلك الأسلوب الثـوري.. جعـل الإمام فيما بعد وكذلك الناس يحسبون ألف حساب لمثل هذه العملية.

الإقدام على ذلك العمل بحد ذاته كان شيئاً كبيراً فحين يتصدى ضابطـان شابان لعملية انتحارية من هذا النوع يكون ذلـك عمـلاً بطوليـاً وثوريـاً مـن الدرجة الأولى.

وبالطبع فقد علم البطل العلفـي.. أن الإمـام لم يمـت فـانتحر.. أمـا اللقيـة والهندوانة فقد أُلقـي القبـض عليهمـا ومعهمـا الآخـرون وفي مقدمتهـم الأخ العزيز حسين المقدمي.. الذي ظل الإمام يستشهد على تآمره ضدهُ بدليل أنـه

غير الطريق الذي سلكه في المجيء إلى طريق آخر في العـودة، وأنـه ابتعـد عنـه قبل البدء في إطلاق النار مباشرة..

وأنا أقول: إنه لو كان شخصٌ آخر في موقع الأخ المقدمي لجعل من نفسه بطلاً من الأبطال.. لأنه كان سيدعي أنه هو الذي خطط للعملية.. أو شارك فيها.. ولكن الأخ حسين المقدمـي ظـل بعـد هـذه العمليـة.. وبعـد أن صـار الإمام في ذمة التاريخ.. يقول الحقيقة ويرويها كما حدثت..

وأمر الإمام بسجن الإخوة / حسـين المقدمـي ومحمـد رفعـت وعبدالعزيـز حمـرة في سـجن وشـحة ولم يطلقـوا إلا بعـد قيـام ثـورة ٢٦ سـبتمبر عــام ١٩٦٢م.

عملية العلفـي واللقيـة هـزت الإمـام والإمامـة فبـدأت هيبـة الإمـام تتهـاوى إلى الحضيض.. فلم يعد ذلك الجبروت.. أحمد يا جناه.. كل شيء، وكل لقب سقط وشعرت الأسرة المالكة.. بمدى الهوة السحيقة التي سترتمي إليها بأيدي الشعب..

وهكذا بدأ الوجع الشعبي يزداد عنفاً وبدأت الطلائع الشعبية من الشباب بقية عام ٦٠-١٩٦١م تخطط لعملية كيفما كانت تستهدف الإمام والأسرة المالكة.

وهذه المرة كانت الصحوة شعبية وبدون تخطيط.. أو معرفـة عـن المصـير. ولم يكن أحد يعرف شيئاً عن الخطوة القادمة..

وضع الخطط
لتنفيذ ثورة ٢٦ سبتمبر

أتذكر أن الشهيد علي عبدالمغني رحمه الله كان يتردد علـي مشـاوراً فيمـا يخططون له بشأن المسـتقبل.. وكنـت أبـدي مـا عنـدي مـن آراء.. علـى أن ينقلها لزملائه.. وكان زملاؤه يعرفون رأيي جيداً وخاصة العميد حمود بيـدر والعميد محمد الخاوي (وإن كان يومها في تعز) وكذلك العميد أحمد النـاصر والعميد علي الشيبة..

وفي هذه الفـترة ذهبـت إلى مصـر لحضـور أحد المؤتمرات ثـم عـدت إلى صنعاء.. وكان الزمـان أواخـر ١٩٦١م حيـث بـدأ الضبـاط الأحـرار عمليـاً ينظمون أنفسهم ويتعاهدون أمام الله وأمام ضمـائرهم أن يقومـوا بـالثورة.. وكان المخطط هو قتل الإمام أحمد في تعـز ثـم الاستيلاء علـى تعـز وصنعـاء بعملية انتحارية..

وفي هذه الفترة أيضاً غاب عني الأخ الشهيد علي عبدالمغني.. وسألت عنـه بعض زملائه.. فقالوا لي إنه بـدأ يرتـب العمليـة أكـثر فـأكثر.. وبـدأ القـائم بالأعمال المصري محمد عبدالواحد.. يتصل به بطريقة مباشرة.

وهنا أريد الإشارة إلى أنني كنت أعرف محمد عبدالواحد القائم بالأعمال المصري معرفة كاملة.. وأنني كنت أخاف منه لأنه رجل انتهازي من الدرجة الأولى.. كنتُ وكان زملائي أيضاً.. الأخ العميد عبدالله الضبي.. والمشير عبدالله السلال رحمه الله، وكذلك الأخوة الزملاء علي المطري وهاشم طالب.. نراه ما بين وقت وآخر.. خاصة في المساء يسهر مع البدر.. وإلى كونه انتهازياً.. فقد كان يريد أن يكسب الشباب وهذا عمل جيد.. ولكنه كان متسرعاً يريد أن يحقق هدفاً يكسب هو شخصياً من خلاله.

أنا سمعت قصة لا أدري مدى صحتها ولكنها دخلت في ذهني كثيراً وهي أنه بعد موت الإمام أحمد شرح للبدر أن هناك مجموعة من الضباط يخططون للقيام بثورة ضده وأنه أعطاه مجموعة من الأسماء كتبها له وفيها جاءت أسماء عبدالله جزيلان والشهيد علي عبدالمغني والعميد عبداللطيف ضيف الله وآخرون.

والدليل على أنه فعل ذلك.. أن البدر بعث برقية إلى سيف الإسلام الحسن الذي كان في الولايات المتحدة الأمريكية يطلب منه سرعة الوصول.. وأن يتمركز في محافظة صعدة.. بمعنى أن المسألة بكل مجرياتها أصبحت لديه واضحة جلية.. وأنه إنما يأخذ بعض الاحتياطات..

وفي ذات الوقت كان محمد عبدالواحد هذا يشعر الشهيد علي عبدالمغني بأنه كان عند الإمام البدر.. وأن البدر أخبره أن بعض الضباط يتآمرون عليه.. وأنه سيلقي القبض عليهم.. وأنه قرأ له أسماء كثيرة من ضمنها علي عبدالمغني.. وفلان وفلان إلى آخر القائمة.

وهكذا تشابكت الأمور.. وبدأت العملية تأخذ مجرى آخر سريعاً.. فقد شعر الضباط الأحرار بأنهم إذا لم يسارعوا إلى فعل شيء.. فإن الواقعة ستقع بهم.

وكانت هناك نذرٌ كثيرة.. ومنها أن حسين بن إبراهيم الذي كان وزيراً للخارجية فاتح بعض الضباط.. وكان منفعلاً جداً وعنيفاً مع بعضهم.. وهددهم بالويل إن حدثت أي حركة..

فرأى الضباط أنهُ ليس من مخرج أمامهم إلا السرعة في القيام بالثورة.. بمعنى أن المسألة أصبحت (أتغدى بك قبل أن تتعشى بي) وأنا أروي هذه القصة على ما سمعت.. لقد كانت العملية بحد ذاتها مجازفة وشبه انتحارية.. وفي نفس الوقت كانت محسوبة إلى حد ما.. وهناك قصص كثيرة حول هذا الحدث..

المهم أن الأمر احتدم وتصاعد إلى الذروة.. وأنا أتصور أنه في ليلة السادس والعشرين من سبتمبر من عام ١٩٦٢م تقدمت طلائع من الضباط الصغار من أبناء هذا الشعب آمنوا بالثورة سبيلاً لتغيير مجرى الحياة الرتيبة المتخلفة.. وهبوا من بين الظلام الدامس يضربون هنا وهناك.. يريدون الحياة الكريمة لوطنهم وإن ذهبوا شهداء في سبيل ذلك..

كانوا قد اتفقوا مع العميد حسين السكري أن يقوم بعملية انتحارية.. وبالفعل فقد حاول أن يفعل ذلك لكنه لم يستطع وأُلقي القبض عليه.. وعندما سُمِعَ إطلاق الرصاص في منتصف الليل ظن الضباط أن العميد حسين السكري قد قام بتنفيذ العملية.. ولم يعرفوا أن الرصاص الذي سمعوه كان رصاصاً أطلقهُ السكري على نفسه بغرض الانتحار.

المهم أن ذلك دفع الضباط إلى محاصرة القصر.. وبدأت العملية تأخذ مجرى آخر.. هو مجرى الثورة. حاصر الضباط القصر وتبادلوا إطلاق النار مع البدر.. وكل طرف يحاول جهده دحر الآخر، وعندما نفذت الذخيرة من الضباط.. اتجه تخطيطهم إلى أن يتخذوا أحد الضباط الكبار ليتولى قيادة الثورة.. فذهبوا أولاً إلى اللواء حمود الجائفي.. ولكنه اعتذر.. فلم يكن أمامهم إلا العميد عبدالله الضبي، أو المشير عبدالله السلال.

اتجهوا إلى المشير عبدالله السلال وكانت عنده أوليات ومعلومات تصله من هنا وهناك، وكان المناضل عبدالسلام صبره نقطة الوصل بين جميع الفرقاء والفعاليات.. من عسكريين ومدنيين ومشايخ.. فقد كان الرجل الوحيد الذي يلتقي حوله الجميع.. فقد كان بشخصه وإيمانه الذي لا حدود له بضرورة التغيير رجلاً فوق الوصف.. وكان همه الوحيد تغيير البلد من الحكم الإمامي إلى الحكم الجمهوري، وكانت اللقاءات تتم غالباً في بيته.

الفصل التاسع

هكذا ثار الشعب

هدفان وليست ستة

قبل قيام الثورة.. كان يوازي التخطيط لها.. التفكير في تصورات لرسم أهدافها..وكانت الاجتماعات التي تعقد في بيت المناضل عبدالسلام صبرة يتم فيها نقاش الواقع.. وإمكان القيام بثورة.. وكذلك كان يتم فيها مناقشة وضع الأهداف المتصورة التي ستتم إذاعتها مع قيام الثورة.

وفي بيت المناضل عبدالسلام صبرة كُتبت أهداف الثورة.. التقى بعض الضباط مع بعض المثقفين.. وفي مقدمتهم الصديق العزيز / محمد عبدالله الفسيل.. ولدي شبه تأكيد هنا أنه هو الذي صاغ أهداف الثورة طبعاً بالاتفاق مع الحاضرين.. ومنهم مجموعة من ضباط الثورة الأحرار، وكذلك بحضور المناضل الكبير/ عبدالسلام صبرة.. وأكد لي من أثق به أن أهداف الثورة هدفان.. أما البقية فكانت مجرد مبادئ.. وكان يمكن لها أن تكون أربعة أو ستة أو أكثر أو أقل من ذلك.

إذن فقد كان للثورة هدفان ليس غير.. وهما:

١- إسقاط النظام الملكي.

٢- إقامة نظام جمهوري.

من الذي أذاع البيان..؟

وعندما قامت الثورة اليمنية ثورة ٢٦ سبتمبر عام ١٩٦٢م.. كان للإذاعة دور كبير في إطلاع الناس على ما يحدث يقول المناضل الكبير عبدالسلام صبرة إنه قال للرئيس السلال في صباح ذلك اليوم.. "ضروري تفتحوا الإذاعة "..

كان مدير الإذاعة في تلك الأيام هو الأخ / أحمد حسين المروني.. وكان الأخ الأستاذ/ محمد الفسيل.. يختفي في منزل المناضل / عبدالسلام صبرة.. بعد مجيئه متخفياً ومتنكراً من عدن لأنه كان مطلوباً للسجن.. وكان دخوله صنعاء بطريقةٍ تنكر فيها بشكل يميت من الضحك..

وما إن بدأ الضرب وهرب الإمام البدر حتى توجه الفسيل إلى الإذاعة.. حيث لحق به الإخوة/عبدالعزيز المقالح، وعبدالوهاب جحاف.. ثم عبدالله حمران.. وآخرون.

وهنا أريد أن أتكلم فيما يتعلق بمن أذاع أول بيان للثورة.. فقد ادعى هذا أكثر من شخص.. أما أنا شخصياً فأشهد أنني سمعتُ أول بيان للثورة يذيعهُ محمد عبدالله الفسيل. وصحيح أننا يجب أن نترفع عن مثل هذه الأشياء.. وصحيح أيضاً أن الفسيل لا يهتم بمثل هذه الأمور، لكنني من أجل الحقيقة التاريخية سألت المناضل / عبدالسلام صبرة.. لماذا كل هذا الاختلاف حول

من قرأ البيان؟.. ألم يكن الفسيل مختفياً عندكم وتعرفون أنه أول من قرأ البيان؟

فأجابني: صحيح وأتذكر أنهم عندما فتحوا الإذاعة.. سمعت صوت الفسيل يجلجل فيها.. ولكن الفسيل وعلي قاسم المؤيد وغيرهما كانوا يتوالون في إلقاء البيان وإذاعة أناشيد وأشياء من هذا القبيل..

أقول: إن المسؤول في تلك الليلة عن الإذاعة كان هو العميد / علي صالح الأشول.. ومعه العميد/علي قاسم المؤيد وإلى جانبهما عدد من الضباط.. وقد استولوا على الإذاعة بعد مناوشة مع الحرس وضباط الإذاعة، وكان استيلاؤهم عليها خطوة جريئة.. بحق.. إلا أن البيان الأول في الإذاعة كان بصوت الأخ/محمد عبدالله الفسيل.. وهذا ما يؤكده مدير الإذاعة آنذاك الأخ/أحمد حسين المروني.. حيث جاء في كتاب " ثورة ٢٦ سبتمبر دراسات وشهادات للتاريخ، الكتاب الثالث بمناسبة الذكرى الثلاثين لثورة سبتمبر" إعداد وتوثيق مركز الدراسات والبحوث اليمني - صنعاء - ص٣٣١،٣٣٢، من شهادة المروني ما نصه: "ولم يتمكن الضباط الأحرار من إعلان الثورة وكانت الساعة التاسعة والنصف ليلاً مما جعل البدر يأمر بإغلاق الإذاعة، وبالفعل أوقفنا البث وخرجنا جميعاً، فتوجهت إلى منزلي.. وكان قريباً من الإذاعة، وتفرق الإخوة فبعضهم ذهب إلى منزله والبعض الآخر استضافهم عبدالوهاب الآنسي، وكان منهم د/عبدالعزيز المقالح، وعبدالوهاب جحاف وما إن انطلقت أول قذيفة إلى دار البشائر انطلاقاً بالثورة وجاوبتها زخات من الرصاص من دار البشائر حتى تحركت دبابة إلى الإذاعة وفيها الملازم علي أبو لحوم ثم أعقبه مجيء الملازم أول / علي قاسم

المؤيد، ومعه الملازم / صالح الأشول، بعد أن أمسكوا بالحرازي حارس الإذاعة وأرسلوه إلى القيادة حيث لقي جزاءه بعد أن أطلق الرصاص على الملازم أول / علي أبو لحوم، وأصابه بجرح.

وعندما سمعت البيان الأول يلقيه الأستاذ/محمد عبدالله الفسيل.. ولاحظت أنه في البيان الأول يقول: إذاعة الجمهورية اليمنية العربية.. فاتصلت به وقلت له المفروض أن تقول إذاعة الجمهورية العربية اليمنية أسوة بإذاعة الجمهورية العربية السورية، والجمهورية العربية المتحدة.

فقال: أين أنت؟.. وأرسلوا لي مصفحة نقلتني إلى الإذاعة ".

وما جاء في شهادة الأخ الأديب / أحمد حسين المروني، هو نفس ما يقوله الأخ الفسيل، وهذا ما أردت تأكيده.

وأريد أيضاً تأكيد أن الأهداف لم تكن أكثر من اثنين وأن البقية مبادئ..

في خضم الأحداث

هذه المرحلة التي سأتحدث عنها مرحلة ثرية جداً جداً، ثرية بملابساتها.. وأحداثها وتجاربها.. بأجوائها المتوترة.. وانفتاحها على العالم.. ودخولي معها في خضم ومعترك حافل.. ومثير..

ففي اليوم الثاني من قيام الثورة.. وبعد تشكيل الحكومة برئاسة الرئيس / عبدالله السلال، صدر قرار جمهوري بتعييني نائباً لوزير الصحة، وكان الوزير المعين في التشكيل الحكومي هو الشيخ / علي محمد سعيد أنعم، الذي كان وقتها موجوداً في تعز، فاستلمت عمله.

وخلال أسبوع فقط من قيام الثورة جاء من القاهرة عبدالرحمن البيضاني.. الذي ما إن شاهد مجموعة من رفاق المشير السلال يلتفون حوله.. أمثال الإخوة/ هاشم طالب، عبدالله الضبي، عبدالحميد الشوكاني، علي المطري، وأنا، حتى شعر بأن هذه المجموعة يجب إبعادها بأي وسيلة كانت..

أتذكر أنني كنت في إحدى الليالي بعد المغرب بالتحديد.. أمر من أمام المتحف الحربي الحالي.. فوجدت البيضاني يتجه من القصر الجمهوري إلى العرضي (القيادة).. وعندما شاهدني ناداني إليه.. ثم قال لي:اتجه إلى القصر الجمهوري فأنا أريد التحدث معك..

ذهب هو في طريقه إلى القيادة.. واتجهت أنا كما طلب مني إلى القصر الجمهوري.. وانتظرته هناك حوالي ساعة.. وعندما جاء من القيادة أخذني إلى غرفة خاصة به، وطلب مني سرعة التوجه إلى بيروت لاستلام المفوضية اليمنية.. ولم تكن يومها قد صارت سفارة.. وكانت مفوضية، وكان الوزير المفوض هو المرحوم د/عدنان ترسيسي.. وهو من أصل لبناني.. وقد عمل في اليمن من بداية الأربعينيات وأخذ الجنسية اليمنية.. وكان مرافقاً لسيف الإسلام / عبدالله ولزيماً له.. وكان معه عندما انضمت اليمن إلى الأمم المتحدة في عام ١٩٤٥م.. وظل موظفاً كبيراً ومسؤولاً.. وكان رجلاً مخلصاً لليمن ويجيد عدة لغات أجنبية بجانب العربية والفرنسية والإنجليزية.. واستفادت منه اليمن فائدة كبيرة.

لقد أشعرني البيضاني عندما طلب مني أن أتوجه لاستلام المفوضية.. أن بيروت محطة مهمة جداً وقد يستغلها الملكيون.. ومن الواجب أن أذهب إلى هناك لأعمل ضد الملكيين من جهة ومن جهة أخرى لأعرف كل ما يدور عن اليمن من أخبار بحكم أن بيروت كانت مصب كل شيء..

والحقيقة أنني أخذت الأمور مأخذ الجد.. ووجدته يطلب من الأخ / هاشم طالب أيضاً أن يذهب إلى بغداد.. لم أمانع إذن.. وعرفت أن هناك شيئاً ما..

قبلها بيوم كنت في ميدان التحرير الموجود حالياً.. أمشي.. وإذا بالشهيد / علي عبدالمغني.. ينزل من السيارة – بعد أن رآني – ثم يأخذني إلى جانب.. ويسلمني أمراً من رئيس الجمهورية.. موجهاً إلى وزير الصحة.. وبصفتي نائباً لوزير الصحة.. وقائماً بعمله.. سلمني الأمر.. وكانت فحواه تجهيز حملة من الأطباء والعلاجات والإسعافات.. تكون بصحبة الشهيد علي

عبدالمغني، ولما سألته عن الحاصل.. أخبرني أن نقاشاً حاداً حدث في القيادة.. فاتخذ قراراً أن يتوجه بنفسه إلى جهة صرواح لإخماد أول تحرك ملكي ضد الجمهورية.

وهالني الأمر.. فهو عنصر لا يفرط فيه.. فحاولت إقناعه بالبقاء لأنه الضابط الشاب الوحيد في مجلس القيادة.. ولكنه رفض رفضاً قاطعاً.. وأخذت أمر الرئيس، وكتبت وراءه توجيهاً إلى الصيدلية العامة.. بتجهيز كل ما تتطلبه الحملة.

ومن صنعاء توجهت إلى القاهرة.. وهناك التقيت بالأخ العزيز/محسن أحمد العيني وزير الخارجية.. الذي جاء إليها من صنعاء متوجهاً إلى نيويورك من أجل إقناع مجلس الأمن بإعطاء المقعد اليمني للحكومة الجمهورية الجديدة.. بدلاً من الملكية.. وقد لاحظت عندما تحدثت معه أنه شبه فزع من الحالة في صنعاء.. وأنه يتوجس بالأخص من البيضاني.. فأكد بذلك شكوكي ومخاوفي، وقبل أن يتوجه إلى نيويورك ساعدني في التوجه إلى بيروت.

كل المشارب في بيروت

حكايتي مع بيروت تشبه حكاية من يهبط على سطح القمر.. كانت بيروت عام ١٩٦٢م.. درة العالم.. ومركز المعلومات والعمل الدبلوماسي.. وكانت أيضاً نقطة الانطلاق إلى العصر.. كانت بيروت تمثل التحرر التام واليقين العقلي.. وما زلت أدين لها إلى اليوم بأنها غيرت بعض ما كان في ذهني من العادات والتقاليد والخرافات وبعض القضايا التي كنا نتعامل من خلالها بطرق غريبة.. وفي بيروت حضرت احتفالات ومناسبات ولقاءات جعلتني أطل على بواطن الأمور وأعرف ما يحدث بتفاصيله.

كان رئيس الجمهورية يومها هو الرئيس فؤاد شهاب.. الذي كان قائداً للجيش اللبناني عندما حصلت الفتنة سنة ١٩٥٨م، في لبنان بين الطوائف وخاصة بين المسلمين والموارنة.. فأجمع الكل على أن المنقذ والمخلص لن يكون إلا فؤاد شهاب.. فانتخبوه بالإجماع، وتسلم الحكم.

قدمت أوراقي إلى الرئيس فؤاد شهاب كوزير مفوض.. وبعد المراسم تحدثت معه.. في جلسة جلسناها معاً.. كان الحديث ودياً.. وقال لي: هل تعرف أن الغساسنة هم من أصل يمني وجاؤوا من الجنوب عبر البحر الأحمر إلى لبنان وإلى الشام.

كنت أزور الرئيس شهاب ما بين وقت وآخر، وكانت تطغى على زياراتي له الجلسات الخاصة التي لا تكون فيها رسميات، كان يدعوني إلى منزله في صربا شمال بيروت.

وإلى جانب الآفاق التي تفتحت لي في بيروت، فإنني كنت أعيش مرحلة صعبة على النفس بين ما أراه من واقع لبنان المزدهر المنفتح.. لبنان الحضارة.. والحراك الثقافي، والنشاط الأدبي.. والمعلومات وبين واقع وطني وبلدي اليمن التي تعيش أجواء الحرب والدمار ومما زاد الطين بلة أنه كان بين الوقت والآخر تصل إلى بيروت شخصيات وطنية معروفة فأشعر بمدى الألم والاستياء من الوضع المتدهور في اليمن.. ومن أولئك بعض الثوار من الضباط الأحرار والمدنيين الأحرار.. ولا أودُّ هنا ذكر الأسماء.. كانوا حريصين على بلادهم، وهاربين من الوضع الذي لا يقدرون على شيء في تغييره، وليست لهم كلمة.

وكنت أواصلهم معهم وأشعر بمدى الحالة النفسية التي يعيشونها في بيروت من غربة وتمزق وخوف على الوطن الذي هو بدوره أيضاً يمزق كل يوم.

استشهد الزبيري
فضيعوا قضيته

وفي خضم ما نحن فيه ببيروت جاءتنا الأخبار المؤلمة المفزعة.. باغتيال أبي الأحرار الشهيد الزبيري.. كانت فجيعة كبرى.. ولم يكن ثمة يمني يتصور إنساناً يقدم على قتل هذا الرجل المخلص الرجل الذي وهب كل حياته لليمن.. وناضل من أجل الجمهورية ومن أجل أن يحكم الشعب نفسه ثم تتم المؤامرة على اغتياله.. شيء لا يصدق.

كانت الفاجعة بداية إبريل عام ١٩٦٥م، وفي موكب يضم شخصيات كبيرة أيضاً.. مثل القاضي/عبدالرحمن الإرياني، والأستاذ/أحمد محمد نعمان، والأستاذ/عبدالملك الطيب، والأستاذ/عبدالمجيد الزنداني، والأستاذ/محمد عبدالله الفسيل، وعدد من الشباب الذين كانوا دائماً يلتفون حوله.

كنا بعيدين في بيروت لا نعرف شيئاً.. وجاءتنا الأخبار على نحو متسرع وغريب وغير مفهوم فأصابنا الذهول، وأصابتنا الحيرة.. ورحنا نتساءل كيف حصل هذا؟

ثم جاءتنا الأخبار من داخل اليمن أن الناس في حيرة إزاء الحادث.. وأنهم يتساءلون مرتبكين.. عما حدث؟.. وعمن تآمر على الزبيري؟.. وكيف

مضت القضية هكذا بتلك السهولة؟.. كيف هرب أو هُرِّبَ القتلة من سجن مهلهل ووسط حاشد؟.. ما هي القضية؟.. بعد ذلك أيضاً ظل التساؤل باستمرار عن أسرار وغوامض مقتل الشهيد محمد محمود الزبيري.

وكان الشيء الغريب أنه بعد فترة من مقتله وفي نهاية سنة ١٩٦٧م تسلم مقاليد الحكم القاضي/عبدالرحمن الإرياني، والأستاذ/أحمد محمد نعمان، زميلي الشهيد، وقد كانا بجانبه عندما قتل.

وكان من المفترض فيهما.. بل كان من الطبيعي والبديهي أن يتم التحقيق في القضية، وأن تعطى صورة كاملة عن الحدث.. ولكن العكس هو الذي حصل.. لقد استمر القاضي/ الإرياني يحكم سبع سنوات.. ومعه النعمان وغيرهُ ولم يفتحوا باباً للتحقيق نهائياً.. وهذا أمر غريب فعلاً لا نعرف كيف نفسره؟.. وأنا أشهد وأتحمل مسؤولية شهادتي.. أن المرحوم القاضي/الإرياني، والمرحوم الأستاذ/النعمان قد فزعا فزعاً كبيراً لجريمة اغتيال الزبيري.. وظلا في حالة انشداه وحيرة وارتباك لهذا الحادث..

وإنما السؤال: لماذا عندما تسلما الحكم.. لم يحاولا فتح التحقيق في الأمر.. والبحث عن الجناة؟

والجواب: إنني لا أدري!!!

وأستبعد بشكل قاطع أن هذا التجاهل والتناسي لموضوع الزبيري عن قصد.. ولعل مشاكل الحكم ودخول اليمن في ملحمة السبعين يوماً.. كانت هي ما شغلهم عن الموضوع.

مشادة مع رئيس وزراء لبنان

سبق لي أن أوضحت أن بيروت كانت محط أنظار مختلف الجهات ومختلف الفعاليات وفي كل المجالات ومن بلاد عربية مختلفة..

وبحكم ظروف اليمن صارت أيضاً مهبط كل الفئات المتطاحنة والمسالمة، من جمهوريين وملكيين.. شأنهم شأن غيرهم.. فبيروت محطة الجميع حتى بالنسبة إلى سورية، كان يفد إليها كل الانقلابيين والزعماء والمدحورين والمهزومين وتحاول سلطات سورية.. أن تؤثر بطريقة أو بأخرى في أوضاع كهذه ولكنها تخفق.. قد تستطيع بين الحين والآخر تصفية بعض الأشخاص بطريقة سرية.. ولكن بيروت مع ذلك كانت محطة للجميع..

وبسبب مجيء الفئات المتطاحنة اليمنية إلى بيروت.. وحدوث تحركات وحملات صحافية.. فقد لاحظت أن بعض العناصر استغلت هذا الانفتاح لنشر المنشورات والكتابة في الصحف، حيث كان رئيس الوزراء اللبناني المرحوم/حسين العويني يفتح لهم المجال.. وخاصة للعناصر المناوئة للجمهورية.

وعندما جاء إلى بيروت الأخ / إبراهيم علي الوزير.. أقام مؤتمراً صحفياً تكلم فيه كلاماً مستهجناً وغريباً.. وكان متحاملاً تحاملاً كبيراً على النظام

الجمهوري، فطلبت مقابلة رئيس الوزراء، وكذلك وزير الخارجية، وأبديت لهم استياء الحكومة اليمنية والنظام الجمهوري من هذه الممارسات العلنية غير المسؤولة، وأثناء الحديث مع رئيس الوزراء حمي الموقف بيني وبينه وتطور إلى مشادة كلامية وشجار.. حتى إن بعض الصحفيين الذين كانوا خارج السرايا سمعوا ما دار بيننا.. وكان يمكن أن ينشر، ولكن رئيس الوزراء عند خروجي طلب مني وترجاني أن لا أتكلم بما حصل.. وأتذكر أنني استجبت لطلبه.

الشيخ سنان متخفياً في بيروت

ما أكثر عجائب تلك الفترة التي كنت فيها سفيراً لليمن في لبنان.. أي من ٦٣ إلى ١٩٦٩م.. ومن عجائبها ما سأرويه الآن..

معروف أن الشيخ سنان أبو لحوم.. كان من أبرز شخصيات اليمن، وأنه ناضل قبل الثورة بسنوات وأنه في أيام الثورة الأولى هب إلى صنعاء من لحج أو من عدن مبتهجاً وباذلاً كل ما عنده من رجال وأموال من أجل دعم الثورة، وكانت تأتيني الأخبار أنه يعمل مع قيادات الثورة المختلفة، وفجأة أعلم أنه في أسمرا وحياته مهددة.. فانتزعته من هناك بجواز غيرت فيه اسمه، واستقبلته في مطار بيروت وأخذته إلى بيتي خفية عن كل اليمنيين، ومكث في بيتي فترة من الزمن، ثم توجه متخفياً وبطريقة حذرة إلى روما.. ولم أكن مصدقاً أن ذلك يحدث.. ولكنني ما لبثت أن فوجئت بكل زملاء العمر.. وأصدقاء الدرب والحياة في بيروت.. الكوكبة المثقفة الواعية كلها جاءت هاربة من الوضع المرير الذي تعيشهُ اليمن (محمد عبد الله الفسيل، حسين المقدمي، محمد الرعدي، محمد الرباعي، طه مصطفى، أمين هاشم.. وغيرهم كثير) من الذين ضايقهم المتسلطون اليمنيون والمصريون.

وهنا أؤكد مرة أخرى أننا يجب أن نفرق بين من كان يعمل لأجل الثورة والجمهورية، وبين من يستغل أوضاع البلاد.. فيعمل لأجل أن يكتسب المال والجاه بطرق غير مشروعة..

إن الذين جاؤوا إلى بيروت هاربين.. إنما ألجأهم إلى ذلك أنهم لم يجدوا أذناً صاغية.. تسمع لرأيهم وتصغي لنصائحهم، فهم ثوار وجمهوريون.. وقد حاولوا بكل الوسائل.. أن يسهموا في تثبيت النظام الجمهوري وكان بعضهم مع المصالحة الوطنية.. التي تؤدي إلى الحفاظ على الثورة والنظام الجمهوري.. ولما لم يجدوا لرأيهم ومطامحهم جدوى.. لجؤوا إلى بيروت.. وكنت أتساءل.. من المسؤول عما يحدث؟.. من المسؤول عن هؤلاء؟.. وهل المعقول أنني أشاهد شخصاً مثل الرجل المخلص الوطني / أحمد الرحومي.. أحد قياديّ الثورة والضابط الذي توجه في اللحظات الأولى من قيام الثورة ومعه صالح الرجي.. إلى المشير عبدالله السلال.. وأخذاه من بيته وسلماه قيادة الثورة؟.. هل معقول أنني أشاهده في بيروت هارباً؟.. أريد من كل هذا الكلام ومن إثارة الأسئلة أن نعود إلى محاولة استجلاء الحقائق ومعرفة ما الذي حصل بالضبط على الساحة اليمنية؟.

استمرار لسلسلة الوقائع الغريبة والمهازل العجيبة التي حدثت.. فقد جاء إلى بيروت أول وفد يمني يخرج خارج اليمن.. وكان ذلك الوفد يتكون من الشهيد / محمد محمود الزبيري، القاضي/عبدالرحمن الإرياني، ومعهما / عبدالله جزيلان، وعدد من المرافقين، وكان المسؤول عن الوفد هو الأخ الصديق/أحمد محمد باشا سفيرنا في القاهرة آنذاك.

وسألت مراراً عن كل ما يحدث في اليمن.. سألت هذا وذاك.. وكلاً على حده.. فقد كنت في حيرة من الأمر.. وقد حدثني القاضي/محمد محمود الزبيري وفي نبرته المرارة والفجيعة بمخاوفه على النظام الجمهوري من الأخطاء التي يرتكبها بعض القادة اليمنيين..ومثله حدثني القاضي/عبدالرحمن الإرياني.

وكان أكثرهم إفاضة في الحديث حول هذا الموضوع الأخ/أحمد محمد باشا.. وهذا الرجل كان قد ناضل من أجل الثورة اليمنية.. من قبل ثورة عام ١٩٤٨م، كان مخلصاً ومجاهداً صادقاً.. وكان الجميع يعرف أنه يرسل المال للأحرار في عدن.. كما كان يرسل لهم الأخبار، ويمدهم بما عنده من أفكار.

وقد لاحظت في أفراد ذلك الوفد كيف كانوا يفرون فرار السليم من المجذوم من الأخ/عبدالله جزيلان، كانوا يخافون منه خوفاً مفزعاً.. وكان غريباً جداً أن أراه في مؤتمر صحفي مثلاً.. أو في لقاء مع مسؤولين لبنانين.. وهو يتصدر الحديث متكلماً.. وكأنه هو المسؤول الأول.. وكأن أولئك الأفذاذ تابعون له.. ومن يتصور أن شخصاً مثلهُ.. يتجاهل.. الزبيري والإرياني وباشا.. بتلك الطريقة الغريبة.. التي لا أخلاق فيها؟

كنت أرى ذلك ويحز في نفسي أن أشاهد تلك المواقف اللاأخلاقية، غير المسؤولة.. وأستغرب كيف يقدم على مثل تلك التصرفات؟.. وخاصة في المؤتمر الصحفي، ويتجاهل تلك الشخصيات العملاقة.. في اليمن مثل الزبيري والإرياني.

إنني لا أريد في هذا السرد أن أخلق الإثارة بمقدار ما أريد وضع النقاط على الحروف.. وأن يعرف هذا الجيل وتعرف الأجيال القادمة الحقائق كما هي.. وأن يتحروا معرفة ما حصل على الساحة اليمنية من بداية ثورة ١٩٦٢م وإلى أن بدأت المصالحة مع المملكة العربية السعودية.. فتلك الفترة يجب إثارة ما حدث وحصل فيها.

ووضعها بين يدي الحاضر والمستقبل كدرس.. من جهة، وإعطاء الحق لذويه ودحض الأكاذيب والافتراءات من جهة أخرى..

ومن جهة ثالثة لابد من الكشف عن الذين كانوا يخلقون المشاكل.. ويتصرفون التصرفات الهوجاء التي دفعت بكثيرين إلى الجانب الملكي..

لقد كان هناك سوء تصرف، وكان هناك سوء إدارة.. وجهل وحمق غير مسؤول ناتج عن سيطرة بعض الشخصيات المصرية.. التي كانت تتصرف بمقدرات الشعب.. وفي مصائر الناس بطريقة غير محسوبة..

بعضهم كان يتصرف بأسلوب أهوج فيه عنجهية وغطرسة والبعض الآخر كان يتصرف بغباء.. والبعض كان همه الاستغلال المادي.. وهذا كان معروفاً.. فقد كان بعض الضباط يتخذها فرصة في اليمن.. ويشتري الغالي والرخيص من ثلاجات وأدوات كهربائية وأشياء ثمينة، وكان يُسمَحُ لهم بكل شيء، ويصلون إلى اليمن بحجة أنهم يعملون في قضية وطنية في اليمن ومن حقهم أن يشتروا أو يحصلوا على تلك الكماليات.. حتى أن بعضهم كان يتّجر في تلك المشتريات تجارة..

وهذا بالطبع لا ينفي أنه كان هناك أنقياء كثر من الإخوة المصريين وعلى رأسهم البطل الوحدوي والإنسان الملاك/جمال عبدالناصر.. الذي كان يؤمن إيماناً عميقاً بقضية اليمن، كما كان يؤمن بقضية الجزائر.. وبكل قضايا التحرر الوطني في إفريقيا وفي غيرها من بلدان العالم.. فهو المستثنى والنقي في فترة ندر فيها الأنقياء.. ولي لقاء معهُ حدث سنة ١٩٦٤م سأورده في مكان آخر..

كان عبدالناصر صحيح النوايا تجاه اليمن، وكان يتململ أحياناً من الوضع، ومن بعض الشخصيات اليمنية، حتى إنه كان يتصرف أحياناً بطريقة غريبة تجاه ما يصله من أخبار من أنور السادات وغيره عن ملف اليمن.. وهذه القضايا ليست مجهولة لليمنيين.. أو لكثيرين منهم.. ولكني

سأفصلها وأشرحها من أجل أن تكون الصورة واضحة لهذا الجيل وللأجيال القادمة.. وأنا أرجو ألا يؤخذ كلامي هكذا.. على أنه مجرد كلام، بل إنني أرجو وألح في الرجاء.. وخاصة من الشباب المثقف الواعي.. أن يبحثوا عن الحقائق من مصادر مختلفة.. وأن يدرسوها دراسة عميقة..

كيف وقعت الوقائع..؟

ما الذي حصل على الساحة اليمنية ابتداء من ليلة ٢٦ سبتمبر وما قبلها وما تلاها من تراكمات إلى سنة ١٩٦٨م..؟

ملحمة السبعين وهزيمة الملكيين

من الاستثناءات التي يمكن للمرء أن يفرح بها ما حصل في ملحمة السبعين.. وهي أيام الانعتاق.. وهي الأيام التي تحمل فيها اليمنيون المسؤولية.. واندفعوا بكفاءة يدافعون عن منجزهم الخالد.. مرددين الثورة أو الموت، الجمهورية أو الموت، هكذا كانوا، حتى الفصائل اليمنية الجمهورية التي سبق أن حصل بينها خلافات وانشقاقات إلى حد حمل السلاح.. وجدناهم في ملحمة السبعين وقد انصهروا جميعاً في ميدان واحد، وتناسوا خلافاتهم.. واندفعوا كالسيل الجارف.. تجاه العدو من الملكيين بما كانوا يحملون من أسلحة فتاكة، وأموالٍ وذهب كانوا يشترون بها ضمائر المرتزقة من الأجانب واليمنيين..

لقد كانت حملة الملكيين عنيفة ضد النظام الجمهوري.. على أساس الانفراد به بعد انسحاب القوات المصرية.. التي لم يبق منها أي جندي.

وكانت بالنسبة إلى الملكيين فرصة ثمينة.. فجهزوا أنفسهم وأطبقوا على صنعاء من كل المحاور والاتجاهات، من الجنوب ومن الشرق والغرب.. وكذلك من الشمال.

لكن اليمنيين الثوار تحملوا المسؤولية، وأبدوا شجاعة سجلها لهم التاريخ وببسالة طلبوا الموت، وعندما تطلب الموت توهب لك الحياة..

لقد دافعوا عن صنعاء بشجاعة وبطولة حتى اندحر الملكيون مهزومين.. دون عودة فقد راهنوا على تلك المعركة وكانت الملحمة السبعينية هي البداية والنهاية بالنسبة إليهم..

وفعلاً كانت نهاية الملكيين حتى الذين أمدوهم بالمال والسلاح كانوا فزعين مما حصل.. لأن الذي حصل كان معجزة بكل المقاييس.. معجزة شجاعة وبطولة، معجزة إيمان..

ولم يكن الذين دحروا الحصار الملكي يمتلكون الجاه أو المال كان همهم الوحيد هو الثورة وتثبيت النظام الجمهوري.. لا ملكية بعد اليوم، لا ملكية إلى أن تقوم الساعة، هذه بلادنا، وهذه الدماء التي أهرقت على الساحة اليمنية في الجبال والسهول لا بد أن تنتصر.. وانتصرت الثورة في ملحمة السبعين يوماً.. وكانت معجزة حقيقية، معجزة بكل المقاييس.

فتحية خلود للشهداء، شهداء الثورة..

سفير مصر لدى لبنان

كنت سفيراً في بيروت.. وعينت سفيراً فوق العادة ووزيراً مفوضاً لدى سورية.. (غير مقيم).. أقول إنني بمجرد أن جئت إلى بيروت، بيروت ١٩٦٣م.. الحافلة بكل شيء.. تعارفت واللواء/عبدالحميد غالب – السفير المصري في لبنان.. هذه الشخصية كانت مرآة عاكسة لشخصية الرئيس/جمال عبدالناصر، كانت شخصيته مهيمنة ومؤثرة.. حتى من الناحية الجسمية كان الرجل ضخماً تماماً مثل عبدالناصر..

ومن خلال اتصالاتي به والشخصيات والأوساط اللبنانية النافذة والفاعلة تبين لي مدى سيطرة هذا الرجل على الكثير من المقدرات ومراكز القرار اللبنانية.

كانت الصحافة والإعلام بوسائله المختلفة تسير في أغلبها في ركاب السياسية المصرية، بل إن بعض الصحف والمجلات كانت أكثر قرباً للتوجهات المصرية الرسمية، من الصحافة والمجلات المصرية.

وكنت ألاحظ.. بل لقد تأكد لي مراراً أنه لا يمكن تشكيل حكومة مثلاً في لبنان إلا بعد أخذ الإشارة من السفير المصري..

كان السفير المصري يقيم في أحد القصور.. وكان يقيم الحفلات في هذا المنزل الواقع بوسط بيروت.. وكانت الحفلات تقام في المناسبات وفي غير المناسبات..

وكنت ألاحظ الحراسة المصرية واللبنانية المكثفة حول السفير فعندما كان يخرج من بيته تسبقه سيارة وتتلوه أخرى للحراسة.. وفي أكثر الحفلات التي تقام في منزله كنت أشاهد كبار رجالات الدولة اللبنانية..

هكذا بدا لي الوضع.. وهكذا فهمت مدى اهتمام الحكومة المصرية بلبنان بصفته مركزاً للمعلومات والصحافة.. وحرية الكلمة.. التي تجعل من المطبوعة اللبنانية منتشرة في كل أنحاء الوطن العربي وفي أوربة وإفريقية أيضاً.

لقاء مع الرئيس جمال

في عام ١٩٦٤م، طلبت من السفير المصري اللواء عبدالحميد غالب أن يعرفني على الرئيس عبدالناصر.. وأبديت له رغبتي في أن ألقاه وأجلس معه أعرفه عن قرب.. فقد كنت في تلك الأيام من أكثر الناس ولعاً وتعلقاً بشخصية جمال..

كنت شاباً في ذلك الزمن الغابر، وكنت أتابع أعمال هذا الزعيم.. وبالمناسبة فقد سبق أن عرفته سنة ١٩٥٨م في جامعة القاهرة في حفل أعد هناك، شاهدته عن قرب إلى حد ما، وبيني وبينه أكثر من عشرين متراً، واستمعت إليه مباشرة وهو يلقي خطاباً حماسياً، استمر أكثر من ساعتين..

وقد لاحظ السفير المصري رغبتي الملحة.. في ذلك فقال لي: سأحاول وبعد أسبوع اتصل بي.

وقال لي: ممكن تسافر غداً إلى القاهرة وتتصل بالأخ مدير مكتب الرئيس، وأعطاني الاسم " سامي شرف " وأعطاني رقم الهاتف..

وفي اليوم التالي توجهت فعلاً إلى القاهرة واتصلت بالأخ " سامي شرف " وقلت له: أنا موجود هنا في القاهرة في فندق كذا.. فقال لي: غداً الساعة الحادية عشرة، أبعث إليكم بسيارة تأتي بك إلى هنا، وفعلاً تم ذلك،

وتوجهت إلى منشية البكري.. والمسافة من الفندق إلى منشية البكري حوالي ٢٠ إلى ٢٥ كيلومتراً.

دخلت على سامي شرف فرحب بي.. ومكثت في مكتبه بينما دخل هو إلى الرئيس جمال عبدالناصر.. وبعد قليل أخذني وأدخلني إلى الرئيس جمال عبدالناصر.. سلمت عليه، وكان سامي شرف قد أخبرني، أن لا أطيل في الحديث مع الرئيس.. وأن حديثي معه بالكثير لا يتعدى (ربع ساعة).

سلمت على الرئيس جمال عبدالناصر، وقعدت على كرسي بجانبه.. وبدأت حديثي معه.. كنت مهتماً بالاطلاع الكامل على ما في داخله.. ولو إلى حد ما.. فكان أن تحدثت إليه بأنني أعرفه جيداً من خلال متابعتي لأعماله وخاصة من سنة ١٩٥٨م.. أيام الوحدة العربية مع سورية.. ولاحظ مدى حبي له، فبدأ يتحدث بطلاقة.. ويبدو أنه أيضاً استشعر صدق حديثي.. فتحدثنا عن لبنان، ثم انتقلت إلى الحديث معه عن الوضع في اليمن.

حدثته عن الشخصيات اليمنية البارزة التي تفد إلى لبنان، وهي جمهورية وأعطت كل ما عندها من فكر وجاه ومال للنظام الجمهوري.. وأبديت تلميحاتي إلى عدم ارتياحي واستيائي من التصرفات التي تحصل في اليمن، مما جعل الكثير من الشخصيات اليمنية البارزة تهرب إلى السعودية والبعض منهم إلى لبنان، والبعض الآخر إلى الملكيين.

ولاحظت أيضاً استياءه من ذلك، وبدأنا في الحديث عن الحياة، وحاولت أن أنهي الحديث بناء على مشورة سامي شرف.. ولكنه استرسل في الحديث.. وتبين لي من حديثه بعض الوجع، من بعض التصرفات.. موضحاً

أن الجمهورية العربية المتحدة ليس لها أي غرض من مناصرة الثورية اليمنية، إلا أن تقف بجانبها، وأن مصر دفعت برجالها وكل إمكانياتها من أجل تثبيت النظام الجمهوري. الحقيقة أنني استشعرت مدى الحب والعفوية لدى هذه الشخصية العربية المتميزة.

مواقف مدفوعة الثمن

عدت إلى بيروت وبقيت على صلة بالسفير المصري.. أحضر الكثير من حفلاته..

وذات يوم زارتني في مكتبي شخصية لبنانية كبيرة.. وكانت تلك الشخصية تمتلك مجلة منتشرة في الوطن العربي وأوروبة وإفريقية.

وكان الرجل يسير في ركاب السياسة المصرية.. وطلب مني أن أزور مكاتب المجلة، ولبيت دعوته التي حددنا لها موعداً.. وذهبت إليه فطاف بي على المكاتب الضخمة.. وفيها عدد من المحررين والكتاب.. وزرت أيضاً المطبعة الضخمة.

وكانت المجلة تحتل المرتبة الأولى.. وكانت منتشرة كما قلت في الوطن العربي وأوروبة وإفريقية أيضاً.

وكنت أعرف تماماً أن الحكومة المصرية تدفع له مبالغ كبيرة جداً.. وبعد التجوال على المكاتب.. والمطبعة جلسنا في مكتبه نتحدث، وهنا كان بيت القصيد من دعوتي لزيارة المجلة.. فقد فتح الرجل الحديث معي.. فجأة حول دعم مادي.. وطلب مني أن أقدم مبلغاً شهرياً لأنه يكتب لصالح الجمهورية العربية اليمنية!!

وكنت في تلك الفترة أعيش حياة صعبة أنا والموظفون.. حيث كانت ميزانيتنا محدودة تأتي كل شهرين أو ثلاثة أشهر، وحاولت أن أشرح له ذلك، وأن أبين له أن الجمهورية العربية المتحدة هي التي تدفع كل هذه الإمكانيات.. وتساعد اليمن، أما اليمن فهي لا تملك شيئاً.. فهي لا تزال تعاني ظروف حرب ضروس، كما تعاني مخلفات ضخمة تركها النظام الملكي، وشرحت له شرحاً طويلاً كل ذلك، ولكن بلا جدوى.. فهو لا يقول إلا: دبر حالك.

وهنا اضطررت لأن أقول له إنني سأتشاور أنا واللواء / عبدالحميد غالب السفير المصري.. فقال لي: لا لزوم لذلك!!.. فقلت له: فمن أين إذن؟

انتهى الحديث عند هذه النقطة.. وخرجت..

وقد أردت بهذا الذي أوردته أن يكون بياناً آخر لصورة اللواء عبدالحميد غالب.. الذي كان كثير من اللبنانيين يقولون إنه هو الذي يحكم لبنان.

وفي هذا السياق أذكر أن هذه الشخصية الضخمة المسيطرة.. تغير بها الحال فيما بعد على نحو محزن، فقد مرت الأيام والسنوات.. وعدت إلى الوطن سنة ١٩٦٩م.. ودخلت في أعمال هنا في البلد، تسلمت بداية شركة النفط لفترة ثم وزيراً للتربية والتعليم.. وفي سنة ١٩٧١م قمت بزيارة لبعض البلدان العربية، ثم عرجت على بيروت لإجراء بعض الفحوصات الطبية.

وعندما علم اللواء عبدالحميد غالب بأنني موجود في بيروت سأل عني في السفارة.. فقالوا له: إنني موجود في فندق كذا، فاتصل بي.. ورحبت به.. فقال لي: ألف مبروك بلغني أنك أصبحت وزيراً للتربية والتعليم.. فشكرتهُ ثم طلب مقابلتي.. فقلت له: أنا رهن إشارتكم.. فقال: هل نلتقي في السفارة

اليمنية؟.. فقلت له: نعم، وحددت له موعداً، وطلبت من السفير، ويومها كان سفيرنا الأخ/محمد عبدالقدوس الوزير.. أن أخلو به في الحديث، وأن يغيب الأخ السفير لمدة ساعة.

وانتظرت الرجل.. وفاجأني بمجيئه في الوقت المحدد.. وبعد أن رحبت به.. وجلست معه في البهو.. بدأنا في الحديث.. والحقيقة أنني ذهلت.. ولا يزال حديثهُ معي في ذلك الوقت يأخذ من حواسي ومشاعري.. وإنها لأشياء غريبة.

فقد بدأ الرجل حديثهُ بالشكوى من حالته ووضعه، وأن أنور السادات فور أن تقلد الحكم أمر بفصله، بل كانت هناك محاولات لإعادته إلى القاهرة.. ولكنه اختفى.. وهو يعيش حياة بؤس ولا يملك شيئاً من هذه الدنيا أبداً.. هكذا سمعت الحديث منه، بل إنه أكثر من ذلك طلب مني أن أحاول بطريقتي الخاصة وبأي وسيلة أن أبحث له عن عمل كمستشار في إحدى الشركات من أجل أن يعيش..

فطلبت منه أن يفهمني ما الذي حصل.. فأعطاني شرحاً وافياً عن كل شيء.. وأخبرني أنه يعيش حياة بؤس وأن حالته يرثى لها.. مع زوجته وابنه الكبير الذي لا يزال في المرحلة الأخيرة من الدراسة الجامعية.

صدمت صدمة عنيفة وحاولت التخفيف عنه.. وقلت له إنني سأحاول بطريقة أو بأخرى أن أبذل كل ما أقدر عليه.. وإن كان هو يعرف أن اليمن تعيش مرحلة صعبة إلى أبعد الحدود.

انتهى اللقاء.. وحاولت الخروج لتوديعه فألح عليّ بصورة غريبة ألا أخرج من الباب أي من الدور الثاني للسفارة، ونزل فذهبت إلى الشرفة لأشاهد ذلك

الشخص الذي كان له كل ذلك الهيلمـان، وإذا بـه على الرصيـف يبحث عن سيارة أجرة توصله إلى بيته.

ورأيته يقف أكثر من خمس دقائق على الرصيـف في انتظار أن تـأتي سيارة أجرة.. فكم هو غريب ومزعج.. وإنه لمن غير المعقول ما يحدث في الوطن العربي من ظواهر ومفارقات.

من حرية القول
إلى حرية البول..!!

عام ١٩٦٦م :

هذه السنة كانت تصل إلى بيروت أخبار مزعجة مؤلمة، ليس الصدام العنيف والقتال الشرس بين الجمهوريين والملكيين وإنما بين القيادات الجمهورية وبين الإخوة المصريين وأحياناً فيما بين القيادات اليمنية نفسها.. بدأت بخلاف في وجهات النظر.. وشكوى من الطرفين إلى المسؤولين في مصر، ولكن الأمر وصل إلى مرحلة صعبة للغاية، فتوجه عدد من المسؤولين الكبار إلى القاهرة.. يتقدمهم القاضي/عبدالرحمن الإرياني.. والفريق حسين العمري، والدكتور / حسن مكي، وعدد كبير من القيادات اليمنية مدنين وعسكريين.. وعدد من ضباط الثورة اليمنية، وصل عددهم إلى حوالي ٤٠ شخصية، وصلوا إلى القاهرة بغرض طرح القضية اليمنية أمام الرئيس عبدالناصر.. وحاولوا الوصول إليه دون جدوى.

وفي إحدى الليالي تم لهم اللقاء بوزير الحربية الذي ما إن دخلوا عليه وبدؤوا طرح بعض القضايا للتشاور والأخذ والرد.. حتى فوجئوا به يصدر

تعليماته إليهم وكأنهم ليسوا تلك الشخصيات الكبيرة الهامة.. بل كأنهم موظفون من الدرجة الدنيا..

وحاول بعضهم أن يشرح له وأن يفهمه أنهم إنما جاؤوا من أجل تدارس المشاكل التي بينهم.. ولكنه كان لا يسمع ولا يعي، وكلما تكررت محاولاتهم.. ازداد هياجاً ونفوراً.. ثم ما لبث أن أمر أجهزته فوراً بإلقاء القبض عليهم وإيداعهم السجون!! طبعاً (شمس بدران) هذا كان ممن سجنهم السادات فيما بعد!!

فهل من المعقول أن يتصور أحد حصول ما حصل للوفد اليمني؟؟ الأستاذ/نعمان الزعيم اليمني في سجن انفرادي في غرفة ضيقة.. وبجانبه المرحوم الشيخ /أمين عبدالواسع نعمان في الغرفة المجاورة له، ومرت شهور دون أن يعرف أحدهما مكان الآخر.

كان سجناً رهيباً.. سمعنا عنه قصصاً مفجعة.. وأنا شخصياً سمعت من الأستاذ/النعمان ومن بعض الإخوة أشياء غير معقولة.

كان كل واحد في زنزانة لا تسعه إلا بصعوبة فهو لا يستطيع أن يمتد على الأرض إلا بصعوبة أيضاً.

وعندما جاءتنا الأخبار إلى بيروت، تداعى عدد من السفراء.. إلى وجوب تقديم استقالة جماعية منا جميعاً احتجاجاً على مثل تلك التصرفات.

وحصل ذلك بالفعل.. وجاء إلى بيروت عدد من السفراء اليمنيين وفي مقدمة الجميع الأخ الأستاذ/محسن أحمد العيني.

لقاء في بيروت
وسجن في الجزائر

والتقينا للتشاور فيما نتخذ وأي طريق نسلك، كانت عواطفنا ومشاعرنا مع الزعماء اليمنيين المسجونين في القاهرة، وكنا متشائمين جداً.. ولكننا مع ذلك حكمنا العقل، وبعد تشاور مستفيض.. تشكل وفد من السفراء برئاسة الأخ/محسن العيني ليذهب إلى الكويت ودول الخليج، وتشكل وفد آخر يذهب إلى الجزائر، وكان عندنا شبه يقين أن شخصية الرئيس/هواري بومدين رئيس الجزائر هي الوحيدة التي من الممكن أن تؤثر في الرئيس عبدالناصر.

وكان الوفد الذاهب إلى الجزائر مشكلاً من المرحوم / محمد أحمد نعمان، والدكتور / محمد سعيد العطار.. ومني، كان يومها سفير الجزائر في بيروت الأخ العقيد / علي الكافي، وكانت صلتي به صلة وثيقة جداً، وكان ودوداً واجتماعياً، ذهبت لزيارته وشرحت له الوضع في اليمن، وأننا جميعاً التقينا حول فكرة ذهاب هذه الشخصيات الثلاث إلى الجزائر وطرح الموضوع بصدق وأمانة أمام الرئيس بومدين.. لكي يحاول مع الرئيس عبدالناصر.. من أجل أن يعيد النظر..

وقد زاد من همنا.. أن أتتنا الأخبار المزعجة بأن وفداً يمنياً قد وصل من اليمن إلى القاهرة.. برئاسة اللواء عبدالله جزيلان.. يطلب تسليم الزعماء المسجونين إليه وإعادتهم إلى صنعاء لمحاكمتهم.. في نفس الوقت الذي تم فيه إعدام الرجل الوطني المخلص / محمد الرعيني، الذي كان في يوم ما نائباً لرئيس الجمهورية ووزيراً وقائداً للمحور الغربي الشمالي. هذه الإجراءات التي تمت بين الصفوف الجمهورية كانت عاملاً مفككاً يخدم الملكيين شئنا أم أبينا..

بعد أن شرحت للسفير الجزائري القضية وتفهم مني كل مجرياتها.. قال إنه سيعرضها على حكومة بلاده.. وأن علينا أن ننتظر.. وانتظرنا.. ثم اجتمعتُ به بعد دعوة منه لي.. فأخبرني أن الإخوة في الجزائر يرحبون بحضورنا.. فقلت له: إنه قد صدر قرار جمهوري بتعيين عبدالرحمن البيضاني سفيراً لليمن في لبنان.. وبدأ يتصل بعناصر ناصرية يحرضهم ضد هذه المجموعة.. وضد آخرين في لبنان.. وإننا نخشى أن نذهب إلى الجزائر فيؤلب علينا وأسرنا موجودة في بيروت.. وربما أيضاً تصعب علينا العودة إلى بيروت.. ثم طلبت منه أن يعطينا جوازات جزائرية.. فاتصل بالجزائر مرة أخرى.. وفعلاً جاءت الموافقة بمنحنا جوازات جزائرية.. وسلمني جوازي.. الذي فيه أنني من مواليد عنابة.. وهذا الجواز أعتز به اعتزازاً كبيراً.. وحجزنا للسفر على خط بيروت، باريس، الجزائر.. وأبلغنا الجزائر بموعد قدومنا.. وبينما كنت أعامل الجوازات في المطار التف بعض الصحفيين حول الأخ المرحوم / محمد أحمد نعمان.. وأساليب الصحفيين وأسئلتهم معروفة.. فقد سألوا أسئلة محرجة.. ومحمد رحمه الله لم يبخل عليهم فتدفق بالمعلومات وتكلم كلاماً طويلاً حول مهمتنا في الجزائر وبأننا سنلتقي الرئيس هواري

بومدين.. وسنشرح له القضية اليمنية.. وكلاماً من هذا القبيل الذي ما كان له لزوم..

مندوب رويتر أذاع الخبر فانتشر في العالم ووصل في نفس الوقت إلى الرئيس جمال عبدالناصر.. كل هذا حدث ونحن متجهون بالطائرة إلى باريس.. ولا نعرف شيئاً عما حدث.. فلم نعرف إلا فيما بعد.

كنا في الطائرة نتباحث بشأن مهمتنا، وكان الأخ الدكتور / محمد سعيد العطار يشرح لنا صداقته مع بعض الجزائريين من خلال دراسته في باريس.. وأنه يعرف فلاناً وفلاناً.. وعدد أسماء كثيرة.

وصلنا إلى باريس فانتقلنا إلى طائرة أخرى، وتوجهنا إلى الجزائر العاصمة.. ووصلنا في منتصف الليل تقريباً.. وما إن توقفت الطائرة حتى شاهدنا عدداً من الشخصيات والمسؤولين الذين لا نعرفهم.. يستقبلوننا، ثم أخذوا كل واحد منا في سيارة خاصة ومعه اثنان من المرافقين.. وذهبوا بنا مباشرة إلى المدينة دون أن نعرف عفشنا ونستلمه.. ودون أن نعرف مستقبلينا.. وقد خطر في بالنا أنهم استقبلونا استقبالاً جيداً بدليل أن كل واحد منا ركب سيارة خاصة..!

المهم أنهم اتجهوا بنا إلى العاصمة.. وكنت أراها أول مرة.. وقد بدت لنا مدينة الجزائر.. مدينة واسعة كبيرة تعج بالسيارات وشوارعها مسرجة بأسرجة حمراء.. ثم خرجنا من العاصمة باتجاه الشاطئ.. ومضينا بسرعة لا ندري إلى أين؟.. حيث بدأ كل واحد منا يتساءل في نفسه ما الذي حصل؟ ولم يكلمنا أي واحد منهم عن أي شيء.

وبعيداً عن العاصمة بحوالي ثلاثين كيلومتراً أنزلونا في إحدى الفلل.. في قرية قيل لنا إنها كانت مصيفاً للفرنسيين، واسمها فرنسي تقريباً.. أنزلونا كما قلت في فلة (منزل من دورين) وانزلوا العفش.. اطلبوا منا أن ننتظر حتى يأتونا صباحاً.

لم نجد في الفيلا إنساناً نهائياً.. ظلام مطبق بعد منتصف الليل.. ونحن ثلاثتنا فقط، مندهشين مستغربين.. لا نجد تفسيراً لما حصل إلا التسليم به.. و لم ننم.. كنا في غرابة أمرنا غارقين.. وبدأنا نتناقش فيما بيننا ثم اتفقنا على أن نذهب صباحاً إلى العاصمة، ومنها نسافر إلى جنيف حيث هناك المقر الأوربي للدفاع عن حقوق الإنسان.

وفي الصباح انتظرنا إلى الساعة الثامنة.. و لم يجيء الفطور.. وكنا قد نمنا من غير عشاء؟ سألنا أحد الجزائريين عما إذا كان هناك مطعم فأشار إلى منطقة قريبة.. فذهبنا إليها فوجدنا مطعماً من بقايا المطاعم الفرنسية.. وطلبنا فطوراً فأعطانا خبزاً وبيضاً وشاياً.. أكلنا ودفعنا له ما طلب، ثم عدنا إلى المنزل وأخذنا العفش بعد حوالي التاسعة صباحاً.. وحملناه إلى شارع رئيسي وانتظرنا حتى جاءت سيارة أجرة.. فركبناها وذهبنا إلى العاصمة الجزائر، وهناك نزلنا في فندق كبير مشهور، وعندما طلبنا استئجار غرف قالوا لنا إنه لا يمكن لنا ذلك إلا بإذن من وزارة الخارجية!!

كيف نعمل..؟

واتفقنا أن يأخذ العطار جوازاتنا، ويذهب بها إلى السفارة السويسرية.. حيث يأخذ لنا التأشيرة إلى سويسرا وحينئذ نبحث عن طائرة متجهة إلى

الغرب.. وفعلاً ذهب العطار إلى السفارة السويسرية.. وانتظرت مع الأخ / محمد أحمد نعمان.. عودته..

وفجأة جاء إلينا عدد من الأشخاص الذين استقبلونا في المطار.. يقولون إنهم ذهبوا إلى الفيلا و لم يجدونا.. فاستغربوا؟ والعجيب أنهم كانوا مستغربين فعلاً!.. مع أننا كنا ضيوفاً عليهم و لم نجد حتى من يقدم لنا رغيف الخبز نأكله..

المهم أننا شكرناهم.. وقلنا لهم نحن مسافرون إلى أوربا..

اتصلوا بجهات مسؤولة وعادوا إلينا يلحون أن أحمد مساعدية وهو مساعد الأمين العام لجبهة التحرير يريد أن يرانا في الساعة الخامسة.. ومن بعده سيستقبلنا الشريف بلقاسم الأمين العام لجبهة التحرير.. ففهمنا من ذلك أننا سنتحدث مع جبهة التحرير وليس مع السلطة الحكومية.. عاد العطار.. وفكرنا في الموضوع، حاولنا الاعتذار، فلم يسمحوا لنا مطلقاً.. بمعنى إما المقابلة وإما لا يمكن أن نسافر..!!

انتظرنا حتى الساعة الخامسة فجاؤونا وذهبنا إلى أحمد مساعدية الأمين العام المساعد لجبهة التحرير.. ودخلنا إلى مبنى ضخم جداً.. أو سرايا ضخمة..

استقبلنا الرجل وبدأ يشرح لنا الذي حصل قال لنا: إن الرئيس جمال عبدالناصر اتصل بهواري بومدين وعاتبه عتاباً شديداً، وأن الجهة الرسمية في القاهرة اتصلت بالسفير المصري وأعطوا تعليمات.. معينة، ولهذا خافت الجزائر علينا من أن يعمل السفير بطريقته الخاصة مع ناس جزائريين على اختطافنا.. فاتخذوا الإجراء الذي اتخذوه تحاشياً من حصول أي شيء..

المهم عرفنا أن هناك ضغطاً على الرئيس هـواري بومدين.. وأنـه رأى أن يكون اتصالنا بالجبهة أولاً..

وبعد الخامسة.. وبعد حديـث طويـل.. انتقلنـا فعـلاً إلى شـريف بلقاسـم الأمين العام للجبهة.. وهناك وجدنا شخصية ممتازة فعلاً.. حيـث شـرح لنـا القصة بتفاصيلها.. وأبـدى لنـا انزعاجـه وأخبرنـا أن الرئيـس بومديـن أيضـاً آسف لما حصـل لنـا.. وعلمنـا منـه أن الرئيـس جمـال عبدالنـاصر قـد أبـدى استياءه من كون الرئيس بومدين سيستقبلنا.. ولا ندري مـا الأوصـاف الـتي قيلت للرئيس.. وأخيراً قالوا لنا.. " ابقوا هنا حتى نرى ما الذي سيحصل "..

بعد لقائنا مـع الأمـين العـام لجبهـة التحريـر الجزائـري نقلونـا إلى مبنـى لا ندري هل هو فندق من الدرجة الخامسة أو شقة في منطقـة بعيـدة جـداً عـن الأنظـار.. وكـانت تـتردد علينـا الشـخصية الجزائريـة المعروفـة باسـم صـوت العـرب، وهـو مـن القيـادات الثوريـة في الجزائـر.. هـذا الرجـل تحـدث معنـا واستمع إلى ما عندنا من أقوال وأفكار.. وفهمنا منه أنه مكلف بـأن يسـتمع إلينا دون أن يفهمنا أي شيء..

المهم قعدنا حوالي ثلاثة أيام.. ثم ركبنا الطائرة إلى جنيف.. وهنـا أقـول: إن المقادير أحياناً تتدخل بشكل عجيب فبينما كنا في جنيف شـاهدنا هكـذا فجأة شخصاً في أحد مقاهي جنيف اسمه عاطف دانيال، سوري، كان بعثياً، ثم هرب من البعث واستقر في جنيف، وبدأ يشتغل في التجارة..

الأخ / محمد أحمد نعمان.. كان يعرفه جيداً.. وهـو أيضـاً عندمـا شـاهد الأخ / محمد فرح فرحاً كبيراً.. واسـتقبلنا واختـار لنـا فندقـاً.. وأقـام حفلـة غداء لنا.. وعندما فهم منا الوضع المتردي في اليمن، وأن القيادات اليمنيـة في

معتقلات القاهرة.. وفهم أيضاً ما حصل لنا في الجزائر.. أشار علينا بأنه يقترح أن يهيئ لنا.. أن نعرف ونشرح قضيتنا لسكرتير المنظمة الأوربية لحقوق الإنسان.. أو للدفاع عن الدبلوماسيين، نسيت الاسم الكامل، ولكن هذه المنظمة الموجودة في جنيف، منظمة تدافع عن حقوق الدبلوماسيين أو الإنسان السياسي، أو من هذا النوع، المهم أنه حدد لنا موعداً مع السكرتير العام والتقينا به، وشرحنا له اعتقال الحكومة وعدداً من الضباط والمشايخ والشخصيات الاعتبارية في القاهرة.

وعندما استمع إلينا سكرتير المنظمة لم يصدق أن هذا فعلاً يحصل!!.. وقال لنا: هل معقول أن حكومة تسجن حكومة؟

قلنا له: هذا ما حدث.. وحاولنا أن نؤكد له ذلك و لم يقتنع إلا بعد صعوبة بالغة، وبعد أن طلبنا منه أن يسأل عن أولئك المعتقلين في القاهرة.. وسلمنا له قائمة بأسمائهم.

وقد استوضح عن تلك الشخصيات البارزة فقيل له، فعلاً إنهم قياديون في اليمن؟.. وعندما سأل أين هم؟.. قلنا له إنهم بالقاهرة؟.. فبعث ببرقية إلى القاهرة.. يطلب معرفة مصيرهم فجاءه الرد في اليوم الثاني بما معناه لا ندري عن هؤلاء أي شيء..

أخبرنا الرجل بالرد.. وقال لنا: أنا لا أدري عن صحة هذا الرد.. ولكنني لا أستطيع أن أهضم أن هناك حكومة تعتقل حكومة!! فطرحنا عليه أن يختار اثنين من المحامين الأوربيين ليذهبا إلى القاهرة وإلى صنعاء للبحث عنهم.. وعلى حسابنا.. فقال: هذه فكرة سليمة..

فقلنا له: إذن فإنه لا يمكن أن يتم تسهيل أي شيء لهما إلا بإذن من السلطات المصرية.. فبعث ببرقية إلى الرئيس جمال عبدالناصر يطلب منه تسهيل مهمة اثنين من المحامين الأوربيين يبحثان عن هذه الشخصيات اليمنية سواء كانوا في القاهرة أم في صنعاء.. وبعد يومين جاءه الرد من القاهرة بأنه " قد تأكد لدينا أنهم موجودون في القاهرة تحت الحراسة ".. هكذا " تحت الحراسة " ليسوا في المعتقلات ولا في السجون، وإنما تحت الحراسة بطلب من رئيس الجمهورية.. أي الجمهورية العربية اليمنية.

قلنا له: ثم ماذا؟

قال: لا أستطيع أن أعمل أكثر من هذا.. ولكني ممكن أقول لكم إن هذه الأسماء الموجودة سيتم توزيعها على أسر أوروبية كل شخص منهم في أسرة.. وهذه الأسر هم أعضاء في هذه المنظمة.. وهم معنا في جنيف بسويسرا كما أنهم منتشرون أيضاً في فرنسا وفي كل أوروبا. سنوزعهم كل واحد في أسرة.. ونطلب من هذه الأسر البحث بكل الوسائل عن هؤلاء الأشخاص في اليمن وفي مصر.. وكذلك البحث والتحري عن أسرهم ووضعهم المادي وحالتهم المعيشية.. والمهم أن نثير ضجة حول هؤلاء..

قلنا له: تفضل افعل ما تراه..

قال: إذن فلابد من أن نعطي لهم عنواناً ثابتاً لكم بحيث إنهم يواصلون الاتصال بكم.. فتكونون على علم بتفاصيل ما فعل كل واحد منهم.. كما أنه سيكون بوسعهم أن يطلبوا منكم بعض المعلومات.. أيضاً.. فتبرع الأخ / محمد أحمد نعمان وأعطاهم صندوق بريدي في بيروت..

هكذا تمت العملية بعفوية ودون أن نحسب حساب ما الذي سيحصل بعد هذا..!

ومكثنا في جنيف بضعة أيام ثم عدنا إلى بيروت، نتواصل مع الأصدقاء في القاهرة وفي صنعاء.. ونتابع مصير الزعماء المعتقلين.. وما هي إلا أيام معدودة حتى كان صندوق بريدي يعج بعدد هائل من الرسائل.. من شخصيات أوروبية تطلب مني معلومات عن مصير أولئك السجناء.. وكل واحد منهم يعتبر فلاناً أو فلاناً سجينه ويريد يعرف أسرته وأولاده وكيف حياتهم ومعيشتهم..

وبطريقة مثيرة امتلأ الصندوق برسائل متعددة وبشكل يومي يطلبون المعلومات مني ومن الأخوين/محمد أحمد نعمان، والدكتور/محمد سعيد العطار.. وبقينا في حيرة من هذا؟.. كيف نرد عليهم؟.. كيف نرد على كل تلك الرسائل والبرقيات!!

وفجأة يتصل بي اللواء عبدالحميد غالب سفير مصر في لبنان والشخصية التي سبق أن شرحت وأعطيت صورة عنها.. وعن قوتها ونفوذها الذي يهز لبنان..

اتصل بي اللواء عبدالحميد غالب يطلب مقابلتي.. فأدركت أن الأمر خطير وأنني مستهدف بطريقة أو بأخرى لتغييبي أو إخفائي.. وعندهم عناصر لبنانية وفلسطينية تستطيع أن تأخذني كما تؤخذ الشعرة من داخل العجينة!!

شعرت فعلاً بالخوف.. ولكن لم يكن بد من اللقاء.. لأنه يطلب مني أن يلتقي بي.. فقلت له: لا مانع عندي.. نلتقي في فندق سان جورج.. هذا

الفندق يعتبر من فنادق الدرجة الأولى.. وهو يطل على البحر، وترتاده الشخصيات اللبنانية الكبيرة باستمرار.. قلت له: نلتقي هناك.. وحددنا الساعة الحادية عشرة من اليوم الثاني موعداً للقائنا.

وذهبت إلى الفندق قبل الموعد.. حيث جلست في زاوية أنتظر.. وصل الرجل.. وكنت قد أعطيت خبر مقابلتي معه لزوجتي والأخ/محمد أحمد نعمان.

حضر السفير المصري في الوقت المحدد.. وجلست معه في زاوية.. وبدأ ذلك الشخص المثير المبهر يحدثني: بأنه يعرفني جيداً.. وبأنني رجل هادئ وطيب.. فلماذا أنساق مع أولئك المنحرفين – كما سماهم – وعدد لي أسماء العطار ومحمد نعمان، وأيضاً أسماء المعتقلين في القاهرة..

وحاولت جهدي أن أشرح له الموضوع.. ولكن لا جدوى من الشرح فالرجل عنده تعليمات..

قلت له: ما المطلوب..؟

قال لي: المطلوب أن لا تسير في هذه القافلة ولا في هذا التيار..

قلت: وما المطلوب بالتحديد..؟

قال لي: المطلوب هو الابتعاد الكامل.. هذه الرسائل التي ترسل إليكم أيضاً ترسل مثلها إلى القاهرة.. وقد جاءت المعلومات إلى القاهرة أنكم عملتم ضجة في أوروبا.. وقد وصلتنا نتائج مزعجة.

ومرة أخرى قلت له: ليكن هذا..، ولا مخرج ولا أستطيع أن أقول أكثر من ذلك، لأنني لو قلت كلمة غير ما قلت فسيكون مصيري مجهولاً.

ربما كان ذلك مرسوماً.. أو ربما كان في الأمر شيء آخر أنا لا أدري.. ولكنه كان عندي تصور وإحساس بأنه يجب عليّ أن أكون حريصاً..

المهم أنني قلت ذلك وذهبت فأعدت صندوق البريد إلى المواصلات نهائياً.. وتوقف الأمر عند هذا الحد.. ولم ألتق أو أر ذلك الرجل مرة ثانية إلا سنة ١٩٧١م كما سبق لي أن حكيت.. وهو في حالة يرثى لها.. وقد عرفت فيما بعد أنه مات ودفن في بيروت.. ولا أدري ما الذي حصل لزوجته وابنه الوحيد..

أما زعماء اليمن المساجين في القاهرة فقد بقوا على حالتهم تلك إلى ما بعد فجيعة ٥ يونيو ١٩٦٧م.. وتشكيل اللجنة الثلاثية العربية بعد مؤتمر الخرطوم من أجل المصالحة بين عبدالناصر وفيصل.. وكانت اللجنة برئاسة المثقف العربي ورئيس الوزراء السوداني محمد أحمد محجوب.. وعضوية المغرب والعراق.. وكان المحجوب يرتبط مع الأستاذ أحمد نعمان بصداقة حميمة.. فطلب من عبدالناصر لقاء اليمنيين المساجين في القاهرة.. وخاصة نعمان والفريق العمري.. فقال له: اذهب إليهم في السجن.. وأمام استغراب المحجوب واندهاشه.. أمر عبدالناصر بإحضار المساجين إلى قصر القبة.. وبكى المحجوب عندما رأى صديقه النعمان الذي سلخ عمره كله في النضال الوطني.. وهو على تلك الحال من السجن بعد أن شاب.. وكبر.. وبعد ذلك تم إطلاقهم حيث وصلوا بعد فترة إلى بيروت.

قال لي الأستاذ / أحمد نعمان إنه كان يصرخ ويطلب أكثر من مرة من الحارس النوبي أن يفتح له ليذهب إلى الحمام ليبول.. والحارس يقول له: أنتظر يا أستاذ.. ويتكرر هذا كل يوم حتى قال الأستاذ / نعمان قولته

الشهيرة: " كنا في العهد الملكي نطلب أن يسمح لنا بـالقول، واليـوم نطلـب أن يسمح لنا بالبول!!.. في العهد الملكي لم يسـمح لنـا بـالقول.. وفي العهـد الجمهوري لم يسمح لنا بالبول!! ".

فجيعة ١٩٦٧م

عام ١٩٦٧م تتابعت الأحداث متسارعة.. ففي مايو استمعت إلى المؤتمر الصحفي الذي عقده الرئيس جمال، وكان عنيفاً وشديداً.. ثم ألحقه بأن طلب من الأمم المتحدة سحب قواتها من شرم الشيخ.. وبدأت الاستعراضات بالقوات المسلحة تجوب القاهرة وتتجه بعضها إلى قناة السويس.

وأنا أتذكر هذا المؤتمر الصحفي الذي كان في شهر مايو، ولم أكن أدري كيف جاء كلام الرئيس في المؤتمر بذلك اليقين من الانتصار.. بينما في اليمن قوة مصرية كبيرة..

كانت الأحداث بعد المؤتمر تتسارع ولم يكن ما حدث مفاجأة كاملة.. كان منتظراً أن يحدث شيء..

ويوم ٥ يونيو ١٩٦٧م كانت الفجيعة الكبرى في الوطن العربي.. فقد قامت قوات العدو الإسرائيلي تضرب بشكل مخيف مصر وسورية والأردن..

ومن وجودي في لبنان ومعرفتي بأن لبنان هو مركز المعلومات استمعت إلى مؤتمر الرئيس عبدالناصر في مايو.. فكان في تصوري أن شيئاً ما سيحدث.. وأن الأمور وصلت إلى مرحلة عنيفة.. وكانت معرفتي ببعض الأمور.. لوصلتي خاصة بجريدة النهار.. وصداقتي مع الأخ / غسان تويني

صاحب جريدة النهار، ومع ميشيل أبو جودة وآخرين، ولأن جريدة النهار كانت لديها معلومات تصلها باستمرار من مصادر متنوعة أكثرها سليم وصحيح.

كل تلك المعلومات كانت تؤكد ما سيحدث، فكان عندي شبه يقين أن إسرائيل ستضرب ضربة موجعة..

لكن الذي حدث كان فوق ما يخطر على البال.. فلم يكن متصوراً.. أن تدخل إسرائيل إلى داخل مصر.. وأن تضرب القواعد العسكرية والطيران المصري وتبيده تماماً.. وأن تضرب كل ما داخل دمشق والأردن، وتحتل تلك المواقع بسرعة البرق.. وأن ينتهي كل شيء في ساعات محدودة.. فهي ليست ستة أيام كما يقال.. إنما هي ساعات انتهى خلالها كل شيء وسقط كل شيء..!!

هذه هي النكبة والفجيعة والهزيمة العربية.. وهي نكبة جاءت كنتيجة حتمية لكثير من الأخطاء..

ونظراً لمعرفتي ببعض القضايا.. واطلاعي على جوانب كثيرة لم أستغرب الذي كنت ألاحظه لدى الكثير من اليمنيين أو حتى من اللبنانيين.. لأنني كنت على مقربة من الأحداث.. وكنت أعرف عقم أسلوب الحكم العربي.. الهوة العميقة بين الإنسان العربي والسلطة، بين المواطن والسلطة.. كانت هناك فجوة كبيرة إلى أبعد الحدود.. وكانت القيادات العربية لا تزال إلى اليوم تأخذ القرار الفعلي دون دراسة، دون تعمق، دون مشاورة مع الجهات المختلفة، مع الناس، حتى إذا كانت هناك مجالس نيابية.. فهي مجرد مظهر ليس إلا.. المهم هو الحاكم.. الملك أو رئيس الجمهورية.. هو كل

شيء في الدولة وفي السلطة.. والباقي كلهم مجرد موظفين وليس لهم من الأمر شيء وإذاً فلا غرابة أن تجد إسرائيل يومها ذات المساحة المحدودة والثلاثة ملايين وهي تعربد وتسيطر سيطرة كاملة على أجزاء كبيرة من مصر والأردن وسوريا.. وأصبح المواطن العربي لا يعرف شيئاً إلا الاستسلام والاستغراب والاستهجان من الحكام العرب.

ولكنا نعرف ما الذي حصل بعد ذلك..

عبدالحكيم عامر الذي كان الإنسان يشاهده، ويشاهد رسم النسر فوق جبهته وكأنه سيقفز إلى كل المعارك انتحر في الحمام، أو هكذا قيل وسقط ميتاً..

عبدالناصر تحمل المسؤولية.. وشعر أنه نتيجة هذا العبث وهذه القيادات التي معه في الجيش والمخابرات.. بكل تلك الأجهزة والملايين التي كانت تصرف لهذه القيادات في الجيش والاستخبارات والتي كانت تتصور أن عندها كل المعلومات، ثم ظهر أنها لا شيء، خداع في خداع.. وكذب.. فهي عبارة عن أجهزة تفشّى فيها الفساد، وهمها الوحيد هو محاربة المواطن المسكين.. الاستيلاء على الثروة بكل الوسائل الممكنة.. بكل ما تمتلكه تلك الأجهزة من إمكانيات بغرض سحق المواطن المسكين..

أما إسرائيل فهي في حصانة كاملة وهي تعرف معرفة دقيقة كل شيء داخل كل بلد عربي، وداخل الاستخبارات العربية.. وداخل الأمن السياسي في أي بلد عربي، وكذلك في داخل القوات المسلحة..

وقصة كوهين الإسرائيلي التي حصلت في سورية معروفة ويستشهد بها.. كيف جاء الرجل من جنوب أمريكا.. وكان له اسم بعثي ودخل إلى

دمشق.. وانضم إلى الحزب.. وكان يقيم الحفلات والتصق بالبعث وعرف كل صغيرة وكبيرة داخل سورية.. وكان يرسل المعلومات من جهاز متقدم حديث في الشقة التي كان يسكن فيها، وكان الناس يتصورون أنه أحد المهاجرين ويحمل اسماً عربياً، وكان بعثياً وحزبياً منتظماً.. وكان يشتغل بالتجارة في جنوب أمريكا، ثم عاد إلى وطنه، وما اكتشف إلا وقد سرب كل شيء إلى إسرائيل.

هذه واحدة من أشياء كثيرة، فالأرض العربية مفتوحة لكل من هب ودب، والحاكم العربي همه الوحيد هو الكرسي وليحصل ما يحصل بعد ذلك..

وعبدالناصر الشخصية العربية العظيمة ضاع في هذه الزحمة وفي هذه المتاهات.. قد يقول قائل: ومن جاء بهؤلاء؟.. أليس هو الذي جاء بهم من عبدالحكيم عامر إلى آخر واحد؟! لكن القضية أيضاً ربما كانت أكبر وأعظم من أي شيء آخر في هذا الظرف المحتدم.

أما إسرائيل فهي كما هو واضح كانت تخطط وترتب لمثل ٥ يونيو من سنوات، كانت تريد حل مشكلتها مع الدول العربية حلاً جذرياً.. والدليل على تخطيط إسرائيل القديم.. أنها منذ حرب ١٩٤٨م.. لم تحدد حدودها المتعارف عليها في أي بلد في العالم.. لقد تركت إسرائيل حدودها مفتوحة مع الضفة الغربية وغزة ومع الأردن وسورية ومصر.. وكل مسؤول عربي يعرف أن لإسرائيل أهدافاً كبرى.. وأن خارطتها من النيل إلى الفرات معلقة داخل الكنيست الإسرائيلي.. وفي الجهات الرسمية.. والمعلومات تتسرب إلى

الدول العربية المجاورة.. أن إسرائيل تخطط من أجل أن تصل في يوم من الأيام إلى الهدف الذي تسعى إليه..

أقول إن فجيعة ٥ يونيو ١٩٦٧م كانت فجيعة للمواطن العربي وإنها هزت مصر هزاً عنيفاً.. وأتذكر كيف أنه استقال الرئيس جمال عبدالناصر يوم ٩ يونيو.. وأعلن هذا في التلفزيون، خرجت مصر كلها تنادي أن يبقى عبدالناصر في مكانه.. فهل كان الشعب المصري يريد تحميل عبدالناصر وزر الحملة؟.. أو وزر الحكم الناصري مثلاً؟.. هل كانت هناك قيادات (قيل هذا أيضاً) مصرية تدفع أو دفعت المصريين أن يخرجوا في مظاهرات عارمة في كل شوارع القاهرة تطالب ببقاء الرئيس جمال عبدالناصر في الحكم؟.. ترى من أجل ماذا؟.. لأنه من المتعارف عليه أن الرئيس أو القائد عندما يهزم ينتهي لكن هنا اختلف الأمر فقد بقي الرئيس بمطالبة من الشعب؟.. هل هذا كان حقاً عن تخطيط؟.. هل كان عليه أن يتحمل وزر هذه العملية فيخرج البلاد إلى طريق أو ينتهي معها؟

تفسيرات كثيرة كانت تجول لدى كل المتبعين وكنت أشاهد هذا وأستمع إليه من كثير من الشخصيات العربية واللبنانية، والكثير منهم كان في حيرة لا يدري ما الذي حصل؟.. وفي ظل الاحتلال الصهيوني للأراضي العربية؟.. هل كانت المظاهرات عن إيمان عميق لدى الشعب المصري بأن يواصل الرئيس الرسالة المطلوبة منه؟

وهل حقيقة كانت هناك أجهزة خفية وسرية إلى أبعد الحدود تدفع بالأمور للضرب من الداخل هنا وهناك بطرق مختلفة من أجل أن يستمر هذا السقوط؟.. وبالتالي يأكل الحكم نفسه بنفسه من الداخل؟

ماذا يعني انتحار عبدالحكيم عامر وما الذي يخفيه إنهاؤه بطريقة أو بأخرى.

لقد كان لدى عامر عدد كبير من القيادات المصرية، ومن الضباط الكبار الذين كانوا مستفيدين من بقائه على قمة الجيش، وكان معروفاً أن هناك قيادات أكثر فاعلية؟.. ولم يكن مفهوماً كيف تغيب شخصية مثل عامر بسهولة؟.. وكيف تستسلم تلك القيادات بمثل تلك البساطة؟

أتساءل دائماً ما وراء ذلك كله..؟

اعتقد أنه الغباء العربي.. وانفلات المعايير.. التي ساعدت على هذا (التخبيط) وجعلت العربي المهزوم بكل بساطة يعتبر الهزيمة (نكسة)!!

ما الذي يعنيه.. أن يدمر الجيش.. أن يهرب عشرات الآلاف في صحاري سيناء، وأن يموتوا من العطش والجوع ولهيب الصحراء، والجيش الإسرائيلي يلاحقهم، ويأسر منهم عشرات، ثم نقول إنها (نكسة)، هذا شيء مخيف ومفجع.. ولابد أن هناك أيضاً مخطط خارجي.. ولكن لا ينفي أنه كان في الوسط العربي شيء ما!!

المهم أننا كنا في حيرة.. وكان كل إنسان عربي.. مواطن أو مسؤول يعيش في متاهة.. لا يعرف من أمره أو أمر شعبه شيئاً.. وكانت الهزيمة فضيحة لم تحدث في التاريخ، وانبهم الأمر على كل البلدان العربية الأخرى.. مثل العراق وغيرها من بلدان ما وراء الجوار.. فلم تدر ما حصل؟

مخططات رهيبة جاءت من الداخل.. ومن الخارج وقضايا فوق ما يخطر على البال جعلت المواطن العربي منفصماً عن كل شيء.. وقد أخبرني

الأستاذ / أحمد نعمان الذي جاءت الكارثة وهو كما أسلفنا مع أربعين من القيادات اليمنية في سجون مصر.. أخبرني بحادثة لها دلالة كبيرة.. فالحارس النوبي الذي لم يكن يدعه يذهب ليبول إلا بعد أن توشك مثانته أن تنفجر.. هذا الحارس جاء إلى النعمان بينما كان النعمان يسمع أزيز الطائرات.. يدق باب زنزانته دقاً عنيفاً ويقول له: يا أستاذ إسرائيل هزمت مصر.. إسرائيل احتلت المطارات.. إسرائيل على أبواب القاهرة.. يقولها بفرح.. ملخصاً سلوك المواطن عندما يفقد حريته.. ويفقد الديمقراطية ويفقد معهما تلقائياً الشعور بالمسؤولية.. فهو عبارة عن إنسان كل همه أن يأكل ويشرب.. وليس له دخل من قريب أو بعيد ببلده.

قال لي الأستاذ نعمان: إنه عندما جاءه الجندي مبسوطاً.. يقول له: يا أستاذ إسرائيل احتلت مصر.. ضربت المطارات.. إسرائيل على مقربة من أبواب القاهرة:

فزعت -يقول الأستاذ نعمان- وأدركت أن الأمر قد وصل إلى مرحلة صعبة!!

كل هذا العبث العربي، كل هذا الجنون العربي.. كل هذه العربدة الإسرائيلية المجنونة.. كيف يخاطب الإنسان ضميره ووجدانه تجاه هذه الفجيعة.. كيف ينظر إلى هذه العملية. ما هو المردود من ذلك للأجيال القادمة وللشباب الطلائع.. كيف تطلع هذه الأجيال على أسباب هذه الهزيمة؟؟

وكيف يفسر أو كيف يصف الإنسان المذيع أحمد سعيد وهو يجلجل من صوت العرب.. بالانتصارات الكبيرة وبتدمير عشرات ومئات الطائرات

الإسرائيلية.. تلك الانتصارات التي ثبت بعد ساعات فقط أنها كذب وهراء؟!

وعلى من الكذب؟.. على الجماهير.. على الناس.. على الشعب المسحوق؟؟

إننا نستغرب أن تصل الأمور إلى حد الهوس وإلى حد الجنون، دون أن تتضح.. ولابد أن تتجلى أمام الناس.. بدون حواجز ولا عوائق تعيق معرفة الحقيقة مهما طال الزمن.

الفصل العاشر

اليمن بين العلماء والعسكر

نوفمبر ١٩٦٧
قيادة جماعية ومجرى جديد

في ٥ نوفمبر ١٩٦٧م جاءتنا الأخبار من صنعاء أنه أثناء ما كان المشير عبدالله السلال في طريقه إلى بغداد، فقد قامت حركة في اليمن بقيادة القاضي عبدالرحمن الإرياني، وتم اختيار مجلس جمهوري من القاضي عبدالرحمن الإرياني والشيخ محمد علي عثمان، والفريق حسين العمري.

تسلم هؤلاء الحكم وبدأت مرحلة انعطاف جديد في الحكم.. وبدأ البلد يأخذ مجرى يختلف عن المجرى السابق. إذ شعر البعض بأن هناك حدثاً جديداً.. وتضاربت الأخبار حول هذا الحدث من مؤيدين ومعارضين، كشأن كل اليمنيين في مثل هذه الأمور كان هنا تسرع في إطلاق الأحكام.. ويطلقها كل شخص أو كل مجموعة من المتراس الذي يتقوقع فيه..

جاءتنا الأخبار إلى بيروت هكذا تحمل الفرح والانزعاج في نفس الوقت.. ثم بدأ يتكشف لنا ما حدث.. وظلت الأخبار هي نفس الأخبار لفترة من الزمن.. ثم بدأت الاحتكاكات والمماحكات بين العناصر الجمهورية المختلفة مع بعضها داخل العاصمة صنعاء.. وبدأت المناوشات فيما بينهم بما في ذلك استعمال السلاح.. وهذه قصة كانت مزعجة ومنفرة إلى أبعد الحدود.

مجموعة من الشباب في القوات المسلحة كانت ضد بعض الشخصيات المتعارف على قيادتها وبدأ العمل غير المسؤول فيما بينهم مما شجع الملكيين على أن يهبوا خاصة وقد سحبت القوات المصرية.. وعادت إلى مصر.. ولم يبق في أيدي اليمنيين إلا ضمائرهم ومسؤوليتهم..

عندما بدأت هذه العمليات التافهة تأخذ هذا المجرى، بدأ الناس يخافون كل الخوف، وبدأت المناوشات المسلحة ففعل هذا فعله - كما قلت - ليهب الملكيون لحصار صنعاء من كل جانب حتى وصلوا إلى مقربة قريبة جداً من صنعاء.. أي إن الرماية بالآلي البسيط كانت ما بين داخل المدينة والملكيين..

وموقف مثل هذا كان كل فرد يخشاه إلى أبعد الحدود.. وهنا ظهرت وبرزت الشخصية اليمنية.. هنا تفاعل الناس جميعاً.. هؤلاء الذين كانوا مختلفين في صنعاء.. انصهروا في كلّ واحد عندما شاهدوا خطر الملكيين على مقربة.. وكانت ملحمة السبعين التي اندفع إليها كل أبناء اليمن من أجل أن يخلّصوا ويُنقذوا الوطن من براثن الملكية.. وبرغم اندفاع الملكيين بأموالهم الضخمة وأسلحتهم وإمكانياتهم وما دُفع لهم.. إلا أنهم فوجئوا بالجمهوريين وقد تناسوا الخلافات فيما بينهم.. وصار شعارهم جميعاً الثورة أو الموت.. الجمهورية أو الموت.

وكانت الأخبار تأتينا بتفاصيل مشجعة.. لكننا كنا نخاف ونحن في الخارج خوفاً حقيقياً لأن المعلومات المتوفرة عندنا هي أن الملكيين دفعوا بأموال كبيرة وبأسلحة فتاكة.. وخبراء أجانب ومرتزقة من اليمنيين، ومن غير اليمنيين.. على مقربة من أبواب صنعاء. لكن كما قلت، جاءتنا الأخبار

أيضاً مـن صنعـاء أن العمليـة أخـذت مجرى جديـداً، وأن اليمنيـين الثوريـين والأحرار اندفعوا للدفاع عن صنعاء والشباب اندفع بالمقاومـة الشعبية بجانب القوات المسلحة.. والجميع هدفهم هدف واحد، هـو تثبيـت النظـام الجمهوري والاستبسال في الدفاع عنه.. وفعلاً تحقق لهم النصر.. وأعتقد أن ملحمة السبعين يوماً تحتاج إلى رصد وتوثيق وإعطاء صورة مشرقة لهذه البطولة التاريخية..

نهاية عام ١٩٦٨م
العودة إلى الوطن

وفي أواخر عام ١٩٦٨م جاء طلب من القاضي عبدالرحمن الإرياني.. كان الطلب موجهاً إليّ وإلى كل الموجودين في بيروت من اليمنيين من أجل العودة إلى صنعاء.

وعدنا جميعاً.. وفي الحديدة التقينا بالفريق العمري ثم توجهنا إلى صنعاء، وصدر قرار بتعييني رئيساً لشركة النفط (المحروقات في ذلك الوقت) وكان مقرها الرئيسي في الحديدة.. عدت إلى الحديدة. وبدأت أعمل في هذه الشركة.. وعادت أسرتي من بيروت ومكثنا في الحديدة مدة سنة تقريباً.

وفي نهاية عام ١٩٦٩م صدر قرار جمهوري بتشكيل حكومة جديدة برئاسة الأخ محسن أحمد العيني، وكنت من ضمن التشكيلة الوزارية حيث استلمت حقيبة وزارة التربية والتعليم، وكان في ذلك تحول كبيرٌ لي.

اتجهت إلى صنعاء والتقيت بالأخ محسن العيني، وفي لقاء مع الزملاء أعضاء الحكومة.. شرح لنا الأخ محسن العيني رئيس الوزراء المهام الكبيرة

والمعقدة لهذه الحكومة التي ستتحمل المسؤولية كفريق عملٍ متجانس. ثم التقينا بالأخ القاضي عبدالرحمن الإرياني رئيس المجلس الجمهوري.. وبحضور الإخوة أعضاء المجلس، تم الحديث بين الأخ محسن العيني.. والقاضي عبدالرحمن الإرياني.. وأدينا اليمين الدستورية..

قلت: إن هذا كان تحولاً بالنسبة إلي.. والحقيقة أنني انتقلت فعلاً إلى مرحلة جديدة من تحمل المسؤولية، كنت أشعر بمدى العبء.. فوزارة التربية والتعليم كانت لا تزال بلا هوية بالمعنى المتعارف عليه.. ولم تكن وزارة للتربية والتعليم.. أي إن التعليم في هذا الوقت لم يكن قد انتقل إلى التعليم الحديث.

وما إن استلمت الوزارة حتى جمعت كل الأجهزة المسؤولة في الوزارة واستمعت إليهم.. وشرحت لهم وجهة نظري ورغبتي في أن نقوم بتغيير جذري يحدث نقلة تعليمية حديثة باتجاه المستقبل.

وبدأت أفكر في أن مثل هذا العمل يحتاج إلى إمكانيات مادية وبشرية.. وفكرت في كيفية الحصول على مثل هذا..

وتبلورت الفكرة عندي ونضجت.. وكانت تتركز في أنه لا بد من البحث عن الإمكانيات إذ لا يوجد عندنا في داخل البلاد شيء منها..

كانت الحرب قد انتهت، ودخلت البلاد إلى بداية مرحلة السلام.. والاقتناع والقناعة أن الحرب ليست في مصلحة أحد.. وأن عودة الملكية إلى اليمن مستحيلة استحالة تامة.. وكان هذا اليقين قد ترسخ عند السعوديين أيضاً، كما اعتقد من خلال سنوات الحرب.

وكان الحكم في صنعاء يتجه إلى الاعتدال والتعقل.. لململة الصفوف.. وجمع الشمل.. رغم أنه كانت تحصل بين وقت وآخر منازعات واعتراضات من شخصيات وطنية تخاف على اليمن من أن يحدث وتبتلعه السعودية.. وكان الأخ محسن العيني رئيس الوزراء يتحمل العبء الكبير وخاصة في هذا الظرف، فلم تكن الانتقالة أو النقلة التي حدثت بسيطة وسهلة.. وأنا اعتقد أنها تحتاج إلى شرح، أود فعلاً أن أشرحها بصورة تفصيلية أكثر.. والحديث الشريف يقول: " رجعنا من الجهاد الأصغر إلى الجهاد الأكبر ".. هو البناء.. هذا هو الجهاد.. هذه هي المسؤولية وهي ليست سهلة.. وتوصلنا فعلاً (أي الحكم) توصل إلى صيغة تفاهم وتعاون مع المملكة العربية السعودية.. وذلك بجهود المخلصين.. والذي تحمل العبء الكبير في هذه المرحلة هو الأخ محسن أحمد العيني رئيس الوزراء.. فقد كان هناك مؤتمر إسلامي في جدة.. وبصفته رئيس الوزراء ووزير الخارجية فلا بد له من أن يحضر هذا المؤتمر.. وذهب إلى جدة بالفعل لأول مرة، وحضر المؤتمر وبدأ اللقاء مع الإخوة في السعودية، وبدأ الجليد الكثيف المخيف يذوب إلى حد ما، ومع الوقت صار يذوب أكثر فأكثر.. وترسخ الاتفاق مع المملكة العربية السعودية.. وهو الاتفاق الذي وقع عليه نهائياً.. ومؤداه تثبيت النظام الجمهوري.. بمعنى تحقيق أهداف الثورة، وعدم عودة الأسرة المالكة (بيت حميد الدين جميعاً)، ولا مانع من عودة من يريد من الشخصيات التي كانت مع الملكية.. وكانت الرؤية واضحة أن هذا عدد محدود سيعود وينصهر في الملايين.. لا خوف.. لأن البعض كان يخاف (ومن حقه أن يخاف) كان البعض ينطلق من حبه للثورة وللنظام الجمهوري ولو إلى حد الاستماتة.. لكن الحكم في ذلك الوقت بجميع أركانه القاضي عبدالرحمن الإرياني – المجلس الجمهوري،

والأخ رئيس الوزراء، والوزراء، كانت عند الجميع رؤية واضحة.. تقول: إن عودة هؤلاء لا تعني شيئاً.

كان الأخ محسن العيني عندما يصطدم بحماس المعارضين.. يقول لهم: أنتم تعرفون جميعاً أن صعدة على وشك السقوط.. فتفضلوا احملوا السلاح واذهبوا للقتال من أجلها!!

المهم أن المصالحة تمت وعادت مجموعة من الشخصيات البارزة.. أحمد الشامي دخل عضواً في المجلس الجمهوري، وعبدالله الصعدي، ويحيى المضواحي، وعدد بسيط آخر دخلوا مشاركين في الوزارة وبعض المناصب.

وبعد فترة وجيزة كان هؤلاء.. قد أصبحوا كسائر إخوانهم اليمنيين.. و لم يجدوا أي انتقاص.. و لم يلاحظ أي جمهوري أو ثوري متحمس.. أن لهم مطالب إلا أنهم مواطنون ومسؤولون تحت راية الجمهورية العربية اليمنية.

والحقيقة أنني كنت أخاف بعد عودة هذه العناصر الملكية أن تحصل فجوة.. أو اختلالات أمنية أو مناوشات.. ولكنني فوجئت وغيري كثير فوجئوا بعودة العناصر الملكية.. وسرعة ذوبانها في النسيج الجمهوري.. وبين الملايين من أبناء الشعب.. وأصبح الجميع يؤمنون بالنظام الجمهوري، وأن القيادة جماعية تتمثل في المجلس الجمهوري، وكان هذا اتجاه آراء الكثير من اليمنيين، الذين كانوا يرون أنه في اليمن لا يمكن أن تكون القيادة إلا جماعية وخاصة في بداية السبعينات.

وهنا أخص بالذكر الجميل القاضي عبدالرحمن الإرياني رحمه الله فقد عمل من أجل تثبيت النظام الجمهوري، ولمّ صفوف الجمهوريين بعضهم مع البعض الآخر بكل الوسائل.

وعندما كانت تحصل المناوشات في صنعاء، كان يذهب إلى تعز أو الحديدة.

أما الفريق العمري فقد تحمل مسؤولية كبيرة قام بها على أحسن ما يمكن.. وعندما سمي بطل ملحمة السبعين كان يستحق هذا التكريم، سمعت هذا وأنا في بيروت، وسمعته عندما عدت من الشيخ عبدالله بن حسين الأحمر، ومن الأخ العميد مجاهد أبو شوارب، ومن الشيخ سنان أبو لحوم ومن شخصيات كثيرة كانت تلتف حول هذه المرحلة.. وهي المرحلة التي شهدت تحملهم مسؤولية نقل البلاد بعد تلك الحرب المدمرة إلى البناء والإعمار والمسؤولية فقد كانت التركة ضخمة وكانت المسؤولية كبيرة جداً.

وما إن توليت المسؤولية وزيراً للتربية والتعليم حتى بدأت أنشط وأفكر.. كيف أخرج التعليم اليمني من مستواه المتردي المتخلف إلى مستوى التعليم الحديث..

وكما سبق أن قلت فقد قررت التوجه إلى بعض البلدان العربية.. وأول رحلة لي كانت إلى المملكة العربية السعودية..

كنت أول وزير جمهوري يذهب إلى هناك والتقيت بالملك فيصل رحمه الله في الساعة الخامسة، وكان الحديث معه ودياً وشرحت له مخلفات الحرب وطلبت بعض المساعدات في مجال التعليم.

طلبت منه مئتي مدرس مصري على حساب المملكة العربية السعودية، كما طلبت بناء بعض المدارس.. حسب ما يراه ووعدني بذلك وحقق فعلاً ما وعد به.. وقمت بزيارة لولي العهد الأمير خالد، وزرت الأمير سلطان.

وكان الشكر مستحقاً في هذه الزيارة للمملكة العربية السعودية على هذا التفاهم وعلى هذه النقلة النوعية.. برغم أن الجروح كانت لا تزال تنزف هنا وهناك. إلا أننا كنا على يقين أننا يجب أن نسمو ونرتفع فوق الجراح وأن ننظر إلى البلد وإلى الوطن وإلى الناس الضعفاء والمساكين الذي كانوا يلاقون المتاعب والحالة السيئة في كل المجالات.

كان ذلك في بداية عام ١٩٧٠م وعندما عدت من المملكة العربية السعودية إلى صنعاء.. قدمت تقريراً وافياً عن كل ما قمت به هناك..

وبعد فترة اتجهت إلى دول الخليج.. وبدأت بزيارة دولة الكويت.. ودولة الكويت كان موقفها بعد الثورة مباشرة وباستمرار مع اليمن.. فقد انفردت عن غيرها بمواقفها المتميزة.. واعترفت بالنظام الجمهوري، وقدمت المساعدات لليمن في مجالات متنوعة ومنها التربية والتعليم والصحة وغيرها.

وفي سبيل ذلك لاقت الكويت ضغطاً متزايداً من جهات كثيرة.

لماذا تقدم الكويت هذه المساعدات للنظام الجمهوري في اليمن وهو دولة ملكية..؟

لكن الكويت لم تستجب لتلك الضغوط وكان موقفها للأمانة موقفاً واضحاً وصادقاً مع النفس ومخلصاً لليمن.

اتجهت إلى الكويت واستقبلت استقبالاً جيداً وكانوا مبسوطين جداً.. بالاتفاقية مع المملكة العربية السعودية، وباعتراف السعودية بالنظام الجمهوري رسمياً، لأن ذلك حل لهم مشكلة.. فكان تجاوبهم معي عند زيارتي انبعاثاً جديداً..

كنت أستشعر مع الشيخ صباح الأحمد بوضوح هذه الفرحة، شرحت لهم الموقف التعليمي والحالة التعليمية، وأبدوا لي استعدادهم، وقالوا لي بما يشبه العتاب أو الشكوى، إنه كان لهم مكتب في صنعاء قبل سنوات، وكان يديره عدد من اليمنيين أمثال الأخ / عبدالله الكرشمي، والأخ المهندس أحمد بركات وآخرين.. ولاقوا متاعب من إخوانهم اليمنيين.. ففي بعض الأحيان كانت تقوم في صنعاء حكومة تعتبر العون الكويتي عوناً غير مرغوب فيه.. وفعلاً كان هذا يحدث حتى أن أحمد بركات وعبدالله الكرشمي فرّا إلى بيروت.. واستقبلتهم وأنا سفير هناك في منتصف الستينات، حيث توجهوا إلى الكويت.

وفي الكويت التقيت بعدد من المسؤولين وفي مقدمتهم طبعاً أمير البلاد.. والشيخ صباح الأحمد الصباح المسؤول عن صندوق الكويت.. والأخ أحمد السقاف.. وشرحت لهم جميعاً أوضاع التعليم في اليمن شرحاً وافياً.. واستجابوا لطلبي بإرسال عدد من المدرسين المصريين على حسابهم، وأنهم سيتولون بناء بعض المدارس.. وكنت في هذه الزيارة ناجحاً إلى أبعد الحدود.

ومن الكويت توجهت إلى أبو ظبي.. والتقيت بالشيخ زايد الذي لم يمض إلا فترة قصيرة على توليه الحكم.. كان حيوياً ونشيطاً.. دعاني إلى العشاء وتحدثت معه كثيراً وبدا لي بسيطاً ومتواضعاً.. ومهتماً باليمن.. فكنت كلما

تعبت من شرح قضية اليمن، وجدتُه بالعكس يطلب المزيد مـن الشـرح للقضيـة.. و لم أخرج من عنده إلا بعد منتصف الليل.

وفي اليوم الثاني التقيت به وشرحت له غرضي من الزيارة وما كـان منـه إلا أن لبى الطلب بتوفير المدرسين وبناء المدارس وغير ذلك.

وفي اليوم الثاني اتجهت إلى البحرين في زيارة مجاملة التقيت خلالها بالأمـير وولي العهد ورئيس الوزراء.. بعدها ذهبت إلى قطر لنفس الغرض أيضاً زيارة مجاملة، ثم توجهت إلى القاهرة وعدت إلى صنعاء.

هذه الزيارات كما أسلفت كانت في بداية عام ١٩٧٠م، وقد كانت اللقـاءات مفيدة جداً.. من حيث الانفتاح علـى هـذه الـدول الشقيقة والجارة ومـن حيـث طلب المساعدات النزيهة التي لا يوجد فيها أي شرط، وقدموا لنا المساعدات فعـلاً من مدرسين وبناء مدارس، وطبع بعض الكتب بكل سهولة وبكل ترحاب.

وفي الداخل بدأنا نخطط، وبدأنا نكثف العمليـة التعليمية والحقيقـة أن سـعادتي كانت غامرة في هذه المرحلة وكنت نشـطاً، أداوم مـن الصبـاح إلى الظهـر، ومـن الساعة الثالثة بعد الظهر إلى السادسة أو السـابعة مسـاء، ومعي عـدد مـن الإخـوة المسؤولين في الوزارة يتجاوبون معي.

لكن المشكلة كانت كبيرة جداً.. والتعليم كان مرتبطاً بالعادات المحدودة، والناس كانت محرومة من التعليم الحقيقي فـالتعليم الحـاصل لا هـو قديـم ولا هو حديث ولا هو كما كان في العهد السابق، والبلاد كانت تعيـش مرحلـة ما بعد الحرب، حيث من الصعب جداً أن يفكر الإنسان ماذا كان سـيحصل في نهاية ١٩٧٠م وبداية ١٩٧١م، وكان همـي الوحيـد هـو تطويـر التعليـم العام، وإدخال النظام الحديـث في المرحلـة الابتدائيـة، والـتركيز علـى التعليـم

الفني والمهني.. وإدخال التعليم الابتدائي في الأرياف والقرى، ثم الاهتمام الكامل بإنشاء معاهد المعلمين في صنعاء وفي كل المحافظات.. وركزت على هذا تركيزاً كاملاً.

ولذلك قررت الذهاب إلى باريس حيث التقيت هناك بالمدير العام لليونسكو.. وجلست معه.. وكان يومها معي الأستاذ أحمد أمبو نائب المدير العام لليونسكو.. وطلبت من اليونسكو إرسال عدد من المختصين العرب لدراسة الوضع التعليمي على الطبيعة..

وبالفعل فقد بعثوا إلينا بالدكتور عبدالله عبدالدائم، والدكتور عبدالعزيز القوصي، وقد ذكرت لهم هذا الرجل بالاسم لأن صلتي به كانت قوية وقديمة، وإلى جانبهما جاء الدكتور غنام.

هؤلاء الثلاثة جاؤوا إلى اليمن، وسلمت لهم كل شيء في الوزارة، كشفت لهم كل أوراقنا، أطلعتهم على كل شيء بحضور جميع القيادات التعليمية، وطلبت منهم أن يقدموا لي تقريراً كاملاً من الألف إلى الياء.

كيف يتم نقل التعليم إلى التعليم الحديث، والتركيز الكامل على التعليم المهني والفني، وعلى إعداد المعلم، ضمن كلية التربية التي ننوي إنشاءها، وضمن بناء وتأسيس معاهد للمعلمين في صنعاء، وفي كل المحافظات، وفعلاً قاموا بدراسة ميدانية واطلعوا على كل نظام التربية والتعليم الهش، وبدؤوا يعدون الدراسة اللازمة.. ويضعونها قيد التنفيذ، وكنت معهم باستمرار.. ومعنا جميع مسؤولي الوزارة.. وبدأنا ننشط في هذا المجال بطرق حضارية.

وفي غمرة ذلك بدأت أفكر في إنشاء جامعة.. جامعة صنعاء.. وكنت أقول لنفسي: هل معقول ونحن في هذا القرن ألاّ توجد عندنا جامعة؟!

ذهبت إلى القاهرة والتقيت هناك بمدير جامعة عين شمس.. وبمسـؤولين في جامعـة القـاهرة.. وشـرحت لهـم كـل مـا لـدي ومـا أهـدف إليـه.. شـرحاً مستفيضاً وافياً.. وطلبت خبيراً على مستوى كبير جداً للتعليـم العـالي، يـأتي معي إلى صنعاء، واختاروا لي شخصية كبيرة جداً.. وجاء معي إلى صنعـاء.. خبيراً للتعليم العالي.. قلت له: في البدايـة أريـد كليتـين فقـط، كليـة التربيـة، وكلية الشريعة والقانون، لتكونا نواة جامعة صنعاء.

ووضعنا معاً البرامج والمنـاهج وكـل شـيء.. وتأسسـت البدايـة في مبـاني معهد المعلمين.. الذي صار يسمى الجامعة القديمة حيث قمـت بسـرعة ببنـاء معهد جديد، ونقلت الطلاب إليـه.. وخصصنـا مبـاني المعهـد لتكـون النـواة الأولى لجامعة صنعاء.. وفي السنة الأولى دخـل كليـة التربيـة وكليـة الشـريعة والقانون ١٦ طالباً فقط.

وذهبت فوراً إلى الكويت وهناك شرحت لهـم شـرحاً وافيـاً أهميـة إنشـاء جامعة صنعاء.. وتجـاوبوا معـي وحـددوا مبلـغ مئـة ألـف دولار بدايـة تحـت تصرفهم.. وأنشأوا لهم مكتباً في صنعاء يتولى الصرف واستجلاب المدرسـين والكتب إلى آخره.

وبدأنـا نسـير بمشـروعنا إلى الأمـام وفجـأة ألاقـي مـن بعـض الزمـلاء احتجاجات ومظاهرات.. وخطباً في الجوامـع ضـدي بحجـة أنـه لا يجـوز أن نسمي هذا المسمى (الشريعة والقانون) وكان الاعـتراض منصبـاً علـى كلمـة القانون التي كانت حراماً في زعمهم وتصوراتهم.. وسألت نفسي أكـثر مـن مرة: هل هذا معقول؟!

وحصلت بعد ذلك مشادات ومصادمات لفترة طويلة، الكثير من الإخـوة

يعرفون هذه القصة، ووصل الأمر ببعض المحتجين إلى أن احتلـوا الكليـات في عصر يوم من الأيام.. فذهبت إلى الفريق العمري أشرح له ذلك وخرج معي ومعه عدد من المصفحات إلى الجامعة.. فهرب المحتجون المسـاكين مـن فـوق الأسوار.

وكانت القصة في الحقيقة طويلـة ومضحكـة.. كيـف شـريعة وقـانون؟.. وذلك الشيء الغريب في سبعينات القرن العشرين جعل الذاكرة تعود بنـا إلى سنة ١٩٤٨م.

عندما كان يصور للناس أن كلمة (دستور) التي كانت غريبـة علـى الأذن اليمنية وقتذاك.. عبارة عن رجل كافر أو ملحد.. وأنه قد ألقي القبض عليـه في المخا أو الخوخة وأخذ إلى حجة!!

كانت مثل هذه الأشياء تنطلي على اليمنيين!! وهنـا أيضـاً جـاءت كلمـة (الشريعة والقانون) لتصور على أنها غير معقولة فتقوم المظـاهرات وتتواصـل الاحتجاجات.

ولقد تصديتُ لهـذا الموقـف بقـوة وصلابـة ومـازلت احتفـظ بـأمر خطـي مـن القاضي عبدالرحمن الإرياني رئيس المجلـس الجمهـوري، يـأمرني فيـه بـإغلاق هـذه الكلية لأنها ستوصل البلاد إلى مرحلة غير مرغوبة.. هكذا قدر الموقف وتصوره.

ولكني ذهبت إليه وقلت له بالحرف الواحد: لن أستسلم.. وهـذه ليسـت مشكلة.. هذا صراع بين القديم والحديـث يجـب ألا نخضـع ونستسـلم لـه.. وإذا كان هناك شيء فبإمكانك إصدار أمر بإقالتي من الوزارة.. ولكنني أقول بأنني سأحاول حتى خارج الوزارة.. من أجل بقـاء وترسـيخ كليـة الشـريعة والقانون.

وخرجت من عند القاضي الإرياني وهو غاضب عليّ.. وأنا أقول له اترك الحملة كلها ضدي.. اتركني وهم.. وسأكون على ما يرام.. وذهبت فجمعتُ الطلبة في ميدان المدرسة الثانوية (مدرسة الثورة الثانوية) هي الآن مدرسة جمال عبدالناصر الثانوية، جمعت طلاباً كثيرين (المعاهد، الإعدادي والثانوي) في الميدان وتكلمت بمنتهى الصراحة.. والجرأة.. قلت لهم: هذا مستقبلنا جميعاً.. وهذا مصيرنا.. ولذلك يجب أن نقف يداً واحدة ضد هذه الحملة النكراء.. ونتمسك بكلية الشريعة والقانون.

وبلغ الخبر القاضي الإرياني والأستاذ نعمان رحمهما الله.. فطلبني القاضي الإرياني إليه.. وسألني:كيف حصل هذا؟.. كيف تجمع الطلبة بهذا الشكل وتحرضهم وأنت وزير.

قلت له: هؤلاء المجانين الذين يحتجون على إنشاء كلية الشريعة والقانون ما الذي يسكتهم؟ إنهم يخطبون ضدي يوم الجمعة في بعض الجوامع في صنعاء وتعز والحديدة، ويذكرون اسمي دون مواربة بكلام تافه وحقير.. واستمرت العملية وأنشأنا كلية تلو كلية.. وكنت الرئيس الأعلى للجامعة.. وكان يومها وزير التربية والتعليم.. هو وزير التعليم العالي..

واستمرت رعايتي وعنايتي بالجامعة بكل عطف وانتباه في بداية ١٩٧٠م إلى بداية ١٩٧٦م.

وفي هذه المرحلة من حياتي وبالتحديد في بداية عام ١٩٧١م وضعت خطة ممتازة جداً.. لإحداث نقلة تعليمية حديثة تتمثل في إنشاء كليات تربية في كل محافظة، وإنشاء معاهد معلمين في كل محافظة، والتركيز على التعليم

الفني والمهني والتقني بطرق حديثة، ووضع الكوابح من الآن لكيلا يصعد كل الخريجين إلى الجامعة، وأنه لابد من الآن أن نضع كوابح.. وخططاً مدروسة.

كان المشروع يكلف ٢٥ مليون دولار، وكانت حصة اليمن ٨ ملايين دولار، والدولة يومها لم تكن تمتلك مبلغ ثمانية المليون دولار، فمن أين لنا بهذا المبلغ.

فكرت طويلاً في هذا الموضوع، ثم عقدت العزم على التوجه إلى الشيخ زايد بن سلطان آل نهيان رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة.. وهناك التقيت به وشرحت له شرحاً وافياً ما نحن فيه وأعطيته صورة عن الحل المأمول.

وكان الحل الذي اقترحته أن تتحمل دولته ذلك المبلغ بينما نتحمل نحن مبالغ داخلية بالريال.. ووضعت أمامه المخطط كاملاً.. وكان الشيخ زايد عندما أقدم له دراسة يكتفي بالحديث معي، ويصدق كلامي لأنه يلاحظ أني مندفع تلقائياً، قال لي: ما المطلوب؟؟

قلت: المطلوب تحويل ٨ ملايين دولار على حساب البنك الدولي، وأنت تصدر تعليماتك إلى سفيركم في واشنطن ليحضر معي محادثات البنك الدولي ويوقع معي الاتفاقية بأن هذه الـ ٨ ملايين دولار على حساب دولة الإمارات العربية المتحدة.

ووافق الشيخ زايد، وبلغ مدير مكتبه كما بلغ السفير وحول المبلغ، وأخذت معي وفداً إلى واشنطن، وقبلها طبعاً كنا قد أعطينا التفاصيل كلها للبنك الدولي، وهناك التقينا بسفير الإمارات وكان معي السفير اليمني أيضاً، وذهبنا للتباحث مع البنك الدولي، وأسفرت مباحثاتنا عن توقيع الاتفاقية المرجوة.

وبهذه المناسبة أذكر هذه المفارقة اللطيفة، فقد أقام لنا رئيس البنك الدولي حفلة غداء في مبنى البنك وفي الساعة الواحدة والنصف نزلنا إلى المطعم، الذي تدخله أعداد كبيرة من الموظفين بين وقت وآخر، ونحن هناك في زاوية، رئيس البنك الدولي، ومعه ثلاثة شخصيات والوفد اليمني.. قدموا لنا الغداء عبارة عن قطعة لحم وقليل من الخضراوات.. وقطعة خبز وقليل من السلطة.. أكلناها وخرجت الصحون نظيفة تماماً ثم قدموا لنا قطع حلوى صغيرة، وفنجان قهوة أو شاي.. هذه هي عزومة البنك الدولي.. وقد سقتها لأنني كلما عادت بي الذاكرة إليها أتذكر كيف أن ذلك الحفل لم يكن يساوي في تكلفته ٥٠ دولاراً، وأتذكر معه الحفلات التي تقام في اليمن اليوم وكيف أننا نباهي دول الخليج دول البترول.. بالذبائح وتكديس اللحم فوق اللحم، والكباش فوق الكباش، والعجول فوق العجول، وأمهات وبنات وأبناء العجول وأشياء مزعجة، وغير معقولة.

وهكذا كما قلت كلما دعيت إلى مأدبة أو وليمة من الولائم في أي مناسبة أتذكر البنك الدولي ورئيسه وحفلة الغداء التي أقامها لنا، لوزير التربية والتعليم اليمني والوفد المرافق له.. ويالها من مفارقة فهؤلاء هم بناة هذه الحضارة.. وهذه سلوكياتهم.. كل شيء في محله.. وهنا نحن كما نرى أنفسنا في آخر العالم، نعيش على أساس أن لدينا حضارة.. والحقيقة أنه لا عندنا حضارة ولا حس حضاري، ولا عندنا عقل أو شعور بالمسؤولية.. وإنما عندنا غنائم.. وزرائب.. وكل واحد يدخل يده إلى أينما وصلت.. وكل هذا من فضل ربي، وربنا يعلم كل شيء، ويعرف السرائر، ويعرف من أين لك هذا، إذا كنت رجلاً مسؤولاً فيجب أن يعرف ويعترف الناس أنك لا تملك شيئاً.. ويجب أن تعترف أمام الجميع أنك طاهر اليد وأن

ضميرك حي ومسؤول أمام الله والناس، هكـذا هـي المسؤولية.. وإلا فمـاذا نسـمي الـذي هـو حـاصل الآن.. هـذه الدربكـة والإربـاك والخلـط، هـذه الفواصل والفوارق بين الناس.. الغنى الغير محدود، والفقر المدقع، ماذا نسمي هذا؟

وإنه لأمر مزعج هذا الإصرار لدى الناس وكأنه لن يكون هنـاك حسـاب عسير أمام الله، فكل واحد منهم سيترك أسرته وأولاده وأحفـاده، تتجاذبـه أنظار الناس ويتحملون المسؤولية أمام الناس من حيث لا ذنب لهم.

هؤلاء إن لم يتقوا الله فسيحاسبهم، كما سيحاسبهم المستقبل وسيجدون أنفسهم معرضين لمساءلة الأبنـاء والأحفـاد وسيرحلون كمـا رحـل العظمـاء والملوك والزعماء والأباطرة الذين لم يتركوا شيئاً.

الإنسان بما يترك من مخلفـات عظيمـة، وبمـا يـترك على سـاحة بلـده مـن أعمال لها ذكرى ولها رائحة الخير والإبداع والإنسانية.. وهذا هو الإحسـان الذي يمكن أن يكون أسداه لأسرته، والذي يمكن أن يحفظهم مـن بعـده أمـا المال فإنه لا يحفظ، بل يمزق، يبعـثر، ونحـن نلاحـظ دائمـاً.. كيـف تتسـاقط الأسر وكيف تتفكك.. وكيف يدخل الأبناء في حالات من التيـه.. وكيـف يصيبهم بعد ذلك، وكيـف تحيـق بهـم نظـرات الكراهيـة مـن النـاس بسـبب أعمال آبائهم التي لم تعمل حساب العواقب المدمرة.

المهم.. لا أريد مغادرة هذا الفصل قبل أن أشيد بالشيخ زايد بـن سـلطان آل نهيان رئيس دولة الإمارات العربية المتحدة.. فعندمـا زرتـهُ سـنة ١٩٧١م كنت أحمل معي مشروعين الأول بناء مطبعة في أرضية للوقف حصلت عليها وزارة التربية والتعليم في طريق المطار، والأرضية في حوزة الوزارة.. وطلبـت

منه بعد أن شرحت له الموضوع أن تقوم دولة الإمارات العربية المتحدة ببناء مبنى كامل للمطبعة.. وأن يتكرم بشراء هذه المطبعة، وفعلاً أمر ببناء مبنى الأمكنة الخاصة بالمطبعة.. وأمر جهة لا أعرفها بشراء مطبعة كلفتها في تلك المرحلة حوالي مائة ألف دولار.. والطلب الثاني كان بناء مركز الدراسات والبحوث اليمني (وهو المركز الموجود حالياً) وبالفعل أمر بذلك.. وتم تسليم الموقع للسفارة الإماراتية وتولت السفارة بناء المركز كاملاً بما فيه القاعة الكبيرة.

مقلب الرئيس

في سنة ١٩٧١م قمت بزيارة إلى ليبيا، وزرت الرئيس الليبي معمر القذافي.. الذي سبق لي أن اجتمعت به في زيارة سابقة سنة ١٩٧٠م بمناسبة مرور عام على قيام ثورة الفاتح من سبتمبر سنة ١٩٦٩م.

في الزيارة الأولى كان الوفد برئاسة الأخ العقيد / محمد عبدالله الإرياني.. وعضوية الأخ المرحوم/عبدالله حمران، والأخ/عبدالله عبدالعالم، وكنت ضمن الوفد بصفتي وزيراً للتربية والتعليم.

وفي المرة الثانية التقيت بالرئيس القذافي وشرحت له ما نحتاجه من مستلزمات التعليم من مدرسين وحددت له بناء مدرستين والتعاقد مع مئتي مدرس مصري على حساب ليبيا، وطبع بعض الكتب الدراسية وطلبت أيضاً.. عمل خمسة وعشرين ألف مقعد للطلاب، وخمسة آلاف سبورة، وسجل الرئيس الطلبات ووافقني عليها.. وقبل أن أعود إلى صنعاء حضرت معه حفلة لا أدري لماذا أقيمت.. أخذني وزير التربية والتعليم الليبي معه إليها.. وحضر أعضاء القيادة الليبية وعلى رأسهم القذافي.. وكان هذا الحفل في الصحراء بعيداً جداً عن طرابلس حيث نقلونا إليه بالطائرات الهيلوكبتر.. وفي وسط الحفل والبرنامج يتتالى فقرة إثر فقرة.. قام الرئيس القذافي، وكان مكانه في طرف المنصة والمنصة بعيدة جداً عن الأعداد الهائلة من المدعويين

الذين كانوا خليطاً من السفراء والشخصيات الاعتبارية وأعداد هائلة من الليبيين.. قام الرئيس القذافي فجأة وترك الحفل مستقلاً سيارته أو طائرة هيلوكبتر ومعه عدد من الضباط، ولا ندري إلى أين اتجه.. وارتبك الحفل والناس في وسط الصحراء.. و لم نعد ندري كيف المصير..

كنا في بداية الليل وعلى ما أعتقد كانت الساعة الثامنة تقريباً، ظلام دامس، والناس في حالة يرثى لها، وكل واحد لا يدري إلى أين يتجه.

أنا شخصياً ضعت في تلك الزحمة.. وضاع مني المرافقون لي.. حتى وزير التربية الليبي لا أدري أين هو ولا أين ذهب، وبدأت أبحث عن طريقة أعود بها إلى طرابلس.. أي وسيلة مواصلات، طائرة، سيارة.. ولكن الناس كانت كأنها في محشر ارتباك وفوضى.. كيف يحدث هذا؟.. ما الذي يحصل؟.. لا أحد يدري.

المهم أنني بعد بحث وجري هنا وهناك عن أشخاص أعرفهم.. وجدت أحد الإخوة الليبيين، فقلت له أنا وزير التربية والتعليم اليمني، وقد جئت إلى ليبيا في مهمة رسمية، ودعيت إلى هذا الحفل والآن أريد الخروج من هذه الحالة.

رثى ذلك الليبي لحالي، وبحث لي عن سيارة ركبتها مع عدد من الناس كان أكثرهم من السودانيين.. وسافرت في رحلة طويلة إلى طرابلس بعد منتصف الليل على الطوى من غير أكل وماء..

هذا الحادث استوقفني طويلاً ولفت نظري إلى ابعد الحدود!!

كل وزراء التربية في صنعاء

بعد فترة عقد مؤتمر وزراء التربية العرب في طرابلس.. حضرت المؤتمر ووجهت دعوة للإخوة الوزراء من أجل عقد المؤتمر القادم في صنعاء..

وفرح الإخوة الوزراء العرب بفكرة أن يكون المؤتمر في صنعاء.. وأفرحتهم الدعوة.. فهذه ستكون أول مرة ينعقد فيها مؤتمر لوزراء التربية والتعليم العرب في صنعاء.

وعدت إلى صنعاء.. وأنا أشعر أنني في ورطة.. وفي مأزق.. فقد دعوت الوزراء العرب لعقد المؤتمر القادم في صنعاء في حين أنه لا يوجد لدينا فندق أو مبنى للمؤتمرات.

ولأنني كنت مدركاً أننا في أحيان كثيرة يجب أن ندخل في مأزق أو ورطة لنبدأ البحث عن الحل.. فقد بدأت فعلاً البحث عن حل هنا وهناك.. حتى حصلت على أمر من الرئيس الإرياني بإخراج قوة الأمن التي كانت في دار الحمد.. من أجل ترميمه وإصلاحه وتهيئته ليكون فندقاً.

وكانت لنا معركة مع قوة الأمن التي كانت تشغل دار الحمد، فلم يخرجوا إلا بصعوبة بالغة.. حتى أنهم قبل أن يخرجوا أخذوا معهم كل ما في داخل القصر وأخذوا بعض الشبابيك بعد قلعها، وكذلك الأبواب.

المهم أنهم خرجوا.. وبحثنا عن أناس يتولون الإصلاح والترميم.. وحولنا الدار إلى فندق اسمه دار الحمد، أو فندق دار الحمد هكذا.. وبحثنا أيضاً عن شخص يتولى الإشراف عليه وتأثيثه، وفعلاً حصلنا على شخص يمني مقيم في جيبوتي.. قام بتأثيث الدار وإدارتها إدارة جيدة، وقمت بعد ذلك بعملية سريعة من أجل بناء قصر للضيافة، فبدأنا بتشكيل لجنة من وزارة الأشغال.. وكان في مقدمة شخصيات اللجنة الرجل المثالي الأخ / علي أبو الرجال، وعدد من رجال الوزارة، وكنت المسؤول عن بناء هذا القصر.. ولم تكن توجد عندنا أموال تغطي مصاريف البناء لا مع الدولة ولا في وزارة المالية، فاتصلنا بالشيخ سنان أبو لحوم، وكان يومها محافظاً للحديدة.. وطلبنا منه تحويل أي مبلغ.. فباع قطعاً من الأرض التابعة للدولة، وحول لنا مليون ريال.. ومن خلال اللجنة التي شكلناها بدأنا نشتغل.. وكان في وزارة الأشغال مخطط كبير وضعه مهندس فرنسي.. قمنا بإدخال تعديلات وتحسينات كثيرة عليه.. واستهدفنا أن يكون مظهر القصر الخارجي يمني الطراز مئة بالمئة، مع التصرف الكامل في المظهر والبناء الداخلي، وبدأنا في الحال التنفيذ.. واجتمع لنا عدد كبير من المهرة الأكفاء من اليمن.. وأعداد كبيرة من الموقصين، واستمر العمل ليلاً ونهاراً حتى تم الإنجاز.

والقصر عبارة عن قبو من الجهة الجنوبية والجهة الشمالية، وفوقه المبنى من دورين فيه اثنتان وثلاثون غرفة نوم، واثنان وثلاثون حماماً، إلى جانب ذلك، قاعات كبيرة أبْهاء ضخمة جداً، ومطعم، وفيه قاعة كبرى، وقد أحضر الأساطية حجراً ضخماً ونقشوه نقشاً فنياً جميلاً وكتبوا عليه تاريخ البداية، واسم رئيس الدولة، واسم رئيس الوزراء، كما كتبوا أن هذا البناء تم تحت إشراف ومباشرة، وزير التربية والتعليم (أحمد جابر عفيف).

ولا يزال شاهداً إلى اليوم.. وتاريخ بداية البناء ونهايته مسجل عليه.

ومساحة هذا المبنى حوالي ٢,٠٠٠ متر مربع تقريباً، كان وما يـزال تحفـة فنية.. تجعله الأول.. وفعلاً كانت له جاذبية حتى لأذكر أن الشيخ زايـد بـن سلطان آل نهيان عندما زار اليمن طلب مني أن نعمل مثلهُ في أبوظبي.

وكان القصر مقراً لاستضافة وزراء التربية والتعليم العرب.

وفي أيـام المؤتمـر حولنـا نـادي ضبـاط القـوات المسـلحة إلى مقـر رئيســي للمؤتمر.. وقسمناه بطرق مختلفة.. ليتلاءم مع الغرض، وجاء الـوزراء العـرب كلهـم، وعقـد المؤتمـر وكـان ناجحـاً بشـهادة الجميـع.. ورغــم إمكانياتنــا المحدودة.. إلا أننا بذلنا جهداً رائعاً من أجل أن نظهر وجه اليمن بمظهر جيـد أمام أول مؤتمر لوزراء عرب في اليمن.

زمن الإرياني

أود هنا أن أتحدث عن مرحلة ما بعد ١٩٦٧م إلى ما قبل حركة ١٣ يونيو ١٩٧٤م، بالتحديد سأتحدث عن فترة حكم الإرياني (القاضي / عبدالرحمن الإرياني رحمه الله) هذه الفترة التي كان لي فيها شرف تسلم وزارة التربية والتعليم إلى أن قامت الحركة.

خلال الفترة من ١٩٦٧ إلى ١٩٧٤م، كان الوضع في اليمن بين شد وجذب.. فبسبب مخلفات الحرب وأثارها والحالة النفسية لدى الناس آكانت تحدث توترات في النفوس بين الحين والآخر فتطغى، ولذلك بدأنا العمل من أجل إيجاد مجلس وطني للبلاد، واهتمت القيادة بمثل هذا العمل، وكنت مشاركاً فيه مع الأخ/علي بن يحيى الإرياني، فذهبنا إلى بعض المحافظات من أجل أن ندفع بالناس إلى هذا المجلس، الذي نتوخى منه أن يكون شبه مجلس تشريعي ورحنا ندفع الناس إلى الانتخاب والتعيين، وأحضرنا استمارات وتمت تعبئتها لمعرفة مدى حرص الناس على العملية القادمة، وهي عملية كانت من دون شك جيدة وخطوة متقدمة في ذلك الوقت.

وفي هذه الفترة أيضاً كنت أرافق القاضي / عبدالرحمن الإرياني لزيارة العراق ولبنان، وقبلها كنت معه في زيارة للسعودية، وكانت زيارة القاضي الإرياني للسعودية بعد المصالحة زيارة ناجحة، فقد التقى بالملك فيصل على

جدة - كما كانت هنا بينهما لقاءات جماعيـة شـارك فيهـا وفـدا البلديـن - وعدنا من السعودية والرئيس الإرياني يشعر أن الهـوّة بـين اليمـن والسـعودية التي صنعتها أيام الحرب التي أعقبت قيام الثورة قـد زالـت تمامـاً.. وبـالفعل حصل ذلك وإنني لأتذكر الملـك فيصـل وهـو يتحـدث مـع الإريـاني حديثـا تلقائياً.. حتى عـن دخولـه الحديـدة سـنة ١٩٣٤م.. ويتذكـر أحـداث تلـك الأيام والطريق من جدة إلى الحديدة، وكيف كانت العـادات اليمنيـة وأشـياء من هذا القبيل..

وكانت زيارة الرئيس الإرياني للعـراق أثنـاء حكـم الرئيـس أحمـد حسـن البكر، وكنت ضمن الوفد المرافـق لـه، وكـان صـدام حسـين تلـك الأيـام نائبـاً للرئيس البكر، وكان هذا الرجل (صدام) يلفت نظرنا بثقلـه الملحـوظ في العـراق وطغيان شخصيته على الكل، وكانت الزيارة ناجحة، وفيها تعرفـت علـى أحمـد حسن البكر الإنسان والشخصية العقلانية الجيدة.

ومن بغداد توجهنا إلى بيروت، واستقبل الرئيس الإريـاني هنـاك اسـتقبالاً جيداً وممتازاً حيث وضعت الأعلام وصور الرئيـس في كـل شـوارع بـيروت ونزلنا في قصر بعبدا، الرئيس وعدد من الوزراء كنـت بينهـم، وبقيـة أعضـاء الوفد أنزلوهـم في فندق فينيسيا، وكـانت لقـاءات الرئيـس الإريـاني بـالرئيس سليمان فرنجية، وكذلك بالوزراء موفقة إلى أبعـد الحـدود، وقلـدوه وقلدونـا أوسمة لبنانية ثم عدنا إلى صنعاء.

كانت الفترة من ٦٧ إلى ٧٣ بشكل عام فترة تتناوبها الصحوة والركـود، وفي أواخـر عـام ١٩٧٣م، بـدأ التململ أكـثر فـأكثر تجاه الحكـم، وبـدؤوا يطالبون بتصحيح الأوضاع.. مالياً وإدارياً، وكـان الرئيـس الإريـاني معهـم

يطالب بالتصحيح المالي والإداري، وعندما تشتد الأمور كان يخنق ويذهب إلى سورية حصل هذا مرتين، المرة الثانية ظل في سورية، وبدأت الململة تتزايد، فتشكل وفد من بعض الوزراء والضباط وبعض التجار والمشايخ، وتوجه إلى سورية للتباحث مع الرئيس الإرياني في المشكلة..

وبطائرة الرئاسة ذهبنا إلى حلب، ومنها بالسيارات ذهبنا إلى صلنفة المصيف الممتاز جداً، وكان رئيس الوفد الشهيد إبراهيم الحمدي، وجرى الحديث مع الرئيس الإرياني من هنا وهناك، وحاول بكل قوة إقناع الجميع بأنه لن يعود إلى صنعاء إلا بعد أن نبدأ في التصحيح، وكنا نحاول إقناعه بأنه لا يمكننا أن نبدأ التصحيح ورئيس الدولة حانق في سورية.. إلا أن تكون أنت على قمة المسؤولين عن التصحيح، تصدر الأوامر والقرارات والتوجيهات، وبعد مراجعات وأخذ ورد، قال لنا في الأخير: عودوا وأنا سألحق بكم بعد أن أفكر..!!

وعدنا إلى الفندق بعد تناول الغداء، وبعد ساعة دخلت إلى غرفة فيها الأخ العميد / حسين المسوري، وكان يومها رئيس الأركان، وكان معنا في الغرفة الشهيد / إبراهيم الحمدي رئيس الوفد.. ودار بيننا نقاش.. وشعر الحمدي من كلامي ما يعني أن الرحلة غير موفقة بدليل أننا عدنا بلا شيء تقريباً.. ولا أدري لماذا استاء من حديثي وأبدى ألماً وامتعاضاً من كلامي، وكان رده بحماس عسكري..

حصلت بعد ذلك مشادة بيننا، وحاول الأخ حسين المسوري تلطيف الجو، فدخل الشيخ سنان أبو لحوم وتدخل وانتهى الموقف تقريباً، وعندما خرجنا لركوب السيارة.. أخذني الشيخ سنان رعاه الله إلى المرحوم إبراهيم

الحمدي وقال: لا يمكن أبداً أن تعودوا إلا بعد أن تتصالحوا وتتحاببوا.. فقبل كل واحد منا الثاني، على أساس أن الموضوع انتهى نهائياً.

ذهبنا إلى حلب ومن هناك ركبنا الطائرة عائدين إلى صنعاء، وبعد فترة عاد الرئيس الإرياني.

التصحيح كان مطلوباً من أكثر من جهة، مجلس الوزراء كان يطلب التصحيح والقوات المسلحة أيضاً كان عندها برنامج للتصحيح، قوى وطنية وجهات متنوعة كانت أيضاً تطالب بالتصحيح.. الكل يطالب بالتصحيح، حتى رئيس الدولة، ولكن لم تكن توجد خطة واضحة بكيفية هذا التصحيح.. من (يُرَكِّبُ الجرس) كما يقال..

وبدأت العملية تأخذ مجرى غير طبيعي، تململ وتذمر، وأخيراً وفي ١٣ يونيو عام ١٩٧٤م قامت الحركة.. حركة التصحيح بقيادة المقدم / إبراهيم الحمدي وعدد من الضباط وطلبوا من الإرياني التنازل عن الحكم، وتنازل بكل بساطة وأرسل تنازله إلى الشيخ عبدالله بن حسين الأحمر، الذي كان يفترض به أن يدعو المجلس الوطني للانعقاد ليقرأ عليهم استقالة رئيس الدولة، والذين استقالوا معه، وكان من ضمنهم الأستاذ الكبير / أحمد محمد نعمان، ولكن الشيخ / عبدالله بن حسين الأحمر، لا أدري لماذا؟.. كتب وراء استقالة رئيس المجلس الجمهوري استقالته هو شخصياً، وأرسلها إلى إبراهيم الحمدي، و لم يستطع الناس أن يفهموا ما حدث؟..

وخرج الرئيس الإرياني ظهراً من صنعاء متوجهاً إلى تعز، وتم الاتصال به، وذهب عدد كبير من الشخصيات الكبيرة ومن ضمنهم الرئيس إبراهيم الحمدي، حيث أدوا له التحية والسلام الجمهوري.. عند مغادرته كرئيس دولة.. وكأن الأمر أمر عادي تماماً، وتوجه الإرياني إلى سورية بسلامة الله.

حركة ١٣ يونيو ١٩٧٤م

أريد هنا الحديث بوضوح لا لبس فيه حول حركة ١٣ يونيو ١٩٧٤م.. سأتكلم عنها بأمانة وصدق مع النفس.. ففي نفس اليوم الذي قامت فيه الحركة.. بحث الأخ / إبراهيم الحمدي.. بحثاً حثيثاً عني حتى حصلني في العصر.. دعاني إليه فجئت، وكان الشيخ سنان أبو لحوم حاضراً، وطلب الرئيس مني أن أتوجه فوراً إلى عدن للقاء الإخوة المسؤولين هناك.. وقال: إنهم يتصلون به بإلحاح غريب ومزعج.. ويريدون أن يكون للحركة اسم آخر (أن تكون ثورة أو حركة) لا يدري هو كيف يفسرها، وطلب مني أن يكون حديثي معهم واضحاً.. وأن أفهمهم أنها حركة تصحيحية ليس إلا.. أما ما يتعلق بالمملكة العربية السعودية، فنحن أصدقاء، وهم دولة جارة ولا يمكن بأي حال من الأحوال الدخول معهم في أي خلاف نهائياً، وقال: أرجو أن يكون هذا واضحاً كل الوضوح أمامهم، وتصرف بما تراه، إنما هذه خطوط عامة، ثم إنه اتصل بهم وقال لهم: سيأتيكم فلان غداً بالطائرة وسيحدثكم بلساني.

وفعلاً ذهبت بالطائرة واستقبلني المرحوم عبدالله الخامري، وكذلك المرحوم محمد صالح مطيع.. وأخذاني إلى القصر الجمهوري، وكانت القيادات كلها تقريباً حاضرة، سالمين، وعبدالفتاح إسماعيل، وعلي ناصر

محمد، والمكتب السياسي كله بالكامل بعضهم أعرفه والبعض الآخر لا أعرفه.

وبدأت أشرح لهم الحالة والوضع، وبأنها عملية تصحيحية متفق عليها بين الجميع بما فيهم القاضي/عبدالرحمن الإرياني، وتنازله مع من تنازلوا معه عبارة عن محاولة منهم لإفساح المجال لعناصر شابة وطنية من مدنيين وعسكريين من أجل التصحيح.

وكانوا يسألون عن بعض القضايا.. وكلما سألوني عن شيء كنت واضحاً معهم في إجاباتي، وخاصة حول رؤيتنا وسياستنا تجاه السعودية وأنها نفس الرؤية السياسية، ولا يمكن أن ندخل معهم من قريب أو من بعيد في أي مشاكل.

استمر لقاؤنا حوالي ساعتين هكذا بوضوح وصراحة حتى أنهم حاولوا معرفة أعضاء مجلس القيادة فقلت لهم مجموعة من الضباط ولا أعرف الأسماء كلها.

عدت إلى صنعاء.. وما إن وصلت المطار حتى كانت هناك سيارة في انتظاري حيث أخذتني فوراً إلى الرئيس الحمدي، فوجدته ومعه الشيخ سنان أبو لحوم، وشرحت له شرحاً وافياً الذي حصل، وشعرت بعد اللقاء براحة نفسية..

ثم قال لي: ما رأيك أن تتوجه غداً إلى طرابلس ليبيا.. قلت لماذا؟.. قال: الأخ معمر القذافي يتصل بي باستمرار ويريد تبني الحركة، ولذلك يريد معرفة كل شيء عنها بالتفصيل.. ولكنني أرجو أن يكون كلامك معه مثل كلامك مع الإخوة في الجنوب، وأنا أعتمد عليك.

قبل الحركة بسنوات قليلة.. كانت تربطني بالحمدي صداقة ومودة، وإن كانت تشوبها شوائب بين الحين والآخر.. المهم أنني اتجهت إلى طرابلس فعلاً، واستقبلني هناك وزير التربية والتعليم د/محمد شريف، وفهمت منه أن الأخ / معمر القذافي موجود في بني غازي، وأنه منذ ثلاثة أشهر لا يزاول العمل نهائياً وقد أعطى كل الصلاحيات للأخ / عبدالسلام جلود.

أخذني وزير التربية والتعليم إلى جلود.. وحاول جلود معرفة ماذا في الرسالة.. كانت معي رسالة صغيرة بخط الأخ إبراهيم الحمدي، هي عبارة عن تحية وسلام، وفيها إشارة إلى أن الرسالة الخطية تأييد للرسالة الشفوية التي أحملها.

قلت له: إن الأخ / معمر القذافي يتخابر بالهاتف مباشرة مع الأخ العقيد / إبراهيم الحمدي، وأرجوك أن تقول له بأنني موجود هنا.. فإذا رغب في مقابلتي فسوف أنتقل إليه فوراً.. وإذا رأى أن أطرح لك الموضوع مباشرة فأنا مستعد، ولكن أرجو تبليغه ذلك.. فقال لي: وهو كذلك.. ويبدو أنه رأى أن هذا هو المعقول.

عدت إلى دار الضيافة وبعد ساعتين جاءني وزير التربية والتعليم الليبي، وقال تفضل سنذهب إلى بني غازي.. لمقابلة الرئيس..

وصلنا بني غازي بعد منتصف الليل، وكان في انتظارنا أحد الضباط، وفوجئت به يأخذني لوحدي، ويتجاهل الوزير الليبي، ولم يسأل عنه حتى بجرد السؤال، وشعرت بامتعاض لهذا التنافر.

المهم، في ذلك الوقت المتأخر التقيت بالرئيس القذافي، وكنت أعرفه جيداً ويعرفني.. كان شعره منفوشاً بطريقة غريبة ولحيته أيضاً مهملة ومتروكة،

ومنظرها غير طبيعي، سلمته رسالة الأخ الحمدي، وجلست أشرح له الوضع وكان في يده دفتر وقلم فراح يسجل بعض النقاط.

وبطبيعة الحال فقد شرحت له الوضع بنفس الطريقة التي شرحت بها للإخوة في جنوب الوطن.. وبدأ يسألني أسئلة أخرى وكنت قد قلت للأخ إبراهيم الحمدي أن الإخوة في الجنوب سألوني عن مجلس القيادة وحاولت تجنب الإجابة، فقال لي: بالنسبة للأخ معمر لا مانع أن تعطيه الأسماء، وسلمني أسماء أعضاء مجلس القيادة.

فشرحت للقذافي عن الحركة بصورة تفصيلية وعندما طلب مني معرفة أسماء أعضاء مجلس القيادة، أعطيته الأسماء فكتبها في دفتره مستغرباً التسمية (مجلس القيادة) أتذكر هذا!!

قال لي: لماذا لا تسمون الحركة مثلاً: مجلس قيادة الثورة..

قلت له: إن الثورة لا تزال ثورة ٢٦ سبتمبر.

قال: ولماذا لا تكون هذه أيضاً ثورة للتصحيح بغرض التصحيح.

قلت له: من الصعب أن تكون إلا هكذا اسمها (مجلس قيادة) فقط، وقائد الحركة هو إبراهيم الحمدي، أو رئيس مجلس القيادة فقط، وليست هي ثورة.

وسألني عن أعضاء مجلس القيادة· كلهم ضباط!!

قلت له: نعم.

قال: ليس هناك مدنيون؟

قلت له: لا.

قال: أنا قرأت في إحدى الصحف اللبنانية اسمك.

قلت له: هذا غير صحيح.. ولكن ربما لأنهم لاحظوا ذهابي فوراً إلى عدن.. ثم ذهابي خلال يومين إلى ليبيا فظنوا ذلك، ولكنني لست عضواً في هذا المجلس.. وأعضاؤه هم الأسماء التي أعطيتها لك.. وكلهم ضباط.

وبدأنا بعد ذلك نتسامر بالخوض في مواضيع أخرى، وشكا لي شكوى مريرة من أنور السادات، وفي أثناء ذلك كان يشتمه شتائم كبيرة.. وحاولت إقناعه أن هذا ليس جيداً.. وسألني: هل قرأت الكتاب الأخضر؟

قلت له: لا.

فأهداه لي بخطه، ثم استطردنا نتحدث عن الحالة النفسية التي يعيشها، والنظرية الثالثة والكتاب الأخضر، وكنت متعباً ومرهقاً جداً. فخرجت من عنده تقريباً بعد الفجر حيث نقلوني إلى دار الضيافة.. وهناك ارتميت على السرير ونمت.

ولست أدري ما الذي حصل للأخ معمر القذافي، وأدى به إلى ذلك الوضع، فقد لاحظت كما قلت حالته النفسية المتعبة جداً، كما لاحظت أنه لا يزاول أي عمل نهائياً، كان جلود ومعه عدد من الضباط هم كل شيء.. ولا أدري حقيقة ما الذي حصل؟

عدت بعد ذلك إلى صنعاء.. وشرحت للأخ إبراهيم الحمدي الحوار الذي دار بيني وبين الأخ معمر القذافي، ووجدت الحمدي منشرحاً ويبدو أن حديثاً هاتفياً تم بينهما.

كل شيء في يد الرئيس

أريد هنا التحدث عن حركة ١٣ يونيو بما لها وما عليها، بعد قيام الحركة مباشرة وإعلان البدء في التصحيح، غمر النفوس أمل كبير في هذه الحركة، وتطلع الناس إليها على أنها ستحقق للشعب منجزات كبيرة وهائلة.

والتفت الجماهير بشكل كبير حول الحمدي، خطب حماسية وأناشيد.. لدرجة أنها صارت أكثر من اللازم، وكنت قبل هذه الفترة وأثناءها.. أشعر أن هذه الخطب الحماسية والأناشيد ليست إلا التكرار للزفة المعتادة، كنت متشائماً إلى حد ما.. وبدأ الحمدي يظهر أمام الجماهير بملكاته الخطابية وقدرته الممتازة في التأثير على الجماهير.. تلك القدرات التي لا أعلم كيف تعلمها.. فشد الناس بحماس وجذبهم فانتقل الحماس إليهم.. وانشدوا إليه بقوة.. ولكن الأمور كانت تسير بطريقة مختلفة، فقد اقتصر التصحيح على الخطابات والقصائد، ولم نجد التصحيح المتعارف عليه.. فقد كانت الخطب الحماسية تسعى لكسب ود الجماهير وحماسهم، على حساب حياتهم الضائعة.

كان الحمدي يحاول التصحيح بطريقة لا أدري كيف أفسرها.. الله أعلم بالنيات.. وعندما طلبوا الأخ محسن العيني وعاد إلى صنعاء لتشكيل الحكومة، ودخلت ضمن التشكيلة الحكومية كما كنت وزيراً للتربية والتعليم، وبدأنا نحاول بكل الوسائل أن ننفذ برنامجاً حقيقياً، ولكن بعد فترة بدأ الحماس

يفتر.. من قبل الحكومة، وكذلك من قبل رئيس الدولة، لأن رئيس الدولة كالمعتاد، كان يريد أن يكون هو كل شيء، أما رئيس الوزراء فعبارة عن باش كاتب، والوزراء عبارة عن موظفين، والحقيقة أن الحمدي لم يشذ في ذلك عما هو موجود في الوطن العربي، رئيس الدولة هو الملك، هو كل شيء، ورئيس الحكومة ينفذ فقط.. وهكذا، أخذت الأمور تفتر، وعلى مدار عامي ٧٤،٧٥ وحتى ٧٦ كانت الأمور إلى حد ما لا بأس بها.

وأتذكر من المواقف الهامة في تلك الفترة الموقف الذي اتخذه الأخ الزميل أحمد دهمش.. وكان وقتها وزيراً للإعلام، وكان يشعر بخوف بالغ على البلد.. فاتخذ موقفاً كان محل حديث الناس جميعاً، حيث ترك الحكم وفر إلى منطقة خولان، ولكنه قبل أن يفعل ذلك ترك رسالة للحمدي وزعت نسخ منها على الناس، وكانت الرسالة واضحة وعنيفة، وفيها شعور بالخوف من المستقبل المظلم.. وهذه الرسالة يتذكرها الجميع.

وأتذكر أنه عندما تولى الأخ / محسن العيني رئاسة الوزراء بدأنا نحاول وأنا من جانبي حاولت مع الأخ/إبراهيم الحمدي بحكم صلتي به في تلك الفترة، وهي صلة لا بأس بها كما سبق أن قلت.. حاولنا أن يكون الحكم مدنياً، وأنه لا يجوز استمرار الحكم العسكري تحت أي مسمى.. حاولنا إقناعه بكل طريقة، وبعد فترة وافق وتشكلت لجنة اختارها هو برئاستي.. ومهمة اللجنة وضع برنامج مدني.. وكان يقول لنا يجب ألا يكون البرنامج مفصلاً عليّ.. ضعوا برنامجاً متكاملاً ثم نناقشه فيما بعد وعلى بركة الله، وبدأنا فعلاً.. وكانت اللجنة تعقد اجتماعاتها في بيتي.. لأننا في تلك الفترة كنا قد ذهبنا مجموعة من الوزراء إلى المحويت بطائرة هيلوكبتر.. وعند عودتنا حدث أن

الطائرة بمجرد أن أقلعت حتى عـادت لـترتطم بـالأرض وتتدحـرج.. فأصبنـا إصابات بالغة وعدنا إلى صنعاء محمولين.. فكنت مصاباً وكانت اللجنة تعقد اجتماعاتها في بيتي.

وبدأنا نعمل عملاً مستمراً وبين الحين والآخر كان الأخ/ إبراهيم الحمدي يحضر ويبـدي لنـا تحمسه للعمليـة ونحن نأخذهـا بجديـة أكـبر.. وبمسؤولية أيضاً.. فوضعنا برنامجاً متكـاملاً وبعـد أن انتهينـا ووضعنـا قوائـم بالأسمـاء.. أسمـاء الشـخصيات اليمنيـة البـارزة في فئـات.. الفئـة (أ) تضـم مئـة أو مئـــة وخمسين شخصية أو أقـل مـن ذلـك علـى مـا أعتقـد.. وهـؤلاء قيـاديون في الدولة... الفئة (ب) طرحنا فيها شـخصيات بالمئـات.. الفئـة (جـ) أكـثر.. وهكذا.. وطبعاً هذه الشخصيات تمثل كـامل السـاحة اليمنيـة ونحن أحسـنا الاختيار فكان منهم الجـامعيون والمثقفـون والطلائـع المسـتنيرة، وشـخصيات بارزة ودكاترة.. الخ.

وجهزنـا جميعـاً البرنـامج ليسـلم لـلرئيس الحمـدي علـى أسـاس أن هـــذه الشخصيات هي التي ستقوم بعملية الغربلة والتصحيح..

وكلفت أنا من قبل الجميع أن أذهـب بنفسـي لتسـليم الموضـوع لـلرئيس الحمدي، ومن ثم التباحث معه حوله.. وبناء على موعد معه في بيتـه ذهبـت إليه وعندما جئت وجدته في البلكونة يحلق ذقنه..

قال لي: ادخل إلى البهو.. وانتظر؟

فدخلت وانتظرته حتى فرغ مـن الحلاقـة.. وجلسـنا معـاً..أخـذ البرنـامج مني.. وقرأ فيه هكـذا بشـكل عشـوائي، وكـان البرنـامج في عـدد كبـير مـن الصفحات.. ومبوباً تبويباً محكماً وجيداً..

وعندما استعرض الرئيس الأسماء التي أعددناها بدأ يستغرب..

ما هو هذا؟.. كان يقول.. (لماذا اخترتم هؤلاء)..؟ من أمركم بهذا؟..

قلت له يا أخي نحن وضعنا أسماء مقترحة لتنفيذ البرنامج.

وعندما لاحظ أنني أود أن أناقشه بجد في الموضوع قال لي: إذن اجتمع بالأخ محسن العيني وغداً نلتقي عنده في الساعة العاشرة مع اللجنة كاملة.

ولاحظت أن البرنامج لا يعني له شيئاً، وأن الذي استفزه هو الأسماء، وأنه لا يوافق على كل ذلك، واتصلت بالأخ رئيس الوزراء وبلغته ما توصلنا إليه، كما اتصلت بأعضاء اللجنة، واجتمعنا عند الأخ محسن العيني في السكن الذي كان مخصصاً لرئيس الوزراء في بيت الحجري.. وبعد اجتماعنا بنصف ساعة دخل علينا الرئيس الحمدي وبدأنا في الحديث، وإذا به يبدي عدم موافقته نهائياً على الأشخاص وحتى على البرنامج ومن دون أي نقاش..

طبعاً خلال ثلاثة الأشهر التي عكفنا فيها نحن على إعداد البرنامج كان هو يقوم بعلمية تغيير لعدد كبير من رجالات الدولة.. ضباطاً ومدنيين بالطريقة التي كان يرى هو أنها يجب أن تكون.

وكنا نعرف بعض الأشياء فنحسن الظن ونقول: إنه لابد من أن تنفرج الأمور، ولكننا فوجئنا به في الاجتماع يخرج بنا إلى تلك النتيجة " هذا اجتهاد منكم، وكثر خيركم، ولكنني غير موافق على البرنامج "، وأخذ معه البرنامج والأسماء وأسفت كثيراً أنني لم امتلك أو احتفظ بنسخة من هذا البرنامج وتلك الأسماء، بل إنني لم آسف في حياتي على شيء قيم ضاع مني كما أسفت على هذا البرنامج، ومن السهل تذكر الكثير لكن البرنامج بحد

ذاته.. البرنامج الذي تعبنا فيه كثيراً ضاع تماماً.. و لم أستطع العثور على نسخة أخرى منه، فشطبته من ذهني وبدأت أتشاءم إزاء ما سيحدث..

أتذكر أنه قبل مقتله حصل بيني وبينه خلاف فأمر بالإقامة الجبرية لي.. والقصة معروفة ثم تصالحنا.. وأذكر أنني قبلها بفترة جلست معه، وحاولت التأثير عليه تأثيراً مباشراً.. فقلت: أنت رئيس الدولة والتصحيح مطلوب عملياً.. وحددت له بعض النقاط. ثم قلت له بالحرف الواحد: يا أخ إبراهيم.. تحكم سنة أو عشراً أو عشرين.. كل ذلك لا يعني شيئاً.. المهم ماذا تترك على الساحة اليمنية، فلو أنك حكمت سنة وتركت بصماتك على الساحة اليمنية ذكرى خالدة لك لكان كافياً ذلك، أما أن تمرر الوقت هكذا.. فإن هذا لا يعني شيئاً، الشعوب لا تؤمن إلا بالإنجازات الجوهرية، وأنا أرجوك أن تعود إلى الصواب، وتفكر كثيراً في إعطاء هذا الشعب الذي التف حولك بعض مطالبه، وأن تحقق له عملية من نوع جديد.. فتعيد إليه الحياة النيابية، وتبعد الحكم العسكري ومجلس القيادة من الساحة اليمنية.. وأن يكون هناك حكم مدني أرجوك التفكير في هذا جيداً.

وحاولت معه في هذا الموضوع دون الخروج بشيء.. وكان يعدني بفعل شيء ما.. ولكن وعوده كانت من باب المجاراة والملاطفة.. وانتهى الأمر.

وبعد فترة حصل له مع الأسف الشديد ما حصل.. فكانت جريمة نكراء وشنيعة ولا يرتضيها أي إنسان.. فكيف يقتل رئيس دولة بتلك الطريقة الوسخة القذرة.

ومع الأسف الشديد هذا يحصل في الوطن العربي، وأيـن يحصـل في اليمـن ولأول مرة في تاريخها الحديث.. وتوالى بعد ذلك مسلسل الاغتيالات والقتل والخراب والدمار.

مسلسل الجنون والأخطاء

أعود مرة أخرى إلى عام ١٩٧٤م.. موضوع استقالة الرئيس الإرياني والمجلس الجمهوري والشيخ عبدالله بن حسين الأحمر، والشيخ سنان أبو لحوم محافظ الحديدة، تلك الاستقالة الجماعية التي كان يفترض بها أن توجه إلى مجلس الشورى.

وأتساءل لماذا لم يدع بمجلس الشورى، وهو الجهة المعنية بهذا الأمر، بل إن الأكثر أهمية من هذا أن المجلس هو المسؤول الأول في مثل هذه الأمور، ولا يزال الأمر غريباً جداً إلى هذا اليوم، وشخصياً فأنا لا توجد لدي معرفة حقيقية عن تلك الأسباب.. وعن ذلك التجاهل غير الطبيعي.

وعندما قامت حركة ١٣ يونيو ١٩٧٤م علّق الدستور، وسرّح المجلس، وبدأت الأوضاع تأخذ طابعاً عسكرياً، بمعنى أن الحكم المدني انتهى في هذه الفترة، وأصبح الحكم في أيدي مجموعة من الضباط.

وعندما يتأمل المرء الوضع فيما بعد سيجد الفارق الشاسع بين الحكم المدني والحكم العسكري، الحكم المدني بكل ما فيه من معائب ومن سلبيات مهما كانت يظل هو الأفضل - كما رأينا في حكم القاضي / الإرياني ونهايته، فهو الطريقة الطبيعية لسير الأمور في أي بلد في العالم -فحينما

وصلت القناعة حدها عند الفعاليات والقيادات والقوى اليمنية بأن عملية التصحيح التي كان ينادي بها حتى رئيس الدولة لا يمكن أن تتم إلا بتنحي الرئيس لأن هناك مراكز قوى.. لا يمكن أن تخرج إلا بزفة كبيرة، فإن الرئيس الإرياني لم يناقش ولم يراجع.. رغم مشهيات الحكم عند العرب، إلا أنه خرج من الحكم بهدوء.. وأنا على يقين أن السبب هم أولئك الذين أرادوا أن يخرجوا بزفة للكل ودون ذكر الأسماء فالكل يعرف ذلك.

والقاضي الإرياني حاكم مدني وعالم فقيه وأديب ومتمرس في الحكم.. والوطن عنده فوق كل شيء.. وسلامة الناس أهم من بقائه في الحكم.. ومن سيتم على يديه التصحيح أهلاً به وسهلاً.

وقد كتب الاستقالة فوراً وأخذها الشيخ سنان أبو لحوم ووقعها أيضاً المرحوم الأستاذ / أحمد محمد نعمان، وذهبت إلى الشيخ عبدالله بن حسين الأحمر رئيس مجلس الشورى، فراح بنفسه يوقع استقالته، دون أن يدعو المجلس ليقدم له استقالة رئيس الدولة وأعضاء المجلس الجمهوري، والمجلس هو الذي يتداول في الأمر يقبل أو لا يقبل، وترشيح شخصيات لهذا المنصب، أما الذي حصل فهو سيظل محل استغراب حتى نعرف السبب والقصة.

ما أريد التأكيد عليه هنا وبصدق مع النفس أن الحكم المدني دائماً أفضل لأن الحاكم المدني عندما تصل الأمور إلى منعطف صعب فإنه لا يتشبث بالحكم بطريقة هوجاء.. فكما عرفنا.. قدم الإرياني استقالته بمنتهى البساطة، وهذه أكبر ميزة في الحكم المدني، فأنت أو أي قوى وطنية تستطيع بسهولة مجادلته ومبارزته وإظهار احتجاجك ومعارضتك له دون خوفٍ أو وجل،

وعندما تتأزم الأمور ويقتنع الجميع بابتعاده يبتعد بسهولة.. دون أن تهتز البلد، لأنه يشعر بخطورة أمثال هذه المزالق.

والآن بإمكاننا المرور بتجارب الحكام الذين تعاقبوا على اليمن بعد الثورة من عبدالله السلال إلى علي عبدالله صالح.. كم حكموا؟.. وماذا تركوا؟

المشير السلال حكم من يوم ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م.. وهو قائد الثورة إلى يوم ٥ نوفمبر ١٩٦٧م.. ثم جاء بعده القاضي عبدالرحمن الإرياني.. وتشكل المجلس الجمهوري برئاسته، وبدأت مرحلة انتقلت فيها البلاد إلى الحكم المدني.. فكان هناك مجلس شورى ومحاولات لإرساء شكل الحكم المدني.. واستمر الحال هكذا من ٥ نوفمبر ١٩٦٧م إلى ١٣ يونيو ١٩٧٤م.. وهنا انتقلت البلاد إلى صفحة جديدة، مجلس قيادة عسكري برئاسة المقدم إبراهيم الحمدي.. الذي حكم اليمن من ١٣ يونيو ١٩٧٤م إلى ١١ أكتوبر ١٩٧٧م.. ثم اغتيل بطريقة قذرة نعرفها جميعاً.. وتسلم الحكم بعده المقدم أحمد حسين الغشمي من ١١ أكتوبر ١٩٧٧م إلى ٢٤ يونيو ١٩٧٨م، وقتل بتلك الطريقة المعروفة.. ثم جاء علي عبدالله صالح فاستلم الحكم من تاريخ ١٧ يوليو ١٩٧٨م إلى اليوم.

لقد تميز حكم المشير السلال بحرب طاحنة في اليمن عقب قيام الثورة والقضاء على الحكم الملكي إلى الأبد، والمشير السلال بذل جهداً يشكر عليه حيث ناضل مع القوى الوطنية من الضباط والمدنيين في كل مكان من الوطن ووصل إلى مرحلة كانت تشهد الساحة أربعين جبهة في وقت واحد.

أما القاضي الإرياني فقد واصل المسيرة وشهدت فترته ملحمة السبعين يوماً، وهي مرحلة الاستبسال العظيم التي أبدى فيها الشعب اليمني ضباطاً وجنوداً

ومقاومة شعبية ضروباً من الشجاعة والتفاني لا نظير لها.. حتى تم لهم دحر الملكيين والقصة مكتوبة في جبين التاريخ.

ثم ذهب القاضي الإرياني بتلك الطريقة الهادئة الممتازة.. ليجيء بعده الحمدي كما سبق وأن تحدثنا.. وقد انتهى به المطاف إلى تلك النهاية المروعة.

وفي الجنوب تم الاستقلال عام ١٩٦٧م بعد ١٣٠ عاماً من الاستعمار البريطاني.. وتسلم أبناء الشعب الحكم، ودخلت البلاد في حالة من المد والجزر، حيث إن الحكم جاء بطريقة جديدة لم يكن الناس يألفونها بأي حال من الأحوال، لأن الاشتراكية تختلف تماماً عن الحكم العادي البسيط الذي اعتاده الناس.. ولا ندري كيف استوعبت أفكارها.. من عناصر وطنية أدت ممارستها إلى متاعب كثيرة للمواطنين وأدخلت البلاد في دوامة وكل حاكم يقضي على الآخر إما بالإبعاد أو الحرب أو القتل.. من الأخ قحطان الشعبي إلى الأخ سالمين، ومن سالمين (سالم ربيع علي) الذي قتل سريعاً.. إلى الأخ/علي ناصر محمد الذي استمر في الحكم حتى فجيعة ١٣ يناير ١٩٨٦م.. حيث تقاتل الإخوة وأبناء الحزب والشعب الواحد من شارع إلى شارع ومن بيت إلى بيت وكان القتل يتم بحسب الهوية.. حتى بلغ عدد القتلى حوالي عشرة آلاف شخص داخل مدينة عدن - كما يقال - من جماعة علي ناصر محمد وجماعة عبدالفتاح إسماعيل.. حتى انتهت القضية بخروج الأخ / علي ناصر ومن معه إلى تعز.

من حروب الشطرين
إلى قيام الوحدة

في سنة ١٩٧٢م قامت أول حرب أهلية أو لا أدري ماذا نسميها بين شطري اليمن.. وكنت في تلك الفترة وزيراً للتربية والتعليم.. وكنت رئيساً للوفد اليمني في مفاوضات الجامعة العربية بالقاهرة.. وتوصلنا في ذلك الوقت إلى عقد اتفاقية القاهرة التي وقعها عن الشمال رئيس الوزراء الأخ/محسن العيني، وتوقيعي بجانبه، كما وقعها عن الجنوب الأخ/علي ناصر محمد.

ولكن الأمور لم تستتب.. واستمر العداء السافر بين الشطرين.. وهما يماطلان في الموافقة وتنفيذ ما في اتفاقية القاهرة.. أو بالأصح وكما تبين لي، فإن الإخوة في الشطر الجنوبي كانوا هم السبب الوحيد.

وفيما بعد ١٩٧٢م.. التقينا أيضاً مرة أخرى في ليبيا طرابلس.. الرئيس القاضي/عبدالرحمن الإرياني والرئيس سالمين ووفدي الشطرين، وكنت في الوفد الشمالي، وتم توقيع اتفاق طرابلس، ثم بعد ذلك التقينا في الجزائر وصدر بيان الجزائر.. ولكن الأمور بقيت على ما هي عليه حتى حدثت حرب ١٩٧٩م.. وهي الحرب الثانية بين الشطرين.

أعود فأقول: إنه في سنة ١٩٧٢م كان الشمال يشعر أنه هو الأقوى، أما في سنة ١٩٧٩م فإن الجنوب الذي كان يشعر أنه الأقوى والحقيقة أن أياً منهما لم ينتصر ولم يكن قوياً.. ضعف الطالب والمطلوب.

وعقب حرب سنة ١٩٧٩م.. تم لقاء الكويت بين الرئيسين علي عبدالله صالح وعبدالفتاح إسماعيل، وكنت ضمن الوفد، وتمت الاتفاقية بحضور أمير الكويت.. وتمت الأمور بسرعة من أجل البت في القضايا المعلقة.. ومررنا في تلك الفترة بمراحل لا معنى لها.. ولا وجه.

وبدأ الأخ الرئيس علي عبدالله صالح يشكل المؤتمر الشعبي، وكنت ضمن المجموعة التي قامت بتنفيذ صياغة الميثاق الوطني، وكان العدد في حدود الواحد والخمسين شخصاً من قوى وطنية متنوعة كانت تعيش على الساحة اليمنية منتهجة العمل السري.

وكان الرئيس يرى أنه لابد من إيجاد ميثاق وطني.. بمعنى إيجاد حزب أو تنظيم أو ما شابه حتى يواجه تنظيم الحزب الاشتراكي في الجنوب.

وتمت العملية وبطريقة جيدة بما في ذلك الاستبيان الذي أرسل للمواطنين.. وكانت نتيجته إيجابية، وكنت مهتماً بهذا الموضوع إلى درجة كبيرة.

أما رئيس اللجنة الوطنية الأخ / حسين المقدمي فقد بذل جهداً يشكر عليه.. وكذا فإن الكثيرين من أعضاء اللجنة بذلوا جهوداً لا تخفى.. ولكن الأمانة تقتضي أن أميز الأخ / محمد عبدالله الفسيل بالإشادة.. فقد كان ملهماً إلهاماً عجيباً.. وكانت تأتيه إيحاءات متميزة، فكان يناضل داخل

اللجنة من أجل تثبيت بعض الفقرات التي كانت ذات خصوصية وذات بعد خاص في الميثاق.

وأنا كلما تذكرت هذا الرجل أتذكر المرحوم الأستاذ/ أحمد محمد نعمان.. فقد كان يقول: إن الفسيل رادار!!

كان الرجل ذا نظرة ثاقبة بعيدة.. بعداً خفياً والرجل في الحقيقة يستحق كل تقدير وإعجاب ولا يجوز نسيان هذا الرجل الذي أفلت من الموت عدة مرات بطرق غريبة، وسأسمح لنفسي هنا بالاستطراد مبيناً بعض صفاته في طور من أطوار نضاله وتجلياته، فقد كتب مرة كتاباً كان له بالغ الأثر في الأوساط اليمنية واسم الكتاب " الرجل الشاذ " وهو يقصد به ولي العهد أحمد حميد الدين بن الإمام يحيى حميد الدين.

وكلمة " الرجل الشاذ " كلمة مفزعة، ولكنها في تلك الأيام كانت أكثر إفزاعاً.. وفي سبيل إنهاء هذا الموضوع حاول ولي العهد سحب الكتاب من عدن، وتم له ذلك بطرق مختلفة، ولكن أعداداً منه كانت قد تسربت، وانتشرت هنا وهناك تتلقفها الأيدي ويقرؤها الناس.. بينما كان مصير الكمية التي سحبها ولي العهد التخزين في أحد دهاليز القصر.. حتى قيام الثورة.. ويقال إنها وجدت بعد موت الإمام أحمد..

ولكن كيف نجا الفسيل و لم يعدم.. في سجن حجة عقب فشل ثورة ١٩٤٨م، تلك معجزة تدخل القضاء لنسج قصتها.. إذ سلم الفسيل من القتل بطريقة عجيبة.. ومن أغرب القصص والمغامرات فراره من سجن نافع في حجة، هو وسعيد حسن الملقب سعيد إبليس، وحسن السحولي.

أما سعيد فقد سقط فكسرت رجله، وكان صعباً على محمد الفسيل وصديقه الآخر نقله بين مرحلة ومرحلة. وبدأ الإمام يرسل برقياته إلى كل المناطق لإلقاء القبض عليهما.. ودخل الفسيل صنعاء متخفياً.. حيث اختبأ فترة من الوقت، ثم فر إلى عدن، ومن عدن سافر بحراً، وفي الطريق رست الباخرة بجدة.

ولا أعلم بالضبط تفاصيل ملابسات تلك الرحلة ونزوله إلى جدة، ولكن الخبر بلغ الإمام فاتصل بالملك سعود بن عبدالعزيز، يطلب منه إلقاء القبض على المجرم محمد عبدالله الفسيل.. وتفاهم الملكان على ذلك، وتم إلقاء القبض عليه، وأرسل الإمام طائرة خاصة وفيها عدد من الحرس الخاص إلى جدة.. وهناك سلم الفسيل إلى الحرس اليمني وأخذوه بالطائرة إلى تعز..

ومن تعز أرسله الإمام أحمد إلى سجن حجة.. وكانت تلك هي المرة الثالثة أو الرابعة وكان المنتظر أن يتم إعدامه ولكن القدر استبقاه.

هذا الرجل لا يزال فلتة من فلتات القدر، أطال الله عمره وأعطاه الصحة والعافية.. ولكننا يجب أن نعطيه حقه من التكريم والتقدير والإجلال، فهو يناضل منذ ما قبل سنة ١٩٤٨م.. وليلة السادس والعشرين من سبتمبر كان مع الزملاء في الإذاعة، وهو أول من أعلن أهداف الثورة.

أما أنا فإنني أقف دائماً أمام تاريخه معتزاً به، وهو إلى ذلك من أعز أصدقائي، وفي الفترة الأخيرة صرنا نلتقي كثيراً.. وأحاول دائماً إشعاره بمدى حبي وتقديري له وإجلالي لمحاسنه وتاريخه الناصع.. ولكنني لا أستطيع في أحيان كثيرة إيفاء حقه..

ولذلك فأنا أطلب من كل قوى الخير ومحبي هذا الوطن ممن يعرفون الجميل لأصحابه.. أن يكرموا أمثال هذا الرجل ويعطوهم حقهم من التجلة والاحترام.

وهنا أتذكر أنه عندما قامت السلطة بهدم سجن نافع في حجة.. استاء الأخ / محمد الفسيل، وتكلم مع الرئيس علي عبدالله صالح قائلاً: كيف لكم أو لأي إنسان أن يخرب هذا السجن الذي يجب أن يظل مزاراً للناس جميعاً. حتى إن الرئيس حاول بطريقة أو بأخرى أن يشرح له بعض الملابسات، ثم وعده أن يضع تمثالاً أو نصباً أو شيئاً من هذا القبيل في ذلك المكان، بحيث تكتب عليه أسماء الذين أعدموا أو سجنوا من قبل الإمام أحمد في هذا السجن.

وهذا أقل شيء كان يجب أن يحدث، ولكن لم يحدث شيء مع شديد الأسف.. واندثر المكان وبنيت في الموقع أشياء لا يستطيع المرء ذكرها.

الفصل الحادي عشر

أعمال أسعدتني

قصة المدينة السكنية

في عام ١٩٨٠م طلب مني الأخ رئيس الجمهورية أن أتسلم رئاسة بنك الإسكان، وصدر قرار جمهوري بتكليفي بذلك العمل.

كان مقر البنك عبارة عن شقة مستأجرة في شارع القيادة.. وبدأت أزاول عملي.. وكانت مهام البنك تتركز في تقديم قروض لمن يمتلكون أراض.. وبدؤوا يبنون عليها بيوتهم.. فيتقدم الواحد منهم بطلب إلى البنك.. فيطّلع البنك على بصيرة الأرضية، ويشاهد البدء في البناء، ثم يقدم للطالب مبلغاً في حدود ٥٠ إلى ٦٠ وربما ١٠٠ ألف ريال قرضاً برهن بصيرة الأرضية.

وما إن توليت رئاسة البنك حتى بدأت أبحث عن أحوال المقترضين فتبين أن عدداً كبيراً منهم حالتهم المادية متيسرة يسراً كبيراً.. بدليل أن الواحد منهم يمتلك أرضية واسعة في صنعاء، وأنه بدأ يبني عليها بيتاً كبيراً، كما لاحظت أن البعض منهم يأخذ القرض من البنك ذراً للرماد في العيون كما يقال، حتى يقول الناس عنه: إنه يقترض من البنك.

ولاحظت أن المستحقين الحقيقيين من الموظفين المساكين وخريجي الجامعات.. مستحيل كل الاستحالة أن يحصل الواحد منهم على قطعة أرض

في صنعاء، ولا يمكن بأي حال من الأحوال أن يحصل شاب من هـؤلاء على سكن..

ورحت أفكر بناءاً على ذلك في مشروع حقيقي جديد بأن نسميه إنجازاً.. فبدأت أبحث عن أرضية هنا وهناك حتى عثرت على أرض خلاء مهملة جنوب غربي صنعاء، متفرعة من شارع حدة جنوباً.

كانت تلك الأرض أرضاً مهملة كما قلت ليس بها مساكن.. وفيها بعض الزرع البسيط، ووجدتها أرضية صالحة لبناء مدينة سكنية.. وبعد أن اختمرت الفكرة في ذهني كلفت من يضع مخططاً لمدينة سكنية قابلة للتوسع بحيث نبدأ بخمسين وحدة سكنية ثم نتدرج لنصل إلى مئة ومئتين وثلاثمئة وهكذا.

وبدأنا نشتري الأرض.. فاشترينا ثمان مئة لبنة من سعر ثمان مئة ريال للبنة الواحدة.. ووضعنا لها مخططاً مكتملاً ودراسة وافية وبدائل مختلفة وأقرينا المشروع في البنك على أساس أن تكون الوحدة السكنية عبارة عن ثلاث غرف نوم وديوان، وحمامين ومطبخ وثمان لبن لكل بيت.. تؤخذ منها لبنة للشارع والسبع الباقيات يتم البناء عليها بحيث يكون البيت في منتصفها.

أكملنا وضع المخطط وأنزلناه للمناقصة، وشكلت لجنة من المستفيدين للمشاركة في متابعة العمل والإشراف على كل صغيرة وكبيرة نقوم بها.. وعندما أنزلنا المخطط للمناقصة، أنزلناه لكل الشركات اليمنية والأجنبية، وفي الأخير رسى المشروع على شركة صينية، وأخذت هذه الشركة المشروع وبدأنا العمل.

وهنا أتذكر المشاكل التي كان يتسبب فيها حب الظهور من بعض أعضاء الهيئة الإدارية الذين كنت أتحمل منهم المتاعب، حتى تغلبنا في النهاية على كل مشكلة.. وما أريد الإشارة إليه أنني قبل إنزال المناقصة عرضت الفكرة على الأخ رئيس الجمهورية، وأعطاني الصلاحية الكاملة والموافقة التامة من أجل السير بالعمل.

كان رصيد البنك حوالي ٧٥ مليون ريال، بمعنى أن ٢٥ مليون ريال قد تم إقراضها لكثير من الناس.

وانطلقنا ننفذ المشروع.. وبدأنا أولاً بخمسين وحدة ثم صرنا نتوسع شيئاً فشيئاً مئة فمئة حتى وصلنا إلى خمس مئة وستين وحدة سكنية.. بلغت تكاليف الوحدة السكنية حتى تسليم المفتاح لصاحبها في حدود المئتين وأربعين ألف ريال (تقريباً).

وعندما اكتمل الجزء الأكبر من المشروع.. جاء الأخ الرئيس علي عبدالله صالح لافتتاحه.. وكان هذا المشروع وسيظل محل إعجاب وتقدير الناس (خمس مئة وستون وحدة سكنية تم تنفيذها بين عامي ٨٠-١٩٨٤م).

قبل هذا وأثناءه كنت أفكر أنه لا يجوز أن يكون اسم البنك بنك الإسكان، وهو يستأجر شققاً لمكاتبه.. فلا بد من إقامة مبنى حديث ومتطور يكون مقراً للبنك.

وفعلاً قمت ببناء هذا البنك الذي هو مقر البنوك بشارع الزبيري.. طبعاً هذا البنك من حيث الضخامة ضعف البنك المركزي.. وقد كلفنا بناؤه ٣٢ مليون ريال.. وهو من سبعة أدوار وله ثلاثة أجنحة، جناح إلى الغرب وآخر إلى الشرق، ثم ثالث إلى الجنوب.. ويحتل موقعاً استراتيجياً من شارع

الزبيري.. وكانت تتبعهُ حوالي مئتي لبنة حاولت أخذها من وزارة الأوقاف.. وكانت تلك بادرة مشجعة.

مع الأسف الشديد جاء عام ١٩٨٥م.. وفي بداية ذلك العام فوجئت أنني لابد أن أبني أيضاً مدينة سكنية أخرى في شارع تعز وثانية في مدينة تعز.. وثالثة في الحديدة.. وتخوفت من ذلك فأنا لا أقدم على عمل إلا إذا ضمنت نجاحه بشكل كبير.. وبدأنا في محاولة تنفيذ مدينة سكنية بصنعاء في شارع تعز.

جهزنا التصاميم.. وكان الناس يجرون فعلاً وراء تحقيق هذا الهدف.. فاشترينا حوالي ثلاثة آلاف لبنة في شارع تعز من جهة الغرب على مقربة من مدينة الأصبحي.. وكانت اللبنة بثلاثة آلاف ريال.. واستلمنا الأرضية والبصائر.. بعد تمام البيع والشراء وحفظت البصائر في البنك.. وشكلت لجنة من بنك الإسكان ومن وزارة الإسكان التي كان وزيرها آنذاك الأخ / أحمد لقمان..

وكما أوضحت فقد تم الشراء بطريقة شرعية مئة في المئة.. إنما سمعت بعد أن تركت البنك أن القبائل بدأت تشكو شكوى مريرة.. وأنه حصل أخذ ورد لا أدري كيف ولماذا.. ثم علمت أن البنك قد صرف لهؤلاء خمسة ملايين ريال.. وتعثر المشروع فيما بعد، وقصة تعثره معروفةٌ للناس جميعاً.. والشباب الذين عقدوا آمالهم عليه حرموا.. وطالبوا.. وشكوا.. وأخيراً تم توزيع قطع صغيرة من الأرض لبعضهم وانتهى المشروع.

دار مأرب للطباعة والنشر

بعد أن قدمت استقالتي من البنك بقيت من غير عمل حكومي، وفي عام ١٩٨٦م جاءتني فكرة تبلورت في ذهني ودرستها مع بعض الإخوة، وهذه الفكرة هي إنشاء دار مأرب للطباعة والنشر.

كان في ذهني بعد أن درسنا حاجات السوق.. والإمكانيات المختلفة لعمل مثل هذا.. أن تكون الدار مؤسسة على غرار مؤسسة الأهرام.. أي أنها ستكون صورة مصغرة من تلك المؤسسة العملاقة ولكنها قابلة للتوسع.

وكان من ضمن الأصدقاء الذين بحثت معهم الموضوع الأخ العميد / عبدالله الضبي، والأخ / مطهر عبدالله الوزير، والأخ / أحمد هاجي، وفي مقدمة الجميع الأخ / علي الهادي، الذي شجعنا أكثر فأكثر.

وتوجهت إلى ألمانيا.. ومعي الأخ / مطهر الوزير، والأخ / أحمد هاجي، لغرض معرفة كيف يمكن شراء المطابع من الشركات الألمانية المشهورة، وذلك بعد أن درسنا الموضوع دراسة جيدة.. من جميع الجوانب.. وزرنا الشركات والمطابع.. وتباحثنا معهم، وتقريباً تم الاتفاق، ولكن بقيت نقطة مهمة، فقد كان في ذهني أنه ما لم يدخل رأس المال الألماني شريكاً لا يمكن أن ينجح هذا المشروع.

هكذا كنت أتصور العملية بالرغم من أن الإخوة أعطوني ثقتهم الكاملة خاصة الأخ/علي الهادي، الذي كان يقول لي:.. ما دمت أنت شخصياً ستدير المشروع فأنا مستعد لتغطية أي مبلغ تحتاجه لهذا المشروع.

وكنا قد رصدنا التكلفة الإجمالية للمشروع حيث كانت في البداية في حدود الـ ٢٠ مليون ريال، ثم توسعنا فيها بعد ذلك. ولكنني كنت أرى أن الألمان يجب أن يكونوا معنا.. وتناقشنا معهم في هذا، واتفقنا وحرر محضر من الطرفين.. ثم عدت إلى صنعاء.. بعد فترة من الوقت أرسلوا يطلبون بعض المعلومات فأعطيناهم ثم عادوا بعد فترة ثانية يطلبون معلومات أخرى فأعطيناهم، ثم ما لبثوا أن اعتذروا.

وحينئذ فكرت أنا أن المشروع غير ناجح.. لأن تلك الأجهزة المتطورة جداً جداً لا يمكن لنا المغامرة بها ما لم يكن الألمان شركاء لنا فيها.. فاجتمعت بالإخوة المشاركين وعرضت عليهم الفكرة، وكان كل واحد منهم قد حول مئة ألف ريال من حسابه للتأسيس.. أما الأخ / علي الهادي فكان قد أعطانا مبنى كبيراً من ثلاثة أدوار وقبواً صالحاً لهذا العمل لعدد من السنوات.. وكنا قد قمنا بتخطيط هذا المبنى وخططنا لتحويله إلى أقسام.. كما بدأنا في شراء أرضية في طريق وادي ضهر تتكون من مئتي لبنة على أساس أنها تكون مقر الدار في المستقبل.

اجتمعت بالإخوة وشرحت لهم ما تم، وبأني أنا شخصياً لست مقتنعاً ولا مشجعاً لقيام دار مأرب للطباعة والنشر مادام الألمان قد اعتذروا.. وأسلوبي دائماً هو أنني لا أستطيع تحمل مسؤولية أي عمل أقدم عليه ما لم تكن الصورة واضحة أمامي من البداية إلى النهاية.. وقلت لهم: إنني لست متأكداً

من نجاح هذه المؤسسة، وشرحت لهم الموضوع شرحاً وافياً.. وكان البعض منهم قد طرح فكرة استجلاب خبراء ألمان.. ولكنني اعتذرت عن هذه الفكرة ثم قمت بإعادة المبالغ إلى كل عضو منهم، وبالرغم من أنني خسرت مبالغ كبيرة في هذه الرحلة تذاكر وإقامة.. الخ، إلا أنني رأيت أن ثقتهم في شخصي أهم من ذلك كله وهي الثقة التي لا تقدر بمال أو ثمن.

مؤسسة العفيف الثقافية

عندما بدأت أفكر في إنشاء مؤسسة العفيف الثقافية.. كنت أفكر بعمل يخصني شخصياً.. ومن اشتغالي الطويل في الأعمال التربوية والوطنية والسياسية، كنت دائماً مرتبطاً بقضايا التنوير والثقافة.

وحين تبلورت في ذهني فكرة المؤسسة.. تبلورت على أنّها رسالة ثقافية تستطيع التعبير عن اليمن بإبراز قيم الشعب العظيمة.. وعن طريق تقديم صورة فاعلة للمشهد الثقافي والإبداعي في هذه البلاد.

وهي أيضاً رسالة توجه لكل الخيرين والمحبين لهذا الوطن ممن لديهم الرغبة في البذل والعطاء.. وعندهم الاستطاعة لتقديم ما ينفع الأجيال.. ويحسب لهم في المستقبل. وهي أيضاً.. خدمة لأهل الثقافة والإبداع والباحثين وجميع من عندهم مبادرات مثمرة يمكن أن تساهم في تقديم الصورة الأفضل والأجمل للوطن. وهي في نفس الوقت تذكرة لأبناء جيلي ورفاق العمر.. ممن كانوا معي على دروب العمل الوطني.. وقد ركنوا اليوم إلى الدعة شاعرين أنهم أدوا ما عليهم وآن لهم أن يستريحوا.. تذكرهم أن العمل الأنضج ثمرة والأوفر جدوى يمكن أن نقوم به متى ما توفر لنا العزم.. وامتلأت نفوسنا بالإرادة بغض النظر عن السن سواءً كنا شباباً أو كهولاً أو شيوخاً.

ثم هي قبل هذا وبعده تعبير حقيقي عن طبيعتي التي ترفض الاستكانة.. والخمول.. ولا تجد راحتها واستواءها إلا في خضم العمل وحومة الجهاد والاجتهاد.. هكذا.. هي طبيعتي.

وهكذا بدأت سنة ١٩٨٦م بعد فترة من فشل مشروع دار مأرب للطباعة والنشر أفكر في إنشاء مؤسسة العفيف الثقافية، وبدأت أعرض الفكرة على بعض الإخوة.. هنا وهناك.. فتحمس الكثير منهم لها وتخوف منها البعض أو أبدى بعض التحفظات.. وبمرور الوقت صارت الفكرة شغلي الشاغل.. فدرستها من كل الجوانب.. وكلما مر الوقت كان يتنامى إحساسي بها.. حتى أصبح حلم حياتي وأملي أن أنشئ مؤسسة ثقافية.. تسمى " مؤسسة العفيف الثقافية ".

بعد الاقتناع التام اخترت عدداً من الإخوة، وطرحت أسماءهم على شخصيات اعتز بها وبصداقتها للمشورة بشأنها.. وبعد التداول في الأمر خرجت بنتيجة هي اختيار عدد منهم ليكونوا أعضاءً في مجلس أمناء المؤسسة.. وكان الذين وقع عليهم الاختيار من الأسماء المعروفة.. وعلى كل واحدٍ منهم عرضت الفكرة كاملة، وشرحت كل تصوراتي عنها..واستمعت من كل واحدٍ إلى رأيه.. ثم موافقته على الفكرة، وعلى طلبي أن يكون عضواً في مجلس أمناء هذه المؤسسة.

وخرجت من كل ذلك بمجلس أمناء للمؤسسة يتكون من الإخوة: أ. أحمد علي الوادعي، م. أحمد قائد بركات، أ.د/حسين عبدالله العمري، أ./محمد أحمد الرعدي، الشاعر / مطهر الإرياني، أ.د/محمد يوسف عبدالله، أ.د/ناصر العولقي.. وبدأنا نجلس باستمرار من أجل وضع نظام أساسي وتمّ

فعلاً وضع النظام واستكملناه واقتنعنا به.. ثم قمت باستئجار شقة بشارع مجاهد لتكون مقراً مؤقتاً للمؤسسة.

كانت أولى المهام المناط بالمؤسسة تنفيذها هي إصدار الموسوعة اليمنية.. فبدأنا نرتب العمل من أجل هذا الهدف.. فقمت أولاً بشراء جميع الموسوعات العربية والأجنبية.. وطلبت من الأخ محمد عدنان سالم صاحب دار الفكر في دمشق وهو صديق لي، طلبت منه أن يرشح لي شخصية موسوعية متخصصة يساعدني في هذا العمل.

الأخ / محمد عدنان سالم رشح لي الأستاذ / محمد درويش فوافقت واستقدمته إلى صنعاء.. واتفقنا على كيفية العمل ثم خصصت له مسكناً داخل مقر المؤسسة.. وبدأنا كلنا ننشط متحمسين.. نتصل بشخصيات يمنية وببعض المستشرقين.. ونستكتبهم المواد.. وكان عدد من استكتبناهم كبيراً جداً..

وأخذني الحماس إلى الذروة.. فأعطيت مشروع إصدار الموسوعة اليمنية كل جهدي وطاقتي.. وأنا أتصور الشكل الذي ستكون عليه عندما يتم إخراجها إلى الناس.. كعملاً فريداً وضخماً هو الأول من نوعه في اليمن.

وعندما جاءت الوحدة اليمنية المباركة..كنا قد قطعنا شوطاً في إعداد الموسوعة فكان لا بد من التوسع في تغطية المناطق الجنوبية على أساس أن تكون الموسوعة اليمنية كاملة لليمن الموحد، شاملة الجمهورية اليمنية شمالاً وجنوباً شرقاً وغرباً.

كان عدد الأشخاص الذين استكتبناهم حوالي مئة وخمسين شخصية تقريباً البعض اعتذر والبعض أهملنا.. وفي الأخير كان عدد المشاركين

الفعليين.. مئة وستة أشخاص.. كانت المواد تجمع ويقوم مجلس الأمناء بفحصها مادةً مادةً.. والمجلس يوافق عليها.. بعضها على انفراد والبعض الآخر جماعياً.. فكانت كل مشاركة أو مادة تمر أولاً على الأستاذ / محمد درويش يفحصها بإمعان ثم تعود إلى مجلس الأمناء.. وهكذا استمر الحال لأربع سنوات تقريباً من العمل الجاد المتميز.

أذكر أني عرضت الأمر قبل بدء تنفيذ الموسوعة على بعض الإخوان من المفكرين والمثقفين العرب.. فالبعض منهم كان متخوفاً عليّ من الإقدام على عمل كهذا.. بسبب الجهود الضخمة والأموال الكثيرة التي يحتاجها مثل هذا العمل الكبير.. والبعض الآخر شجعني على الإقدام وخاصة في دمشق.. فأنا لا أستطيع نسيان المجهود الكبير الذي بذله الأستاذ محمد عدنان سالم في تشجيعي.. وكذلك الدكتور / شاكر الفحام الذي سأظل أذكر اسمه دائماً بالخير.

انتهينا من العمل في الموسوعة.. وأخذتها إلى دمشق.. حيث تفاوضت مع الأخ محمد عدنان سالم صاحب دار الفكر في دمشق على أن يقوم بطباعتها في دار الفكر المعاصر ببيروت.. واتفقنا أن تطبع ثم ترسل البروفات أو النسخة الأولى منها إلى صنعاء ليقوم مجلس الأمناء بمراجعتها المراجعة النهائية وفعلاً تمت طباعتها.. وعدنا بها إلى صنعاء.. حيث قمنا بقراءتها وفحصناها من جديد، وعدّل مجلس الأمناء في بعض المواد بتعديلات وتصحيحات بسيطة.. ثم أعيدت إلى دار الفكر المعاصر في بيروت التي أخرجتها في مجلدين أنيقين.. وكانت كلفة الطباعة وحدها (خمسون ألف دولار).

وطبعاً فقد دفعنا لكل الذين كتبوا للموسوعة بالريال.. الكلمة بريال واحد.. والنادر منهم من تبرع بالكتابة أما الأغلبية الساحقة منهم فقد دفعنا لهم.

وبعد أن تم طبع الموسوعة اليمنية وجاءتني النسخة الأولى.. فإنني لازلت حتى الآن أتذكر مدى وحجم السعادة التي خالجتني وأنا أقلب صفحاتها.. وظللت كذلك أياماً ولياليَ.. وهذه السعادة أشعر بها كلما قدمت لبلدي شيئاً.. وكلما تبنيت طالباً، أو شاباً.. أو قدمت لإنسان خدمة تربوية أو معنوية أو حتى مادية تتملكني هذه السعادة الغامرة.. وأنا بهذه المناسبة أقدم نصحي لأصحاب الملايين والقادرين في هذا الوطن أن يفكروا معي في مثل هذا العمل، فربما كانوا قادرين إذا أصبحت لديهم النية والعزم أن يعملوا مثلما عملت وأعظم مما عملت فأنا لست تاجراً ولا غنياً.. ولا أمتلك إلا ما يعرفه الجميع، وكل ذلك مكتوب في وصيتي وقد أوقفت هذه المؤسسة بكل ما فيها للعلم ولطلاب العلم، وهي أعظم سعادة لي في حياتي ووجداني.. وأنا أتساءل لماذا لا يقوم أصحاب الملايين بعمل مثل هذه الأعمال ليشعروا بالسعادة وبحب الناس.. وقيمة العمل النافع وبهجة الإنجاز.. المال عبء.. الملايين عبء تثقل الكاهل وذنوبٌ تقض المضاجع.

والمتنبي يقول:

ومن ينفق الساعات في جمع ماله   مخافة فقر فالذي فعل الفقر

وهؤلاء الذين يجمعون المال خشية الفقر.. وبغرض الكسب هم فقراء في نفوسهم.. فكسب المال يجب أن يكون للبذل والعطاء للعمل والخير، لتقديم العون والمساعدة لخدمة الوطن.. لأجل أن نشعر في النهاية بالسعادة الحقيقية.

على كل حال صدرت الموسوعة اليمنية وشعرت براحة بالغة فقد سُدت ثغرة في مسار الثقافة اليمنية فلم يكن معقولاً أن يكون بلد بحجم اليمن وثرائها التاريخي دون موسوعة متخصصة توثق لذلك.

لقد أحدثت الموسوعة اليمنية بمجرد صدورها صدى واسعاً، وكانت محل ترحيب وابتهاج.. أما في الخارج فقد كان لها أثر بالغ وخاصة لدى المستشرقين، مكتبة الكونغرس الأمريكية اشترت في ذلك الوقت ١٥ نسخة وحولت قيمتها بالدولار، كانت قيمة المجلدين يومها (٢٠٠٠) ريال.. وما زلنا إلى اليوم نبيع الموسوعة اليمنية بنصف التكلفة.. وهذا ما يعرفه الإخوة في مجلس الأمناء وكذلك يعرفه الكثير من المطلعين على أخبار المؤسسة.

بعد إصدار الموسوعة.. بدأنا في سلسلة إصدارات متنوعة من الكتب التي كانت تلاقي ترحيباً واستقبالاً واسعاً بين المثقفين.. وعلى نفس المنوال أيضاً ظللنا نبيعها بنصف التكلفة.. وما زلت أشعر بارتياح عميق إزاء ذلك.

هناك أشخاص لا أنساهم كانوا ساعدي الأيمن في المؤسسة منذ إنشائها.. وأبدأ بذكر الأخ الدكتور/علي محمد زيد فهو أول مدير تنفيذي للمؤسسة.. وظل معي لفترة من الزمن.. وكان فعلاً ساعدي الأيمن فأحببته من كل قلبي لأنه يعمل بجد وإخلاص ويلتقي معي في كثير من الأمور التي تتعلق بأهدافي ورغباتي وتطلعاتي التي أتمنى تحقيقها بهذه المؤسسة. وأنا سعيد كل السعادة بعدد من الشباب المثقفين الذين يعملون معي ويبذلون جهوداً جيدة في كل ما أطلب منهم عمله دون تردد أو كسل.

هؤلاء وغيرهم من العاملين في المؤسسة أدفع لهم مكافآت شهرية، هذا عدا تكاليف طباعة الكتب والمشتروات الكبيرة (مشتروات كتب للمكتبة) التي تنامى عدد كتبها حتى صار فيها حوالي سبعة آلاف عنوان.. ينهل منها الشباب الذين يحضرون باستمرار للمطالعة..

البرنامج الثقافي

أما البرنامج الثقافي الذي ننفذ فعالياته على مدار السنة كاملة كل يوم ثلاثاء فهو من أهم مصادر اعتزازي.. حتى أصبح يوم الثلاثاء يوماً مميزاً في حياتي.. فهو يوم سعادتي.. حيث تحضر الفعالية أعداد كبيرة من الشباب والشابات، والمبدعين والمثقفين والمهتمين.. وأحب هنا التأكيد على اهتمامي الكبير بالمرأة فمن أهداف هذه المؤسسة إبراز دور المرأة بصفة خاصة.. المرأة كمبدعة.. ومثقفة ومتعلمة.. وأماً.. وأختاً.. وصانعة أجيال.. وذلك لإحساسي الدائم أن المرأة في المجتمع اليمني تعيش المأساة العميقة للتخلف الاجتماعي أكثر من الرجل.. صحيح أن المجتمع اليمني كله برجاله ونسائه يعيش هذه المأساة إلا أن المرأة أكثر رزوحاً تحت وطأة هذا الواقع.

ومعلوم أن المرأة هي أساس بناء أي مجتمع.. فهي الكل في الكل.. أماً وأختاً وبنتاً وزوجة.. وهي في كل ذلك نصف الرجل وحياته وشريكته.. وأنا لا أستطيع هنا الإتيان بالأوصاف الجميلة التي بودي أن أصف بها مشاعري تجاه المرأة ودورها في الحياة والمجتمع.

ولكنني سأشير إلى أنني أدين لزوجتي أم أولادي وشريكة حياتي بالكثير والكثير.. ولولاها ما كنت الآن في هذا المستوى.. فهي التي ساعدتني ودفعت بي في كل عمل قمت به..

إنني عندما ألاحظ وضع المرأة المتدني في مجتمعنا.. وكيف أن الرجل ما يزال ينظر لها هذه النظرة الغريبة.. أشعر بالخوف وبكآبة المستقبل.. وأشعر أن المرأة ما لم تعط حقوقها في كل المجالات.. وما لم تتقدم هي بقوة.. وما لم تندفع إلى أخذ حقها.. وانتزاع اعتراف الرجل بهذا الحق فإننا لن نتقدم أبداً.

وكم يشغلني التفكير في هذا الموضوع ونحن نودع القرن العشرين..ونستقبل زماناً جديداً.

ومن هذا المنطلق جاء اهتمامي بالمرأة في هذه المؤسسة، فكان لنا السبق في تنظيم أول أمسية شعرية للكاتبات، كما نظمنا أمسيات قصصية.. وندوات عدة عن المرأة.. ثم أصدرنا كتاب " حقوق المرأة اليمنية " وما تزال في ذهني أفكار أخرى كثيرة.

أما صلات المؤسسة بالمراكز والمؤسسات الثقافية العربية فإن لي اهتماماً كبيراً بهذا الجانب.. وقد تواصلنا مع مؤسسة الأهرام في مصر وارتبطنا معهم بما يشبه الاتفاق من أجل تبادل الإصدارات، وكان لزيارة بعض الإخوة إلى المؤسسة أثر كبير في ذلك، فقد أرسلنا إليهم كل إصدارات المؤسسة، وهم بدورهم أرسلوا لنا مجموعة من إصداراتهم.. ونفس الشيء قمنا به مع مركز جمعة الماجد بدبي.

وفي إحدى زياراتي لبيروت.. زرت مركز دراسات الوحدة العربية هناك.. واجتمعت في لقاءين بالأستاذ الدكتور/ خير الدين حسيب المدير العام.. وهو شخص مثقف جداً، واتفقنا على أن يكون للمؤسسة اشتراك في إصداراتهم.. بحيث تأتي إلينا كاملة على مدار السنة، وفي نفس الوقت فإننا نرسل إليهم إصداراتنا كل سنة.

الفصل الثاني عشر

هذه شهادتي

الإمامة

وطني في قبضة الإمامة، هل أحدثكم عن الوضع الاقتصادي مثلاً؟.. أم أحدثكم عن الزراعة والعادات والتقاليد والعلاقات الاجتماعية؟.

هل أتحدث عن المواصلات ونظامها في ذلك الوقت؟.. أو أتحدث عن طريقة حكم الإمام وعماله وعساكره؟.. أم أتحدث عن الواجبات والجبايات؟.. أو عن الأمراض والعلاجات والسحر والشعوذة والخرافات؟.. عن المعتقدات الأسطورية؟.. أو عن المرأة؟..

لو أنني عدت بكم إلى ما قبل ستين عاماً مثلاً.. كأن أبدأ حديثي من عام ١٩٤٠م حيث كان لا يوجد في بلدي اقتصاد يشبه الاقتصاد المتعارف عليه في البلدان الأخرى، لا من قريب ولا من بعيد، كان في البلدان العربية قدر من القواعد والبنى الاقتصادية.. أما نحنُ في اليمن فلم نكن نعرف شيئاً نهائياً عن كلمة الاقتصاد، وكل وارداتنا مثلاً: كانت تأتي بين وقت وآخر وهي عبارة عن احتياجات بسيطة تأتي عن طريق عدن مثل بعض الملابس أو السكر الأحمر، وكذلك القاز، ولم تكن توجد كهرباء إطلاقاً في اليمن.. فلم تدخل إلى مدن تعز والحديدة وصنعاء، إلا في الخمسينات وفي بيوتات محدودة، وكذلك الهاتف، وبالنسبة إلى التجارة فقد كان التجار بعدد

الأصابع في صنعاء أو تعز أو الحديدة.. يذهب الواحد منهم إلى عدن لشراء بعض احتياجات البلد الضرورية.. وهذا كان كل شيء.

وكما سبق لي أن قلت فإن الكثير من اليمنيين كانوا لا يعرفون شيئاً عن وجود عالم خارجي.. ونادرون منهم من يعرف ذلك.. فهم يعرفون عدن لذهابهم إلى هناك للعمل والتجارة، ويعرفون مكة لأنهم يذهبون لأداء فريضة الحج.

والزراعة هي الأساس لمعيشة الإنسان اليمني عبر تاريخه وحياته فهو مزارع منذ حضارات اليمن القديمة.. وفي الفترة التي أتحدث عنها فترة الأربعينيات وما قبلها.. كان المزارع اليمني ما يزال يمارس الزراعة بأكثر الطرق تخلفاً وبدائية، فلم تكن توجد آبار ارتوازية.. أو حراثات، كان الماء ينزع من الآبار المحفورة بالأيدي أو بالحمير أو الجمال.. ويزرع الحبوب في الأساس ومعه القليل من الخضراوات والفواكه المحدودة.. ولعل الشيء الجميل في ذلك الوقت أن شجرة القات الخبيثة لم تكن قد تمكنت من الناس بهذا الشكل.. فقد كانت زراعتها محدودة في مناطق معينة.. ولم يكن يتناولها إلا بعض الناس في المدن.. أما المرأة فقد كان عيباً كبيراً أن تتناول القات.

أما العلاقات الاجتماعية فقد كانت محدودة جداً ويحكمها انعدام المواصلات.. وهي إلى ذلك كانت بسيطة وعادية ولم تكن هناك فوارق بين الناس إلا في حدود معقولة.. وأكثر العادات والتقاليد التي كانت تتحكم في أبناء اليمن.. هي عادات وتقاليد موروثة وبدائية.

الملابس التي كان يلبسها الناس في ذلك الوقت.. كانت تختلف عن ملابس اليوم بشكل كبير.. كانت الملابس قليلة ومحدودة ولم يكن اللباس

الحديث قد دخل إلى اليمن.. أما الملابس الفخمة والتي فيها أبهةٌ وبذخ فكانت تقتصر على علية القوم.

ولم تكن اليمن تعرف المواصلات الحديثة.. فقد كانت المواصلات تتركز في الجمال والحمير.. وكان التلغراف (السلك) الذي ورثناه عن الأتراك يستعمل في البرقيات.

الناس كانت تنظر للإمام أو حتى العامل بنظرة فيها الخوف والإذلال بسبب ما كانوا يلاقونه من المتاعب ومن فرض العساكر والجبايات المختلفة.. التي كانت تختلف إلى حد ما بين محافظة ومحافظة على حسب شخصية الآمر.. أما العسكري فقد كان مخيفاً جداً.. والناس تتحاشى الاقتراب منه خوفاً من البطش والحبس، وكذلك الجبايات التي كانت تفرض بطرق لئيمة وخبيثة.. تختلف من محافظة إلى أخرى.. حيث إنها في بعض المحافظات كانت أكثر جوراً.. وقسوة.. كمحافظة إب مثلاً.

عندما عين سيف الإسلام الحسن نائباً عليها، فكان يفرض الواجبات بطريقة غير شرعية أو قانونية أو عرفية، ولهذا كان المزارعون يشعرون بالفقر والغبن وسوء الحال من تلك الفروض التي يسمونها الواجبات.. وبينما هي تفرض بالقوة.

الأمراض في تلك الفترة كانت تأتي على شكل وبائي فتنتشر انتشاراً مريعاً وتفتك بالناس فتكاً.. يأتي مرض التيفوئيد، ويأخذ الآلاف من الناس حتى أننا لم نكن ندري كيف ومتى يتوقف هذا المرض الوبائي، الذي إذا دخل لا يخرج إلا بعد أن يحصد الناس حصداً.. لم يكن هناك أدنى المحاولات

للعلاج منه.. من قبل الدولة.. وكذلك الجدري الذي لا تزال آثاره موجودة في كثير من الناس.. والأدوية لا وجود لها..

وفي عهد الإمام يحيى كانت العلاجات محدودة إلى أبعد الحدود.. ولا يصرف شيء منها إلا بأمر من الإمام.. وعندما بدأ يفكر في بناء مستشفى صنعاء.. كان البناء مجرد تطوير لأحد مخلفات الأتراك وبني على الشكل الذي نلاحظه فيما هو موجود منه إلى اليوم.. وكان فيه أطباء يمنيون تم تدريبهم وإلى جانبهم عدد محدود من الإيطاليين.. والعلاج وحتى الكشافة لا يستفيد منها المواطن إلا بأمر من الإمام يحيى.

في عهد الإمام أحمد تم بناء بعض المستشفيات في تعز والحديدة، وبدأت العلاجات تصرف للمواطنين بطريقة محدودة من مدراء المستشفيات.

وفي تلك الفترات كان السحر والشعوذة وما يلحق بهما من تخاريف وخرافات موجودة بكثرة وبطرق غريبة وملفتة للنظر.. أتذكر مثلاً.. أن أناساً كانوا يأتون من جهات لحج، يؤدون أعمال سحر وشعوذة.. وأفعال خرافية.. ويأخذون أموالاً من الناس بحجة أنهم يعالجونهم.. وكان الناس أحياناً يعطونهم المال خوفاً منهم لأنهم أنصار أو تلاميذ، أو رسل (أحمد بن علوان) وكانوا يسمونهم (المجاذيب) وعندما يأتي واحد أو اثنين أو ثلاثة منهم إلى مدينة بيت الفقية كان الناس يلتفون حول هذا المشعوذ أو الساحر الذي يقوم بأعمال بهلوانية وسحرية.. تتراءى لهم وتخدعهم ليستدر بها المال منهم.. وكانت هذه الأشياء وأمثالها تتفشى في مناطق أخرى كثيرة.

أما المرأة فإن وضعها في تلك الفترة كان سيئاً جداً.. كانت المرأة لا تقرأ ولا تكتب نهائياً.. ولا تعرف شيئاً عن الحياة.. المرأة في الريف تذهب من

أجل أن تشتغل في الأرض لمساعدة زوجها وتهتم بـالبقرة وحلبهـا.. ومخض الحليب وتحويله إلى رائب وسمن.. كما تهتم بشؤون طحن الحب في المطحنـة لساعات طوال.. وتنزع الماء من البئر.. وهي كالآلة تتحـرك مـا بـين البيـت والبئر والمزرعة ولا تعرف شيئاً عن الحياة، وحتى المـرأة في المدينـة.. لم تكـن تهتم بشيء غير خدمة البيت.

أما في مجال الحريات والحقوق العامة فإن المرأة والرجل كانوا جميعاً سـواء بسواء.. وفيما يتعلق بالتعامل بينهما.. فإن الرجـل يعـدذ نفسـه دائمـاً الآمـر الناهي، أما المرأة فعبارة عن شغالة في البيـت، هـذه الامتيـازات لـلرجل علـى المرأة وهذه الفوارق بينهما ما تزال تشكل مصدر إزعاج إلى اليوم، وإن كان الحال الآن قد اختلـف كثـيراً جـداً.. فقـد كـانت المـرأة في ذلـك الوقـت لا تستطيع أن تتكلم أو تبدي رأيها في شيءٍ مـا.. ولم يكـن يوجـد عندهـا أي إحساس بأي حق لها!!

وهكـذا ظـل الحـال في عهـد الأئمـة.. ولم يبـدأ التطـور إلا في أواخـر الخمسينات.. حيث بدأت الحياة تدب.. وإن كان قد بدأ إرسال البعثات إلى الخارج في الأربعينيات.. ممثلة بذهـاب عـدد مـن الشباب للدراسـة في لبنـان ومصر، وجلب بعض المدرسين خاصة من مصـر إلى اليمـن.. ولم يكـن كـل ذلك بتخطيط من السلطة أو الأئمة.. وإنما تحت ضغط ما يكتب في الصحف خـارج اليمـن، ويلفـت نظـر الإمـام إلى أن هـذا لا يجـوز بـأي حـال مـن الأحوال.. وأيضاً كان من الأسباب في ذلك أن الحياة بدأت تسير سيراً حثيثاً باتجاه التطور في بلدان عربية كثيرة وحتـى في البلـدان المجـاورة لنـا.. فـأصبح لابد من قدر من المجاراة فرض نفسه فرضاً، وإلا فإنه لم يكن يخطر لأحدٍ ببال

أن الإمام أحمد مثلاً.. سيقوم ببناء طريق مسفلت من الحديدة إلى صنعـاء، أو سيقوم ببناء ميناء في الحديدة، كان هذا صعبـاً كـل الصعوبـة.. ولكـن ذلـك التغيير وبحدوده الضيقة فرض نفسهُ عليهم كما أسلفت.

أعود مرة أخرى إلى الحديـث عـن ذلـك الزمـن فـأتذكر العسـاكر عندما كانوا يقومون باستعراضاتهم العسكرية أمام الإمام يوم الجمعة.. وهـم بتلـك الملابس الرثة فلا تعرف أجسامهم الماء إلا في النادر.. والذي لا يعـرف تلـك الفترة ولا يعرف كيف كان ملبس الناس ومأكلهم سـواء كـانوا مواطنـين أم عسكراً.. يظن أن ما نكتبـه عنهـا مجـرد خرافـات، فهـو لا يتصـور أن آبـاءه وأجداده كانوا يعيشون تلك العيشة وتلك العزلـة عـن العـالم.. حتـى الإمـام يحيى فإنه بمقدار ما ظلم الناس فقد ظلم نفسه.. حيث كان منغلقاً لا يعـرف شيئاً عن العالم.. بكل ما تعنيه الكلمة.. إلا أنه تأتيه بعض الأخبار في المذياع من لندن أو القاهرة.. ثم بعد ذلك كأن الأمر لا يعنيه ولا يعني وطنه.

وعندما حاول سيف الإسلام عبدالله أن يأتي ببعض المشاريع من الخـارج كان الإمام يؤلب عليه بعض الشخصيات في صنعاء، فتقف في مؤازرة الإمـام يحيى في أن هذا لا يجوز وأنه لا يمكن إدخال هؤلاء النصارى إلى اليمن.

كان الإمام يستخدم كلمة نصارى ويشـجع بعـض الشـخصيات المتخلفـة المتحجرة على استخدامها من أجل الوقوف ضد أي مشروع تحديثي بدعوى أن دخول هؤلاء النصارى إلى اليمـن فيـه مسـاس بالإسـلام.. وأنـه سيقضي على الإسلام والمسلمين.

الحقيقة أن سيف الإسلام عبدالله كانت له مبادرات وقد حاول مع بعض المستنيرين.. حمل الإمام على وضع أو ضرب عملة خاصة باليمن بـدل ريـال

ماري تريزا النمساوي.. الذي لم يكن لليمن من عملة سواه.. عدا عملة صغيرة من فئة النصف ريـال أو الربع أو الثمن أو البقش.. وهذه بدورها ضربها الإمام في أيام متأخرة.. أما أن يكون لليمن عملة كما عند جيرانها أو سائر بلدان العالم.. فهذا غير ممكن لأن الإمام لا يريد ذلك ويحاربه بشدة.

كان الإمام يتصور قوة القيمة الشرائية في ريـال ماريا تريزا لأنه فضة.. وكان يكتنز الملايين منها في المخازن السفلى في قصوره (دار الشكر، ودار السعادة.. وغيرها) وكان الناس يتعاملون بهذا الريال في الوقت الذي يكون فيه وجود خمسة آلاف أو عشرة آلاف ريـال مشكلة.. لأي واحد لأنه لا يستطيع تحملها.. إذا أراد الخروج بها مرة واحدة على سبيل المثال.

وفي أواخر الخمسينات بدأ النظام المنغلق ينفتح شيئاً فشيئاً، بسبب الاحتكاك بعناصر غير يمنية سواء عن طريق خروج اليمنيين في بعثات ومنح إلى الخارج، أو بسبب مجيء غير اليمنيين إلى اليمن كخبراء، ومدرسين وغير ذلك.

وفي هذه الأثناء كان الحكم الإمامي ينهار من الداخل، كان قد شاخ تماماً كما يشيخ الإنسان.. حتى أصبح من المسلم به.. عند كثير من الناس ومنهم أفراد من البيت الملكي أن الحكم سينهار بمجرد موت الإمام أحمد.. سواء مات الإمام موتاً عادياً أو مات عن طريق القتل.

وحتى في خضم الحرب بين الملكيين والجمهوريين في ذروة حصار الملكيين لصنعاء.. حين كانوا مدعومين دعماً سخياً من قوى خارجية.. كان العارفون ببواطن الأمور على يقين كامل أنه حتى لو عادت الملكية وعاد الإمام البدر، فإنه لن يستطيع الاستمرار نهائياً.. فالبدر أو الحسن أو غيرهما كان سينتهي مقتولاً.. لأن الشعور كان طاغياً لدى المواطن العادي في الشارع أن هذا الحكم قد انتهى نهاية أبدية..

الأعراف والعادات والتقاليد

من الماضي.. منذ ما قبل الإسلام وإلى اليوم.. وثمة أعراف وعادات تنخر المجتمع اليمني وتعشعش مع الأسف في أوساطه.. ولم يستطع حتى الإسلام.. وهو الدين الحنيف الذي يؤمن به كل أفراد الشعب اليمني.. أن يغير من هذه الأعراف والتقاليد..

اعتقد أننا جميعاً نعرف مدى إيغال هذه الأعراف في الذهنية اليمنية.. وخاصة في الأوساط الشعبية.. فنحن نرى ونلاحظ أن بعض بل الكثير من المناطق اليمنية يرفض أبناؤها أن يحتكموا للقضاء.. مفضلين عليه العرف.. ولا يلجؤون للقضاء إلا مضطرين.. أو إذا كان هناك شيء يشبه الاضطرار حتى أن بعضهم إذا احتكم إلى القضاء وجاء الحكم الشرعي في غير صالحه فإنه سرعان ما يطرح الاحتكام إلى العرف. والبعض الآخر ينادي بالاحتكام إلى العرف أولاً.. ثم بعد ذلك القضاء.

البعض قد يراني مبالغاً فيما أقول.. وقد يرد بأن القضية ليست بهذه الصورة.. ولكن معايشة يسيرة لبعض الأعراف السائدة في بعض المناطق الموغلة في الافتخار بالعرف القبلي ستكون رداً حاسماً ومقنعاً.. وستؤكد أننا لسنا مبالغين ولا متجنين.

ومع دخول العلم والتكنولوجيا ومنجزات الحضارة وفد علينا من البلدان الأخرى كثير من صور الحياة وعاداتها.. إلا أنها عجزت هي الأخرى ولم تؤثر فينا.. لم تستطع خلخلة العرف القبلي.. بأي شكلٍ من الأشكال.. وأنا هنا أتحدث بصفة عامة.. ولا أنكر النماذج القليلة التي توجد هنا أو هناك وتؤمن بضرورة التغيير وتنادي به.. ولكن المؤسف أنها نماذج قليلة ومحدودة.

واعتقد أننا يجب أن نعيد النظر في جدوى هذه الأعراف.. ونتساءل.. هل نعيش العصر بكل ما تعنيه هذه الكلمة؟.. هل نحن جزء من هذا العالم الذي يستعد استعداداً عالياً لدخول القرن الحادي والعشرين؟

لأن الإجابة حتى الآن هي: لا.. بدليل أننا نرزح تحت عادات وتقاليد هي ضد متطلبات العصر.. هذه العادات تنعكس على قدرتنا على العمل والإنتاج ومسايرة الزمن.. فنحن لا نصنع شيئاً.. ولا نزرع ما يكفينا.. وكل ما هو بين أيدينا من عمل وإنجاز غيرنا.. ملابسنا من الخارج.. أكلنا من الخارج، حتى انتزاع الماء من أعماق الأرض يتم بواسطة آلاتٍ جاءتنا من الخارج.. وتصور لو أن تلك الدول منعت تصدير صناعاتها إلينا لعادت حياتنا إلى ما كانت عليه قبل ثلاثة قرون.. فنحن لا نصنع حتى الإبرة.. دعك من الآلات الارتوازية أو السيارات أو الكهرباء، أو الطائرة أو التلفاز والإذاعة وغيرها من وسائل الحياة الحديثة..

وأنا لن أتكلم عن الأشياء الكبيرة.. فقط أكتفي بالأشياء البسيطة المتعلقة بالماء.. والمأكل والملبس.. إننا ببساطة وفي حياتنا اليومية منذ أن نستيقظ إلى أن ننام، ونحن نعتمد في استخداماتنا واستعمالاتنا المختلفة على أشياء جاءتنا من الخارج.

حتى الأرض التي كان آباؤنا يأكلون من خيرها تركنا زراعتها بالغذاء.. لأنه لم يعد يغطي تكاليف زراعته وزرعناها بشجرة القات الخبيثة.. أحد الأشخاص قال لي: إنه كان في أرض الشرفين أو المحابشة واديان يزرعان الأرز.. وكان محصول الأرز وفيراً فيهما.. واليوم لا توجد حبة أرز واحدة، لقد أصبحت المنطقة كلها قات.. وقد قال لي ذلك الشخص أيضاً: إن بعض أبناء تلك المنطقة صاروا يأكلون القات صباحاً وعصراً ومساءاً.. حتى إنه شاهد بأم عينيه كيف ازداد عدد المجانين.. الذين تراهم وقد قيدوا بالسلاسل بسبب القات.. ومع ذلك.. فهم لا يكادون يأكلون إلا الخبز الجاف أو اللبن في بعض الأوقات، وبقية وقتهم يأكلون القات وبنهم عجيب.

هذا ما وصلنا إليه.. هذه هي الحصيلة التي نتكلم عنها.. وكلها تتعلق بالعادات والتقاليد التي انغرست في عقول الشعب ولم يستطع حتى التعليم الحديث تغييرها. والعجب أن الطالب اليمني يتعلم حتى يتخرج من الجامعة.. ثم تجده لا يختلف عن أسرته في العادات والتقاليد، ولا أستثني من ذلك إلا عدداً من الشباب الطلائع الذين انصهروا في الحياة الجديدة وأصبحوا على درجة كبيرة من الإيمان بالتغيير، وهم يحملون في عقولهم مبادئ وأهدافاً جديدة.. تنحو منحى يعارض تلك الأعراف والعادات البالية.

والحقيقة أننا يجب أن نعي كما يجب أن نؤمن إيماناً لا حدود له بأن هذا الوطن أمانة في أعناقنا.. ونحن مسؤولون عنه أمام الله وأمام التاريخ.. وليس لنا بأي حال من الأحوال أن نغالط أنفسنا.. والعقل هو المرجع وميزة الإنسان في المراجعة.. ومعرفة الحق.. وبغير هذا تصبح المسألة مسألة عناد وجاهلية ولا أستطيع أن أصف أكثر من هذا.

من صور الماضي

أود هنا أن أتحدث عن قضايا متنوعة.. وسأركز بموضوعية وصدق مع النفس.. سأتحدث عن حياة الناس من بداية الأربعينات وما قبلها إلى خمسينات هذا القرن.. سأتحدث عن الأغنياء والفقراء.. والفوارق بين الناس.. سأتحدث عن القناعة السلبية والتمرد الإيجابي.. سأتحدث عن التغيير والثورة وعن الخلط الذي حصل فيما بعد.. بين المبادئ والانتهازية.. والطرق الأخرى التي ذهبت بنا إلى ما لا نريد..

صورة ما قبل الثورة

كـان النـاس مـن بدايـة الأربعينـات ومـا قبلهـا إلى خمسينات هـذا القـرن يعيشون عيشة طبيعية.. ولكنها كانت عيشة بدائية.. لم تكـن توجـد فـوارق بين الناس إلا في حالات نادرة جداً.. مثـلاً كـانت هنـاك الشـريحة الوسـطى الممتدة على كل بسـاط المسـاحة اليمنيـة.. فـالفقر بمعنـاه المدقـع كـان قليـلاً جداً.. وكان الأغنياء محدودين جداً.. فهـم في صنعـاء يعـدون بعـدد أصـابع اليدين.. وفي الحديدة وتعز كانوا يعدون بعدد أصابع اليد الواحدة.. وهكـذا في سائر المناطق اليمنية.. وكان الأغنياء في ذلك الوقت يختلفون عن الأغنيـاء اليوم.. فعلى سبيل المثال عندما نتذكر أغنياء صنعـاء.. غمضـان أو السـنيدار أو عسلان.. نتذكر أن الواحد منهم كان يمتلك ثروة في حدود المئة ألـف أو الخمسين ألف ريال فرنسي (ماري تريزا) ولكنك تجده وتشاهده عياناً يعمـل بنفسه مثله مثل الشاقي من الصباح إلى المساء..

وهو في نظر الناس غني لأنـه يستطيع أن يـأكل اللحـم أكـثر مـن غـيره.. وكذلك المأكولات الفاخرة بعض الشيء مثل بنت الصحن والسـبايا وغيرهـا من المأكولات التي لم تكن تفترق عما يأكلـه أغلـب النـاس.. كـان الأغنيـاء محدودين جداً جداً.. ومثلهـم الفقـراء المدقعـون.. إنمـا الأغلبيـة السـاحقة مـن الشعب كانت تعيش عيشة عادية بسيطة.. وأنا عندما أقول هذا فإنما أعني أن كل واحد أو كل أسرة لم تكن تعدم الأكل.. ولم يكن الناس يعرفون بيـوت

الإيجارات.. كان البيت موجوداً.. والأكل موجوداً.. وإن كان البيت بسيطاً والأكل محدوداً..

أيضاً كانت هناك قناعة.. وكان الناس يحيون وعندهم اقتناع كامل أن الحياة هكذا.. وليس أكثر من هذا.. وأنا عندي في هذا وجهة نظر منذ وقتٍ مبكر.. ومؤدى وجهة نظري.. أن اقتناع الناس في تلك الفترة ورضاهم بحياتهم.. وأنها ليست أكثر مما هي.. كان أمراً سلبياً في الحياة اليمنية.. فعندما يقتنع المرء بما وصل إليه.. وعندما يركن المجتمع إلى الرضا بمستواه المعيشي.. وحراكه المعتاد يقل الطموح.. وتفتر في النفوس نوازع التقدم والتطور. والإنسان المنشود سواء في تلك الفترة أو اليوم.. هو الإنسان الرافض بكل ما تعنيه الكلمة.. الإنسان المتمرد على الجمود والحياة المحدودة والأفق الضيق.. الإنسان الذي يريد أن يكون قوياً لا بد له من أن يكون طموحاً.. عنده نوازع وشجاعة من أجل أن ينال تلك النوازع التي تتنازعه والتي تدفع به إلى الأمام.. ولم تكن النوازع وذلك الرفض والتمرد موجوداً عند المواطن اليمني.. وربما كان السبب الجوهري هو السلطة المركزية التي قضت على كل شيء.. وكذلك الحكم الجائر الذي حكم به الأئمة الشعب.. بما لازمه من شدة وعنف وبدائية.. أصابت نوازع المواطن العادي وجعلته يركن إلى ذلك المستوى العادي من الطموح..

تلك المرحلة أتذكرها وأتذكر آباءنا الذين كانوا قبلنا.. وكيف كانوا يعيشون حياتهم.. بقدر بالغ من القناعة والرضا.. والاستسلام للأمر الواقع.. فمهما حدث من أحداث.. ومهما كان الوضع متخلفاً وجائراً.. فهو في

نظرهم قضاء وقدر.. وهذا في رأيي من أهم أسباب التخلف وعدم اندفاع اليمنيين إلى الأمام.. وحين كنت صغير السن كنت ألاحظ هذا كثيراً في تهامة..

الزرانيق القبيلة الكبيرة المشاكسة قضى عليها ولي العهد أحمد بن الإمام يحيى قضاءاً مبرماً.. وضرب شخصيتها وسحقها سحقاً جاعلاً منها درساً للآخرين..

أذكر أني شخصياً كنت أتمرد على تلك الاستكانة.. وكل زملائي يعرفون ذلك.. كنت لا أرضى بحال من الأحوال بالمعيشة العادية والحياة الرتيبة.. ولذلك لم أستطع الصبر على الاستمرار في تهامة ففررت بنفسي من بداية النصف الثاني من الخمسينات إلى صنعاء.. وبقيت فيها.. لأن صنعاء كعاصمة.. تتعدد فيها المشارب.. وتكثر فيها فرص الكفاح.. وكنت أرى فيها مآربي التي أستطيع من خلالها الجهاد بوسائل مختلفة.. من أجل تغيير واقعي وواقع مجتمعي.. ولقد نجحت في بعض ما أريد وفشلت في البعض الآخر.. ولكنني وهذا هو الأهم لم أستسلم و لم أركن..

أذكر أن بعض زملائي.. لم يستطيعوا استيعاب توجهاتي تلك حتى أن منهم من اتهمني بالتنكر لهم.. وبأني نسيتهم.. فغيرت السكن من تهامة إلى صنعاء.. وأخذت لحياتي مجرىً آخر.. ولكن منهم من حذا حذوي فيما بعد فجاء إلى صنعاء.. وهم الآن في صنعاء يشغلون وظائف مختلفة..

الثورة وإزالة الفوارق

منذ بداية الأربعينات وهي الفترة التي وعيت فيها الحياة وعياً جيداً مروراً بالخمسينات وحتى مطلع الستينات.. لم تكن هنا فوارق موجودة بين الناس.. لم تكن هنا فوارق نهائياً.. كما سبق أن ذكرت..

وعندما قامت ثورة ٢٦ سبتمبر المجيدة كان الشعب اليمني يبحثُ عن مخرج أو مخلص من الحكم الإمامي المستبد.. وقبل الثورة.. وربما من بعد ثورة ١٩٤٨م بدأ شيئاً فشيئاً يتحرك في أذهان الناس معنى التغيير.. حتى أنه عندما قامت ثورة ٢٦ سبتمبر كان الشعب اليمني مهيئاً تهيئة كاملة للتغيير في حد ذاته.. وفي ليلة الثورة انتفض الشعب من الشمال إلى الجنوب ومن الشرق إلى الغرب.. وأتذكر أن الناس كانت في ذلك اليوم تلقي القبض على كل ذي سلطة.. من عامل أو حاكم أو سيف إسلام أو ضابط.. وكل إنسان كانت له صلة من قريب أو بعيد بالإمامة كان الشعب يلقي القبض عليه.. في أي مكان في البلاد ويرسل فوراً إلى صنعاء.. وهذه هي ثورة الشعب..

ثورة ٢٦ سبتمبر.. كانت نتيجة الحركة الوطنية من بداية الثلاثينات.. إنها الخلاصة للنضال الوطني والاستنارة المخلصة.. وكان النضج قد وصل إلى مرحلة اليقين بمعنى أن الناس كلها كانت تريد التغيير والخلاص بأي حال

من الأحوال وعلى أي شكل من الأشكال.. بغض النظر عمن يكون المخلص.. أو كيف تكون نتيجة المستقبل..

وأتذكر أن الإمام أحمد ومعه البدر وبقية سيوف الإسلام.. وأسرة بيت حميد الدين.. ومن يرتبط بهم.. كانوا جميعاً يستشعرون أنه بمجرد موت الإمام أحمد يسقط النظام تلقائياً.. صحيح أنه كانت بين البدر والأمير الحسن منافسة معروفة.. وكل منهما كان يحاول استقطاب أعداد من الناس حوله.. ولكن الكثير منهم كان متأكداً.. وعلى علم يقين أنه سيحدث شيء عظيم عقب موت الإمام.. وحتى نساء الأسرة كن على توجس من ذلك.. وأشهد أنني سمعت واحدة منهن تقول: "بمجرد أن يموت هذا الشيبة – أي الإمام أحمد – ستنتهي الأسرة تماماً ".

قامت ثورة ٢٦ سبتمبر.. ودخلت البلاد في حرب معروفة ليس هذا مكان الحديث عنها.. ولكني أريد هنا الاستمرار في الموضوع الذي أتحدث فيه.. الثوار اعتمدوا على الجمهورية العربية المتحدة – جمال عبدالناصر – بالتحديد.. وجمال رحمه الله بذل جهداً لا يستطيع أي إنسان إلا أن يسجل له كل التقدير.. والإعجاب والاحترام.. وخاصة لما بذله هو شخصياً.. أما أصحابه أمثال السادات وعبدالحكيم عامر وغيرهم.. فهؤلاء نعرف ماذا كان البعض منهم يريد ويخطط.. فقد كانوا عبارة عن مراكز نفوذ يستفيد منها بعض الضباط وبعض الخبراء من أجل أن يذهبوا إلى اليمن ليستفيدوا مادياً بطريقة أو بأخرى.. ولم تكن الحرب في اليمن حرباً بالمعنى المتعارف عليه.. فقد كانت فيها مداخلات مزعجة.. استبعد منها الكثير من اليمنيين المخلصين.. وشتتوا هنا وهناك.. ومزقوا وأبعدوا بطرق مختلفة.. وتحكم في

رقاب الناس أشخاص كانت لهم مصالح شخصية أو كانوا مرتبطين بجهات مختلفة..

أما في الجانب الآخر فقد كان الملكيون يقاتلون بشراسة مدفوعين من الجيران.. وبأموال باهظة وبسلاح رهيب متطور ومرتزقة.. ولكن التاريخ كان قد أسقطهم.. فالحكم قد شاخ.. ولم يكن في وسع الشعب أن يتقبله مرة أخرى..حتى لو كانوا عادوا ودخلوا صنعاء فلن يستطيعوا الاستمرار.. هذا كان من المسلمات.. إنها سنة الله التي أسقطتهم نهائياً.. وإنها سنة التاريخ في التغيير الذي كان حتمياً.. وكانت لدى المواطن اليمني قناعة كاملة أنه شيء لا بد منه.. رغم وجود (الربشة) والجري وراء المصالح الشخصية والاستكلاب على المادة التي لازمت النفوس.. وأفرغت الثورة من محتواها.. وجعلت الناس يشعرون بمدى الهوة التي فصلت بينهم وبين ما كانوا يتمنون..

وهنا أود القول أن الفوارق التي تفاقمت بين الناس وخاصة منذ السبعينات وما بعدها.. والتي كلما مر الوقت ازدادت استفحالاً وتعقيداً.. وصعوبة في العلاج.. إنما كانت بفعل تغليب المصالح الشخصية والتكالب على المادة.. وأنا أذكر جيداً كما يذكر غيري.. وخاصة ممن لا يزالون أحياء من ضباط الثورة.. وأنا أستشهد هنا بالأخ العزيز الصديق / أحمد الرحومي.. وكذا الأخ العميد / حمود بيدر.. وغيرهما الكثير.. أنه عندما بدئ بوضع أهداف ومبادئ الثورة وعندما طرح موضوع إزالة الفوارق بين الطبقات.. كنت أميل إلى استبدال كلمة " إزالة " الفوارق بكلمة " إذابة " الفوارق بين الطبقات.. لأنه لم تكن عندنا فوارق بالمعنى المتعارف عليه..

ولكن البعض من ضباط الثورة وقف ورفض.. وقالوا: ماذا تعني بإذابة الفوارق.. وصمموا على لفظ إزالة.. وها نحن اليوم في أواخر القرن العشرين نفاجأ بأن الفوارق الحقيقية لم توجد إلا في الوقت الحاضر.. وهي فوارق قسمت ظهر الشعب اليمني إلى أبعد الحدود..

الشريحة المتوسطة من المجتمع والتي كانت تشكل غالبية الناس.. هبطت إلى الحضيض.. وصعدت أعداد كبيرة إلى مرتبة الغنى الفاحش بدون تعب.. هكذا بشكل طفيلي.. وتحت دعوى أنهم يعملون بالتجارة.. بينما هم يجلسون في أماكنهم يشتغلون بما لا يمكن أن نسميه تجارة.. بل شطارة.. شطارة كسبوا منها الملايين.. بطرق غير شرعية.. والمصيبة أن جل هؤلاء ممن شاركوا في تفجير الثورة.. وكانوا من ضباطها ورجالها.. وكأنما قاموا بالثورة لأجل أن ينهبوا خيرات البلاد.. فإذا سألت الواحد منهم: من أين لك هذا؟.. من أين جئت بكل هذه الملايين والقصور؟.. ثار واستغرب وتعجب.. إذ إنه قد رسخ في ذهنه أنه لا يسأل عما يفعل.. فكيف تسول لك نفسك أن تسأله وهو ثائر.. إنه تماماً يساوي الثورة.. فأنت عندما تتكلم عنه فإنما تتكلم عن الثورة وعن أهدافها ومبادئها.. وتقول له: يا أخي هناك فرق بين الثورة ومبادئها النبيلة السامية وبين ما تفعله أنت وأمثالك.. ممن تسلقتم على أكتاف الثورة.. هذه الملايين ضد الثورة.. ضد الشعب والحق والحقيقة والفضيلة.. ولكن من يسمع ومن يرتدع.. ومن يخجل.. وأنا لا أتصور كيف صدقوا أنفسهم.. فمنهم من أعرف حاله جيداً.. قبل الثورة.. في سنة ١٩٦٢م وقد كان لا يجد شيئاً.. والمستور فيهم.. كان لا يمتلك حتى عشر ما يمتلكه اليوم..

لقد كانوا فعلاً لا يمتلكون شيئاً.. واليوم صاروا يمتلكون الدور والقصور والملايين.. ولسان حالهم " ما في أحد أحسن من أحد " بل إن الواحد منهم ليكتب على باب قصره: " هذا من فضل ربي ".. يا لها من غرائب..

ولطالما ناقشت بعض الضباط.. والزملاء وبعض الذين كانوا تلاميذي.. وسألتهم لماذا هذا الخلط؟.. وما الذي حدث لنا؟

ما قبل ثورة ٢٦ سبتمبر كلنا متفقون أنه كان هناك ظلم واستبداد وعزلة وخوف رهيب.. وكل ما يمكن أن تتحدث عنه من جهل وتخلف.. كان موجوداً بالفعل قبل الثورة على الساحة اليمنية.. بحكم الإمام.. والنظام الذي كان يتعاطى به مع الشعب.. وعندما ثار الشعب إنما ثار لأجل أهدافٍ نبيلة ومبادئ عظيمة.. وكانت أهدافنا ومبادئنا من أجل الشعب.. وإذن فمن شارك في الثورة بطريقة أو بأخرى.. وظل نقياً وطاهراً.. وملتزماً بأهداف الثورة ومبادئها فهذا هو النبيل القصد.. وهذا هو الصحيح العمل والمنسجم مع الثورة..

أما الذين غيروا وبدلوا ونهبوا خيرات الشعب.. تحت ذريعة الثوار.. فهؤلاء ليسوا من الثورة في شيء.. وأنا لا أتفق بأي حال من الأحوال مع الخلط بين الحديث عن الثوار الوصوليين والثورة المباركة، ولكم أعجبُ وأشعر بالأسى.. عندما أرى الواحد منهم.. يمتلك الملايين والقصور.. فأقول له: يا أخي عندما يشاهدك المواطن البائس الفقير.. وأنت من رجالات ثورة ٢٦ سبتمبر وتتكلم إلى اليوم عن أهدافها ومضامينها.. ويشاهدك المواطن تعيش في هذه البحبوحة.. وهذا الفارق الهائل بينك وبينه.. كيف يكون شعور المواطن المسكين تجاهك.. حين يسير بجانب قصرك الضخم المرتفع

الواسع.. المبني بهذه الحجارة الغالية والمنقوش بهذه النقوش المكلفة.. وهذه الثريات والأثاث الباذخ.. ويراك أيضاً وهو يمشي على الرصيف وأنت تمر مسرعاً بسيارتك الفارهة تُثير الغبار على رأسه.. وترمي الحصى في وجهه.. وتنظر إليه بسخرية متعالية.. وتتقزّز.. لهيئته وحاله.. ثم يسمعك تتحدث عن الثورة التي قمت بها من أجله.. والتغيير الذي أحدثته أنت وأمثالك لينعم به.. وعن مبادئ الثورة وأهدافها..

وإذن فإن علينا أن نقول: الرحمة والغفران والرضوان لأولئك الشهداء الذين استشهدوا من أجل أهداف الثورة ومبادئها.. ولكننا في نفس الوقت يجب أن نقف بحزم أمام تجاوزات الطفيليين.. ولا يجوز لنا بأي حال من الأحوال.. ولا يحق أن نوافق أو نستسلم أو حتى نهزّ رؤوسنا بالموافقة لهذا الطغيان.. أو أن نستكين ونسكت لهذه الادعاءات، ولابد أن نشير وبوضوح.. إلى أن ثورة ٢٦ سبتمبر الخالدة.. ومن قبلها ثورة ١٩٤٨م.. وكل رجالها المخلصين عملوا من أجل أن تتحقق المساواة بين الناس والعدالة الاجتماعية.. وهذا جوهر أهداف الثورة ومضامينها.. ومبادئها.. والتي منها أيضاً التعليم والصحة للناس جميعاً.. أما الذين يدعون.. ويتبجحون في كل أنحاء اليمن بأشياء وهمية.. يريدون من ورائها الحصول على مكاسب معينة.. بل ويتسلقون بها إلى السلطة والجاه وجني مكاسب.. ونهب خيرات.. فأقول لهم: إن الثورة لم تقم من أجل هذا فاستحوا قليلاً.. وراعوا ضمائركم..

إنني وقد وصلت إلى هذه السن.. وبعد ستين عاماً تقريباً.. عشتها أراقب وأشاهد وأشارك في العمل الوطني.. أشعر بالأسف وأنا أرى اليمن تدخل القرن

الحادي والعشرين.. ونحن لا نتقدم كما يتقدم الآخرون بل على العكس منهم نتراجع ونتراجع..

إنني كل يوم يزداد خوفي على المساكين والطيبين من أبناء هذا الشعب.. وأنا أراهم يتعرضون لهذا التهميش وهذا السلب المتواصل من العتاولة المتسلطين.. الذين لم تعد في قلوبهم رأفة ولا شفقة.. وإنني لأخاف أيضاً على هؤلاء العتاولة من أن يأتي يوم يندمون فيه.. ونندم جميعاً حيث لا ينفع الندم.. فالساحة كل الساحة تعاني من الخلل وتتعرض للانهيار.. لأن هذه الفوارق التي يكرسونها سوف تطغى على نفس الإنسان وتسحق فيه كل المعاني الدينية والأخلاقية.. المتعارف عليها وإذا لم يحاسب هؤلاء أنفسهم حساباً عسيراً.. فلسوف يحاسبهم الشعب حساباً أكثر عسراً.. ودائماً كنت أقول وأشدد على أن الإنسان يجب أن يعوّد نفسه على محاسبة الذات ومراجعتها.. وأن لا يتعالى على ذلك أو تأخذه العزة بالإثم.. فينظر إلى الناس من علٍ.. فالراحة كل الراحة والفضل كل الفضل في البساطة والقناعة.. والألفة مع الناس.. التي تنتج عنها الألفة بينهم.. والقرب من الناس وإعطاؤهم حقوقهم.. يؤدي إلى تماسك المجتمع وتقارب المواطنين..

وأنا أعود وأشدد على عبارة: " إنني أخوف ما أكون على هذا الشعب من النتائج السلبية التي ستنتج عن هذا الاختلال وهذه الفوارق ".. وسبب خوفي.. أنني أناقش بين الحين والآخر بعض أولئك العتاولة.. عندما نلتقي في بعض الظروف فنحتك ونتناقش فأرى منهم ما يثير هلعي.. فالغشاوة والبلادة قد أعمتهم تماماً وانقطعت صلتهم بالمواطن العادي.. إلى درجة مفزعة.. وإلا فالمفروض أن ينظروا إلى الناس.. وينظروا إلى أنفسهم.. ثم

عليهم أن يسألوا.. لماذا هذه الفوارق المخيفة..؟ لماذا اختلت الموازين بهذا الشكل؟.. فلو كانت الفوارق بسيطة ومعقولة فإن الناس يستطيعون احتمالها.. والشعب اليمني قد تحمل الكثير والكثير عبر التاريخ.. فهو شعب صبور.. شأنه شأن كل الشعوب العظيمة..

وعلى أولئك السادرين في غيهم ألا يتصوروا أن الشعب اليمني شعب خانع أو مستسلم بطريقة أو بأخرى.. فإنهم أن تصوروا ذلك كانوا جاهلين وأغبياء.. لأن الشعب لا يمكنّ أن يستسلم أو يموت.. الشعوب تصبر.. وتظل حيّةً صابرة.. حتى يأتي يوم تثور فيه فلا تبقي ولا تذر.. صحيح أنها بين الوقت والآخر وكما حصل عبر التاريخ تمر على الشعوب.. ومنها الشعب اليمني حالات بؤس وضنك.. ولكنه كان ينتفض دائماً.. فيدمر كل من يلعب بمقدراته ويستهزئ بعقول أبنائه..

وأريد التحذير من أن الشعوب عندما تتململ وتضجر.. لا تفرق أيضاً بين الصالح والطالح.. بين الصح والغلط.. وهذا ما أخشاه وأخاف منه.. ليس على نفسي بل على الإنسان الذي يعيش على هذه الرقعة من الأرض.. أما أنا فمجرد مواطن بسيط عادي.. ولكنني أخاف على شعبي أن يحصل له ما لا تحمد عقباه.. إنني أتحدث من القلب.. ومن شعور بالمسؤولية.. أتحدث وأنا أعرف أن البعض عندما يقرأ ما كتبت سيضحك.. وربما يسخر أو يشمت.. بل ربما وجه سهامه نحوي قائلاً: إذا كان أحمد جابر عفيف يقول: إنه من أسرة فقيرة فمن أين له هذا؟.. ولهؤلاء أقول: إنني لا أمتلك شيئاً ولله الحمد.. لقد اخترت لنفسي طريقاً آخر يتمثلُ في هذه المؤسسة " مؤسسة العفيف الثقافية ".. التي أنشأتها بقناعة شخصية وأوقفت عليها هذا البيت بما

فيه.. ووصيتي في ذلك موجودة لدى الإخوة أعضاء مجلس الأمناء.. وموجودة بين أيدي أولادي وزوجتي شريكة حياتي.. وأطلعت الكثير من أصدقائي وتلاميذي عليها.. وأصلها موجود لدى البنك(١).. وكل ما أملكه هو مبلغ محدود أودعته في البنك باسم مؤسسة العفيف الثقافية.. وعند البنك تعليمات مني أن هذا المبلغ بعد وفاتي يتحول باسم الإخوة أعضاء مجلس الأمناء.. الذين من حقهم أن ينتخبوا رئيساً لمجلس الأمناء.. يكون في نفس الوقت رئيساً للمؤسسة.. وقد وضعت ضوابط في النظام الداخلي للمؤسسة تضبط مثل هذه العملية.. لقد أعطيت هذه المؤسسة جزءاً كبيراً من حياتي وتفكيري وجهدي.. وعندي يقين لا حدود له أن زوجتي وأولادي يحبون هذه المؤسسة كحبي لها.. وأنهم سيتفانون من أجلها.. وسيثبتون أنهم لا يقلون عني استماتة من أجلها.. وما أريد تأكيده هو أنني لا أمتلك شيئاً في هذه الدنيا إلا اسمي وأولادي وزوجتي وهذه المؤسسة.. التي أوقفتها ووهبتها لطلاب العلم..

لقد صارت حياتي.. وصار تفكيري يرتبطان ارتباطاً عضوياً مصيرياً بهذه المؤسسة.. التي سأبقى حامياً لها ما عشت.. أما بعد موتي فهي كما قلت ستكون أمانة في أعناق أعضاء مجلس الأمناء.. ومنتسبي المؤسسة.. وأريد أن أوضح أن أولادي ليس لهم دخل في هذه المؤسسة إلا حمايتهم ورعايتهم لها.. وأنها تركة من أبيهم لطلاب العلم.. والعلم وحده.. وهذا يجعلني مطمئناً إزاء من قد يتكلم أو يتساءل حول أحمد جابر عفيف ومن أين له هذا.. ومن حقه أن يتساءل..

---

(١) نص الوصية منشور في آخر الكتاب

وأزيد فأقول: إنني قد كتبت في الوصية من أين جاء لي هذا؟.. وقد اطلع كثيرون على وصيتي منذ البداية.. التي رضي بها ووقع عليها زوجتي وأولادي ووقع عليها شهود.. وفي الوصية وضحت.. من أين جاء لي المال.. وكيف أنني كنت أشتري قطعاً من الأرض أتركها حتى إذا ارتفع سعرها بعتها واشتريت أراضيَ أخرى.. وهكذا مرات ومرات.. وكان وكيلي في كل ذلك هو الصديق المرحوم الحاج / علي عاطف.. الذي كان له فضلٌ كبيرٌ في شرائي لتلك الأراضي.. وأحياناً كان إلى جانبه آخرون حددتهم بالاسم في وصيتي.. كما كانت عندي مزرعة في سردود هي مزرعة محدودة وبسيطة.. وضحت كل ما يتعلق بها..

وأنا اليوم أشعر بالسعادة وراحة الضمير لأنني طاهر اليد.. وقد سجلت براءة ذمتي.. وإنني أسأل من تحدثت عنهم وخاصة من هم في مناصب كبيرة في الدولة.. من أين لكم هذا؟.. لماذا لا تسجلون براءة ذمتكم؟.. من أجل أن يعرف الناس؟.. لماذا نسمع بين وقت وآخر عن المحاسبة وأنها مطروحة طرحاً جاداً ثم فجأة يختفي الطرح؟!..

للأمانة أقول: إنني أخاف على هذا البلد من التمزق ومن السقوط في أحضان الجنون الطائش.. لقد وصلنا إلى وضع يأكل فيه الإنسان لحم أخيه.. وإنني أطالب بإعادة النظر.. أجل إعادة النظر.. مرة أو مرتين أو أكثر.. إننا بمحاسبة أنفسنا نظهر مدى شجاعتنا.. وأخلاقنا واكتمالنا.. نظهر أننا قادرون على العودة إلى الحق.. وعلى مراجعة الذات وتصحيح الخطأ..

أما العيب كل العيب فهو في الاستمرار في الخطأ والتمادي في إهانة واحتقار عقول الناس.. العيب كل العيب أن تركب سيارة بملايين الريالات

ومعك الحرس بأسلحتهم.. ثم تمر أمام الناس ناظراً إلى الفقراء المساكين بازدراء لا يليق ولا يجوز.. مما يجعل أولئك المساكين ينظرون إليك بمنظار فيه الكثير من الحقد والكراهية.. وهي نفس المشاعر التي ينظرون بها إلى قصورك وسياراتك.. وهذا في الحقيقة من حقهم.. لأنهم بشر لهم أحاسيس ومشاعر.. ثم إنهم محرومون يعانون الحرمان.. ويريدون أن يأكلوا وأن يعيشوا عيشة هنيئة هادئة بسيطة.. لا أن تؤخذ اللقمة من أفواههم.. وتكون كصاحب النعاج الذي أخذ نعجة أخيه كما جاء في الآية الكريمة ﴿ إن أخي هذا له تسع وتسعون نعجة ولي نعجة واحدة فقال أكفلنيها وعزني في الخطاب﴾.. هكذا كان الرجل يمتلك تسعاً وتسعين نعجة.. ولكنه لم يقتنع بل طالت عينه وامتدت يده إلى نعجة أخيه..

إنني والله أشعر بالأسى والحزن والكآبة وأنظر إلى المستقبل بتشاؤم كلما تحدثت في هذا المجال.. وإنني لأرجو ألا أغيب عن الدنيا.. وأنا بهذا التشاؤم.. أرجو أن تتغير المفاهيم الخاطئة عند الناس فيعودوا إلى الحق والصواب.. في النظر إلى عامة الشعب.. المساكين والفقراء.. وفي النظر إلى هذه الأعداد الهائلة من الشباب التي درست في الجامعات وتخرجت.. ولا تجد السكن ولا المأوى ولا الوظيفة التي تؤمن لقمة العيش.. آلاف الشباب لا يستطيعون الزواج.. لأن الواحد منهم لا يستطيع أن يوفر لنفسه اللقمة فكيف يتزوج؟..

وأنا بين الحين والآخر ألتقي ببعض هؤلاء الشباب الذين يتخرجون أفواجاً كل عام من الجامعات التي انبثقت في كافة أنحاء اليمن كالدكاكين.. وألاحظ أن بعضهم أشباه أميين.. وليس منهم من واصل تثقيف نفسه

وتوسيع مداركه إلا القليل.. وبعضهم لا يعيش العصر مطلقاً.. وليت أشباه الأميين منهم بقوا أميين في قراهم وريفهم يزرعون ويأكلون من خير الأرض.. المشكلة أنهم رأوا سراباً فحسبوه ماءً.. وعدوهم بالتعليم الجيد الذي تليه الوظائف والحياة الكريمة.. فلم يجدوا لا التعليم الجيد ولا الوظائف.. وبعد تركهم لقراهم ومجيئهم إلى المدن.. ودخولهم لسنوات طويلة إلى الجامعات من أجل التحصيل العلمي.. وجدوا أن النتيجة كلها لا شيء..

وأنا كما قلت ألتقي بين الحين والآخر بأعداد منهم أتحدث معهم وأتلمس قضاياهم.. فأسمع منهم البكاء والنحيب.. فكل منهم يشعر بالعجز.. وبسقوط قيمته الاعتبارية في المجتمع.. فهو غير قادر حتى على إشعار أبيه وأمه بأنه يمتلك شهادة جامعية يقدر بها أن يأكل لقمة بسيطة.. وإنه لشيء مزعج وغير معقول أن ترى الأب والأم والأسرة وهم يشاهدون ابنهم الذي تخرج من الجامعة وقد صار عالة عليهم بدلاً من أن يكون رديفاً لهم يعوضهم السنوات التي تعبوا فيها عليه.. وهو يحصل العلم..

إن انتشار هذه الحالات في كافة أنحاء اليمن بهذا الشكل.. سوف ينمي في الناس مشاعر الكراهية والحقد ضد من فرضوا هذا الوضع وبذروا لهذه الفوارق.. التي فرضت بالقوة على الشعب اليمني..

أعود في ختام هذه الوقفة فأقول: إننا يجب ألاّ نخلط الأوراق.. لقد جاءت ثورة ٢٦ سبتمبر بأهداف ومبادئ سامية..فمن طبق والتزم بها فهو من رجال هذه الثورة.. وعنده أهداف وقيم ومبادئ.. أما الذين يمتلكون القصور والسيارات والحراسات المسلحة التي تجوب المدن والقرى بغرض

تخويف الناس.. فهؤلاء نقول لهم:عيب وألف عيب.. كل ما تفعلونه يخلط في أذهان الناس بين الثورة والمبادئ السامية التي جاءت بها.. والفساد الذي تمارسونه.. فكل ما أنتم فيه ضد الثورة وضد مبادئها وأهدافها..

أجل هكذا نقول لهم بالفم الملآن.. وبصراحة وأمانة وصدق مع النفس وسواء شاؤوا أم أبوا فإننا سنحاول بكل الوسائل ردهم إلى الصواب وإلى الحق.. ونجنبهم اليوم الموعود الذي يسعون بالبلاد إليه.. بقصد أو بجهل وغباء..

الفصل الثالث عشر

هكذا أردت حياتي

رجال عرفتهم

أحب هنا أن أتحدث عن بعض الشخصيات التي عرفتها في حياتي.. والتي لها عليّ حق الحديث عنها.. أذكر في بداية الثلاثينات وكنت طفلاً أدرس في مدينة بيت الفقيه.. كان يلفت نظري وأنا في تلك السن المبكرة.. الأستاذ الجليل المرحوم / محمد بن علي الآنسي.. كان مديراً لمدرسة بيت الفقيه.. وكان رجلاً عظيماً ومخلصاً ومحباً للخير.. وكان يرعاني رعاية خاصة.. وقد سبق لي أن تحدثت عنه في أول الكتاب.. وذكرت أنه كان يومئ لي بأنني سأكون شيئاً كبيراً.. وأنني سألي منصباً مهماً.. وربما كان لهذا الرجل فضل كبير في توجيهي إلى الطموح والتميز..

أذكر من الشخصيات التي تعرفت عليها في تلك الفترة وكان لها أثر بالغ في تربيتي وتوجيهي الأستاذ الشريف محسن، والمرحوم يحيى البرطي، والأستاذ المرحوم حسين الحدايا.. وهؤلاء جميعاً قد تحدثت عنهم..

وممن عرفتهم عندما كنت صغيراً وأنا أدرس في مدينة الحديدة.. الأساتذة محمد الخلوصي، أحمد الكتري، محمد الحلبي، إسماعيل الحرازي، وكذلك الوالد عبدالرحمن سويد رحمهم الله جميعاً..

وعندما تم اختيارنا للدراسة في صنعاء أذكر أننا كنا أكثر من ثلاثين طالباً، ومع مرور السنوات الطوال تبعثرنا وتباعدنا (وإذا الأحباب كل في طريق)

وبين الحين والآخر تعود بي الذكريات إليهم.. وتطوف تلك السنوات البعيدة.. وما كنا نستشعره من إخاء ومحبة وصفاء ومن إخلاص أيضاً.. أتذكر الآن من أولئك الأصدقاء صغير سليمان.. العزي مصوعي، عبدالرحمن با بعير، محمود الكتري، علي عبدالعزيز نصر، أحمد هاجي، عمر القليصي، جوهر إبراهيم، إسماعيل شريج، أحمد عزي بلال شحاري، ثواب يحيى، علي محمد أزرق، محمد حسن محسن، محمد قاسم، عمر ملوك، سليمان النعمي، العزي وجيه، عمر هارون، محمد عبدالله الأحمر، محمد غافل، وعدد آخر لا أتذكرهم..

وعندما أعود بذاكرتي إلى تلك المرحلة.. وذلك العدد الذين جيء بهم من زبيد ومن بيت الفقيه والحديدة ومن باجل والزيدية والزهرة واللحية، ومناطق مختلفة كنا لا يعرف بعضنا بعضاً.. فمثلاً من هو من بيت الفقيه كان لا يعرف أحداً من باجل أو المراوعة أو الحديدة أو الزيدية.. كنا في عزلة رهيبة في تلك الأيام.. وعندما اجتمعنا في تلك الظروف التي سبق لي الحديث عنها في أول الكتاب.. أحب بعضنا بعضاًحباً جماً.. وكانت رحلتنا من الحديدة إلى صنعاء شيقة إلينا.. ولا يمكن أن تنسى.. وقضينا مدة الدراسة في صنعاء.. ونحن في ألفة ومحبة.. ثم لما عدنا إلى الحديدة افترقنا.. وعدنا مرة أخرى لنجتمع ولنذهب سوية إلى صنعاء للدراسة، وهذه المرة ظللنا لسنوات لا نفترق حتى أنهينا الدراسة ثم افترقنا.. وإن ظل بعض منا قادراً على الالتقاء ببعض آخر من فينة لأخرى.. خاصة من جمعتهم ظروف العمل في الحديدة بين عامي (١٩٤٩-١٩٥٥م)، وقد كنت في تلك الفترة مع عدد من هؤلاء نعمل في سلك التعليم هناك.. وهذا قد سبق لي وأن ذكرته..

وهـذه الذكريـات عـن تلـك الشـخصيات عندمـا أعـود إليهـا بـين الفينـة والأخرى استشعر روحانية في نفسي وبهجة وسـروراً.. وأنـا أتذكـر حياتنـا البسـيطة تلـك بعاداتهـا وتقاليدهـا.. والجميـل الـذي كـان بيننـا في الكــلام والتعامل الذي كان يطبعــه التواضـع بطابعـه.. ولا أتذكـر أنـه حدثـت بيننـا مشادات أو اختلافات.. وإنما كان بيننا انسجام تام وحب فطري متبادل..

وفي سنة ١٩٥٠م سعدت بتعـرفي علـى أصدقـاء جـدد في مدينـة الحديـدة وربطتني بهم صداقة متينة إلى أبعد الحـدود.. كنـا نلتقـي كـل يـوم.. وكـان الأصدقاء الجدد آنذاك هم المرحوم هاشم طالب، الأخ العميد عبدالله الضبي، الأخ عبدالحميد الشوكاني، الأخ الشاعر إبراهيم الحضراني، العلامة محمد بن أحمد الجرافي، الزميل والصديق إبراهيم رشدي، الصديق الذي عرفته في بدايـة الأربعينـات في مدينـة صنعـاء.. وظللنـا أصدقـاء حميمـين إلى اليـوم.. العزيـز والحبيب جداً جداً الإنسان الملاك الطاهر حسين بن عبدالله المقدمـي، الـذي لا أدري كيف اكتسبته صديقاً حميماً بذلك الشكل.. ربمـا لأن بيننـا ظروفـاً وقواسم مشتركة تجمعنا وكنا نلتقي حولها باستمرار.

وأذكر أنني في الحديدة أيضاً تعرفت على الإخـوة عمـر بـا سـودان، عمـر صبري، محمد حسين الزهيري، وكنا نلتقي باستمرار ونتحدث حول همومنـا وقضايا بلدنا اليمن..

ومـا أشعر إزاءه بالسـعادة أنــه أتيحــت لي الفرصــة أن أتعـرف علــى شخصيات وطنية يمنية من الطـراز الأول.. البعـض منهـم تعرفـت عليـه منـذ الخمسينات.. وارتبطت معهــم بصداقـة متينـة تنوعـت مـن شـخص لآخـر.. فمثلاً عرفت على الشهيد الشاعر محمـد محمـود الزبـيري، والأسـتاذ المنـاضل

أحمد محمد نعمان، والقـاضي العلامـة عبدالرحمـن الإريـاني، والقـاضي محمـد عبدالسـلام صـبرة، والأخ الصديـق محمـد أحمـد نعمـان، والأخ السياسـي والدبلوماسي المحنك الأستاذ محسن أحمد العيني، والزميل محمد أحمد الرعـدي، والصديق يحيى جغمان، والعزيز أحمد حسـين المرونـي، والأسـتاذ الدكتـور / عبدالعزيز المقالح، والأستاذ الشاعر الكبير عبدالله البردوني.. وكذلك تعرفت على شخصيات مثل الشيخ عبدالله بن حسـين الأحمر، والعميـد مجـاهد أبـو شوارب، والشيخ سنان أبو لحوم.. عرفت على هؤلاء معرفة دقيقة وارتبطت معهم بصداقات وثيقة.. ولا أزال مع الأحياء منهم على ود ومحبة..

وأريد أن أقف هنا وقفة خاصة مع الأستاذ / أحمد علي الوادعـي، الـذي تعود معرفتي له إلى أوائل السبعينات عندما انتسب طالباً إلى جامعة صنعـاء.. فتوطدت بيننا من ذلك الحين صداقة عمرها الآن يقترب من الثلاثين عاماً.

فأحمد علي الوادعي مـن القلائـل الذيـن عرفونـي وعرفتهـم معرفـة جيـدة كاملة، وقد كان معي وكنت معه دائماً على صفاء وود لم تشبه شائبة.

وإنني لأدين لهذا الرجـل بـالجميل الكثـير.. ولقـد وقـف معـي في تأسيس المؤسسة.. وكذلك في إعداد الموسوعة، باذلاً كل جهده، ومقدماً مثالاً أعلى للإخلاص والقناعة.

وهـو مـن أعضـاء مجلـس الأمنـاء الذيـن لا أستغني عنهـم أبـداً، والأسـتاذ الوادعي مثقف لامع، ومحام بارع، وهنا أشير إلى أنني قد اخترتهُ هـو بـالذات لكتابة وصيتي.. التي كتبها باقتدار المحامي الممتاز.

ومعرفتي بالوادعي تتعدى المعرفـة بيننـا الاثنـين فهـي علاقـة أسـرية حميمـة ووثيقة إلى أبعد الحدود.

أعود فأقول: إن القضية الوطنية والاهتمام بالناس جمعاني بعدد من الأصدقاء.. وكنت أكبر سناً منهم وكانوا في بداية شبابهم.. فارتبطت بهم أباً وأخاً وصديقاً.. وكان ذلك في بداية ١٩٥٦م بعد مجيئي من الحديدة إلى صنعاء في سنة ١٩٥٥م.. حيث عرفت بعد وصولي إلى صنعاء تلقائياً بعض الطلاب.. وكانت تربطني بهم روابط أبوية وكإنسان تربوي فقد كان من عاداتي عندما أستشعر – وأنا اعتقد أنها ميزة أو صفة إيجابية أعتز بها – فعندما أستشعر أو ألاحظ بعض الجوانب المضيئة في شخص شاب ما أو طالب ما أنجذب إليه تلقائياً وأحاول كسبه لنتحاور معاً، لأحاول بطرق مختلفة أن أؤدي رسالة إليه – وكنت دائماً والبعض منهم يتذكر هذا إلى اليوم – كنت ألتقي بهم باستمرار، ومعاً كوّنا النادي الأهلي الذي كان ساحة كبيرة غرب وزارة التربية والتعليم (الوزارة الحالية) وجلبنا لهم بعض الألعاب من القاهرة.. وبعض المدرسين المصريين وجعلنا من هذا النادي الأهلي الرياضي صلة تعارف بين الشباب.. كنت مع البعض منهم نسعى من وراء هذا النادي لأن نجلب الشباب ونربط صداقة متينة فيما بينهم ككل.. وفيما بين عناصر منتقاة منهم بشكل خاص.. وكنا لا ننتقي شاباً إلا بعد تجربة وخبرة به.. وتأكد أنه معنا فنحاول إطلاعه على ما لدينا من أفكار.. وآراء. وكان الغرض من وراء ذلك تكوين خلايا متنوعة تستشعر أن الوطن بحاجة ماسة إليها.. وأن على أعضاء هذه الخلايا أن يبنوا أنفسهم من اليوم ليكونوا رجال الغد.

ويهمني هنا أن أؤكد أن تفاصيل هذه المرحلة التي امتدت من عام ٥٦ إلى قيام ثورة ٢٦ سبتمبر ١٩٦٢م معروفة عند الأحياء ممن شاركوني ذلك العمل.. وبيان ذلك أمانة في أعناقهم.. لابد أن يؤدوها بصدق وإخلاص.. فهم الذين يعرفون جيداً صلتي بالشهيد البطل علي عبدالمغني.. وصلتي

بالآخرين من تلك المجموعات والطلائع الشابة آنذاك.. وكيف كانت مكتبتي مفتوحة للجميع.. وكيف كان حرصي عليهم ومدى وثوق ما بيني وبينهم من علاقة.. ولن أتحدث كثيراً عن هذا فسأترك الحديث للآخرين الذين أطلب شهادتهم.. وإنني لأرجو أن أجد من أبنائي وتلاميذي الشباب في هذه الأيام من يسأل أولئك الذين كانوا أصدقائي وتلاميذي قبل أربعين عاماً..

لقد كانت تلك الفترة حافلة بالرجال الذين كان لي شرف توجيههم أو مبادلتهم الآراء والأفكار.. وإفادتهم والاستفادة منهم.. ومن أولئك من استشهد في معارك وطنية من الدرجة الأولى.. الشهداء أمثال علي عبدالمغني والشهيد محمد مطهر.. وكان هذان مثالاً للشرف والنزاهة.. بل كانا أنقى مثال للحب والانسجام والتسامي.. وما كان ينطبق عليهما.. كان ينطبق على المجموعة كلها.. وأريد هنا التأكيد أن هذه المجموعة لم تكن تعترف بالنعرات وبأن هذا عدناني وهذا قحطاني.. كانوا لا يفكرون إلا باليمن.. وضرورة إخراجها من قوقعة التخلف، وكانوا أسمى وأرفع من أن يخطر حتى على بالهم مسألة العدنانية والقحطانية أو الزيدية والشافعية وغيرها مما هو محض ترهات لا تقدم بل تؤخر..

وإلى جانب الشهيدين علي عبدالمغني ومحمد مطهر.. أتذكر الآن بعض الأسماء من تلك الكوكبة.. فإذا لم أتذكر البعض الآخر فأرجو أن أعذر بسبب كبر السن.. وتعب الذاكرة.. أتذكر الآن صالح المجاهد، علي الشيبة، حمود بيدر، محمد الخاوي، أحمد الرحومي، علي البهلولي، أحمد سرحان، ناجي محسن المسيلي، عبدالله عبدالسلام صبرة، صالح الأشول، عبدالله محسن المؤيد، علي بن علي الجايفي، صالح العريض، يحيى المتوكل، أحمد

الفقيه، أحمد الناصر، محمد الشراعي، عبدالله الراعي، جميـل محـرم.. سـردت الأسماء هكذا تلقائياً لا أقصد الأول عن الأخير وكلهم أمامي سواسية وكلهم جميعاً أبنائي أعتز كل الاعتزاز عندما أتذكر هؤلاء وتلك المرحلة أشعر بمـدى فرحي وسروري أن لي صلة بهم.. صلة أب.. وإنسان تربوي.. وأكتفي بما سردت.. والأمـر مـتروك لهـم.. إذا أرادوا الحديث عـن تلـك المرحلـة.. وتلـك الأمسيات.. وتلك اللقاءات والمحاضرات وهم مسؤولون أمام ضمائرهم فقط..

الكنز الأعمى

ثمة قصة كنت بطل أحداثها في الصغر.. وقد قررت أن أسوقها هنا لكونها ما تزال عالقة في ذهني رغم حدوثها وأنا في الخامسة أو السادسة تقريباً.. ولكونها أيضاً قصة ذات مغزى عجيب غريب..

كنت وقتذاك في مدينتي " بيت الفقيه ".. وخرجت ذات يوم من البيت لا أدري هل أرسلني أهلي لمنفعة ما أو أنني خرجت هكذا.. وبينما أنا في طريقي إلى السوق الكبير مررت بشارع جانبي.. كنت أمشي محاذياً للسور، سور بيت.. من تلك الأسوار المعروفة في تهامة التي تبنى من القش، وفجأة شاهدت مبلغاً من المال عملات متناثرة بين التراب.. فأخذت منها قرشاً واحداً.. ثم بطريقة غريبة وتلقائية اندفعت أسابق الريح إلى السوق الكبير.. وكأنما كان صوت يوجهني ويد تسوقني إلى رجل هرم أعمى يجلس يقرأ القرآن.. وقد فرش على الأرض خرقة.. اقتربت منه ومددت إليه يدي واضعاً ذلك القرش في يده.. فأخذه مني وقام معي.. فمضيت به إلى تلك البقعة حيث الكنز الصغير.. وأخذت بيده إلى مكان المال المتناثر.. فتحسسها فوجدها من البقش المتنوعة.. وفرش الرجل اللحاف وبدأنا معاً نلم الفلوس بترابها، ونضعها في اللحاف، ثم فيما بعد أبعدنا من التراب ما أمكن.. وكان المبلغ كبيراً فربطه وحمله بنهم على ظهره.. بعد أن أعطاني لا أدري قرشاً أو باولة.. ثم ذهب لا أدري إلى أين؟

وعدت أنا إلى البيت فحكيت لأمي رحمها الله ما حدث، وأعطيتها القرش أو الباولة التي أعطانيها ذلك الرجل، وبمجرد دخول والدي رحمه الله، حكت له أمي القصة، فأخذني وقال لي: تعال أرني المكان الذي عثرت فيه على المال.. وذهبت به إلى هناك، فوجد بالفعل حفرة عميقة.. ولكن لم يعد يوجد بها شيء.. وتأكد له ما أخبرته به من أن المال قد أخذه الأعمى.. وكان نصيبي من أبي كما يقولون (علقة ساخنة) وبكلتا يديه على خدي الاثنين الأيمن والأيسر وعلى ظهري.. هذا غير التوبيخ والمساءلة.. كيف لم تعد إلى البيت وتخبرنا لنأخذ نحن المال..!؟

ويبدو أن هذا الكنز البسيط كان مدفوناً منذ فترة طويلة.. ويبدو أيضاً أن صاحبه قد انتقل إلى رحمة الله.. ولم يعثر عليه ورثته.. وكأنه خرج إلى ظاهر الأرض بفعل الرياح والأمطار.. ولا أدري كيف تصورت أن هذا المبلغ يجب إعطاؤه لهذا الإنسان الأعمى.

وربما يتصور البعض أن هذه القصة ضرب من الخيال وأنها لا يمكن أن تحدث بهذا الشكل.. ولكن الحقيقة أنها حدثت كما رويتها.. وأنا على يقين أنه كان مقدراً لذلك الأعمى أن يأخذ ذلك المال.. وأن هذا كان حتمياً.. ونافذاً وأنني ما كنت إلا واسطته ورسوله إليه.. ولعل ذلك الأعمى كان أباً لأسرة كبيرة يعولها.. وأصابه العمى.. فهو لا يستطيع الوفاء بحاجياتها. على كل حال أنا لا أستطيع تفسير ما حدث تفسيراً علمياً.. ولكنه حصل في حياتي ولا يزال محفوراً في ذاكرتي.. إلى هذا اليوم.

إمكانيات بلا مقابل

ثمة قصة أخرى تتعلق بالمال وموقفي منه.. أرويها هذه المرة من الماضي القريب.. وقد حدثت بعد حدوث قصة الكنز الصغير بحوالي ٦٨ سنة أو أكثر.. وإذا كنت في القصة الأولى قد تركت ذلك المال من دون وعي مني وبغير فهم.. فهذه المرة كانت تختلف تماماً.. إذ إنني تركت المال هذه المرة واعياً مختاراً.. وعلى قناعة.. وذلك عندما طلب مني قبل سنوات أحد الأصدقاء.. أن أتحمل مسؤولية أحد البنوك.. ووقعت تحت إلحاح صديقي هذا وإلحاح أعضاء مجلس إدارة البنك.. وكنت آنذاك قد وصلت إلى اقتناع تام بالابتعاد عن ممارسة أي عمل سواء كان ذلك العمل حكومياً أم أهلياً.. وأن أتفرغ تفرغاً تاماً لمؤسسة العفيف الثقافية.. ولكن أصحاب هذا البنك ألحوا عليّ وأعطوني ثقتهم الكاملة.. وإزاء هذا الإلحاح وهذه الثقة وافقت وبدأت أعمل، وكان في ذهني أن أحقق هدفاً من الأهداف التي قمت بها وهو بناء مدينة سكنية ثانية في صنعاء ثم في المستقبل مدن في محافظات أخرى.

وبدأت أعمل كرئيس للبنك وتقرر لي مرتب شهري قدره مئتا ألف ريال كل شهر وسيارة كبيرة، ومكتب ضخم وسكرتارية وأجهزة، وكل ما أريد، ثم طلبوا مني أن آخذ حريتي أداوم أو لا أداوم.. وأبقى هنا أو أسافر أنا حرٌّ.

ولكنني أخذت المسألة بجدية وبدأت أفكر في العمل، كيف يتم العمل، وكيف يمشي ويسير؟ وفي الأخير توصلت إلى قناعة تامة بعدم الجدوى وأنني لا أستطيع مواصلة العمل.. لأسباب كثيرة لا أريد هنا ذكرها وخاصة أنني أصبحت مقتنعاً أنني لا أصلح لهذا العمل، هكذا اقتنعت برغم أن العمل ليس شاقاً ولا متعباً ولكنني لا أريد.

وأذكر أنني عندما بدأت أشرح لبعض الأصدقاء كان مستغرباً جداً.. يقولون لي.. مالك أنت تأخذ مئتي ألف ريال شهرياً.. وعندك سيارة ضخمة، وعندكم إمكانيات وتداوم أو لا تداوم.. تسافر.. بمعنى أنك حر بمعنى الكلمة فلماذا لا تواصل العمل بهذه الصفة؟

ولكنني فكرت بالأمر تفكيراً جدياً.. فوجدت نفسي في حالة نفسية سيئة جداً.. وقلت إنه لا يجوز لي بأي حال من الأحوال أن أتقاضى هذا المبلغ الشهري الكبير دون مقابل، وهذا السيارة الأمريكية الكبيرة والملعونة لا يجوز لي استخدامها أو ركوبها، وكذلك هذا الكرسي الدوار الذي أجلس عليه، هذا المكتب الضخم ومجلس الإدارة، وكل هذا المظاهر لا أستطيع بأي حال من الأحوال أن أتقبلها.. لأنني لا أنتج.. لا أعمل.

هذا المنصب.. وهذا المبلغ الكبير وهذه الإمكانيات لا بد أن يكون لها مقابل.. لا بد أن أكون راضياً ومقتنعاً.. وتزايد اضطراب حالتي النفسية.. وأصبحت أرفض رفضاً تاماً الاستمرار في هذا المنصب.. فكتبت رسالة إلى أولئك الإخوة والزملاء الذين وثقوا بي.. والذين لا يمكن لي إلا أن أرد لهم التحية بأحسن منها.. وأرسلت لهم رسالة الاعتذار عن استمراري في العمل ومع الرسالة أرسلت لهم السيارة.. وأرحت نفسي.

تعال إليّ في المكتب

من العادات التي عودتها نفسي على مر الزمن سواء كنت أعمل مع الدولة أو خارجها ألا أحمل معي أوراقاً أو ملفاً أو أي شيء خاص بالعمل إلى البيت..

كل ما يخص العمل هو في المكتب وليس في بيتي ولم أعرف أنني في يوم من الأيام خلطت بين العمل الوظيفي والبيت..

وأذكر أنه ذات مرة وأنا أعمل وزيراً للتربية والتعليم جاءني أحد الأصدقاء.. وكان هو الآخر وزيراً.. جاءني ذلك الصديق إلى البيت.. وجلسنا نتبادل الحديث وبعد قليل أخرج من جيبه ورقة وقال لي: اقرأ هذه الورقة.. قلت له: ما فيها.. قال لي: اقرأ ما فيها.. كان الرجل كما قلت شخصية كبيرة جداً.. وفهمت أنها تختص بأمر ما يريد أن أمضّيه له.. ولكنني قلت له: لا.. أنا هنا في بيتي وهذا الوقت لحريتي ولأسرتي أقضيه مع أولادي ومع أصدقائي من أمثالك.. وليس للعمل والنظر في الأوراق.. واستغرب الرجل غاية الاستغراب.. ثم قال لي محاولاً: أنا وصلت الآن إلى بيتك وخلاص ما يجوز ترجعني.. فقلت له: لا.. لا أستطيع أن أتعامل بالورق الرسمي في بيتي..

وخرج من عندي وهو يبدي تألمه وتبرمه من الموقف.. وبعد فترة من الزمن ذهبت في عصر يوم من الأيام إلى المرحوم الفاضل القاضي العلامة عبدالرحمن الإرياني.. وكان يومها رئيساً للمجلس الجمهوري كما هو معروف.. لا أذكر الآن لأجل ماذا ذهبت.. المهم أني عندما دخلت إليه.. وجدت تلك الشخصية الكبيرة التي زارتني إلى البيت ورفضت أن أقرأ الورقة المقدمة منها.. وما إن رآني ذلك الرجل حتى هاج وماج.. شاكياً بي إلى القاضي الإرياني ومتألماً من ردي له.. بل إنه تعدى الشكوى إلى الشتيمة.. وقال للقاضي: هؤلاء الوزراء قد نسوا أن الكراسي الوزارية التي يجلسون عليها هي كراس من جلود إخوتي!!

ولم أرد عليه نهائياً.. فيما كان القاضي الإرياني في أشد حالات الحرج.. ثم ما لبث أن التفت إليّ وقال: مالك ساكت.. فقلت له: لا أرد عليه إلا بكلمة واحدة هي " إلى مكتبي " ثم شرحت للقاضي الإرياني القصة.. وكيف أن الرجل جاء إلى البيت ومعه مراجعة.. فقلت له: أنا لا أتعامل مع الأوراق الرسمية في بيتي وإنما في المكتب.. وها أنا الآن أكررها له أمامك.. المعاملات في البيوت لا.. وألف لا.. كل عامل في عمل رسمي حين يتخذ من بيته مقراً للعمل.. فمعنى ذلك أنه يفتح باباً للرشوة والمحسوبية.. ثم إنها أسلوب متخلف في الإدارة لا يجوز بأي حال من الأحوال انتهاجه.. هو العامل الأكثر إعاقة للتقدم في البلاد وبدلاً من إنجاز العمل ومتعلقاته في المكتب يأخذ الواحد منهم ملفاته وأوراقه إلى البيت ثم يجيء أصحاب المصالح وهات يا مجابرات ويا طرق ملتوية.. ويا تشجيع على الرشوة.. وحيث تتوفر السلامة ولا أحد يدري.. هكذا قلت وما زلت أقول..

وأريد أن أضيف هنا لأبنائي الشباب أن هذه المعـاملات وهـذا الأسـلوب يجـب أن ننظـر إليـه باحتقـار.. وأنـا أوجـه كلامـي هـذا للشباب والطلائـع الجديدة أن يستشعروا ما أستشـعر إزاء هـذه المعـاملات والطـرق المشـبوهة.. وهذه الأسـاليب الملتويـة الـتي يجـب أن نحاربهـا بكـل الوسـائل في الصحـف والإذاعات والتلفاز.. وبكل الطرق الممكنـة.. كمـا أنـادي بـألا يسـهل لأي موظف كبير أو صغير أن يأخذ معه الملفـات والأوراق إلى البيـت قطعـاً لهـذا الطريق..

نفسيات مريضة

أريد هنا أن أتحدث عن بعض النفسيات المريضة التي تعاني من الاغتراب النفسي.. وتريد بطريقة أو بأخرى أن تعكسها على الآخرين..

من سنوات طويلة كنت أشعر أنه يجب عليّ وعلى الخيرين في هذا البلد أن يتنبهوا إلى أن اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين له فضل كبير وله أدوار عظيمة جداً.. وفي ميادين كثيرة.. خاصة دوره المتميز في الوحدة اليمنية.. وللأمانة فإن الرجل الفذ الأديب والكاتب والشاعر والإنسان والمثل الأعلى / عمر عبدالله الجاوي.. سواء كان رئيس الاتحاد أو في الاتحاد.. هذا الإنسان الملاك الفريد هو الذي كان يناضل بإيمان وصدق من أجل تحقيق الوحدة اليمنية.. ولذلك جاء الاتحاد موحداً منذ نشأته.. فهو من هذا الجانب أحق بالرعاية والعمل من أجله..

أقول: إنني كنت أفكر باستمرار لعمل شيء ما للاتحاد وكنت أتحدث مع بعض الإخوة في الاتحاد شعوراً مني بأن هذا واجب حتمي عليّ.. ولكثرة ما كان هذا يخطر ببالي فكرت ببناء قاعة هدية لاتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين.. تكون قادرة على استيعاب المحاضرات والفعاليات.. وطرحت الفكرة على الإخوة في الاتحاد فرحبوا ترحيباً كاملاً وأيضاً كنت أستهدف من بناء هذا القاعة أن تكون رسالة موجهة للخيرين في هذا البلد..

وبدأت في بناء هذه القاعة.. وبعد تمام بنائها زارني أحد الأصدقاء.. وهذا الصديق كنت دائماً أعتز به وحالته المادية لا بأس بها إلى حد ما.. وتحدث معي قائلاً: أنت بنيت هذه المؤسسة " مؤسسة العفيف الثقافية " بجهودك الخاصة.. وفعلت.. وفعلت.. وانطلق يمتدحني ويثني على القاعة التي بنيتها لاتحاد الأدباء والكتاب.. ويبدي إعجابه بكل ذلك.. ثم غادرني.. وبعد فترة بعث إليّ برسالة طويلة يطلب مني قرضاً.. وقال لي في رسالته إنه في حاجة ماسة إلي مبلغ كذا من المال وأنني صديقه.. ولابد أن أقرضه كان المبلغ كبيراً جداً.. وهو يعرض أن يضع عندي بصيرة أرض كرهن.. بينما أنا على يقين أن ذلك كله كذب في كذب.. وبعد أن قرأت رسالته اتصلت به وطلبت منه أن نلتقي.. والتقينا.. وبدأت أشرح له أنني لا أستطيع إقراضه وإذا كنت قد بنيت قاعة لاتحاد الأدباء.. فأنا قد بنيتها من العظم.. أنا لست تاجراً ولا غنياً كما تعرف.. وقد دفعني شعوري بالواجب وإيماني بحق هذا الاتحاد أن أبني هذه القاعة باقتناع ذاتي ودون طلب من أحد.. وأفهمته بالنسبة إلى القرض الذي طلبه أنني لا أستطيع أن أقدمه له لأنني لا أمتلك هذا المال.. فما أمتلكه هو عبارة عن مبلغ محدود وفرته من أعمالي وهو موجود في البنك ومشروح في وصيتي.. وأحرص كل الحرص أن يبقى هذا المبلغ المحدود مخصصاً لصالح مؤسسة العفيف الثقافية.

المهم أن صاحبنا ذهب من عندي.. وبعد فترة اتصل بي أحد الأصدقاء يقول لي: بأن فلان (وهو صديقي الذي طلب مني القرض) قال له هل شاهدت القاعة التي بناها العفيف في الاتحاد.. فقلت له: نعم.. قال: هذا الرجل غني.. وما مؤسسة العفيف الثقافية، وقاعة اتحاد الأدباء إلا قطرة من مطرة.. الرجل غني غنى لا حدود له.. كان ذلك الصديق يخبرني مستغرباً..

فقلت له: لا تستغرب.. هل قال لك: ماذا طلب مني؟.. قال: لا.. فشرحت له القصة كاملة.. وقلت له:

" ومهما تكن عند امرئٍ من خليقة وإن خالها تخفى عن الناس تعلم "..

هذه النفوس المريضة لا تريد أن ترى بصيص نور في هذا البلد.. ولا تريد رؤية المثل الذي يقول: " لأن تضيء شمعة خير من أن تلعن الظلام "..

وأنا أريد أن أضيء شمعة تؤتي أكلها كل حين.. وتكون خيراً من القيل والقال والمهاترات التي نقرأها في الصحف والمجلات والملاعنات التي لا تعود علينا بخير.. إلا المهازل الجارية بين السلطة والمعارضة التي لا يصح فيها إلا قوله تعالى ﴿ضعف الطالب والمطلوب﴾[الحج ٧٣/٢٢].

ولو كانت المعارضة تشعر بمدى أهميتها في هذا البلد لما كانت في هذا الوضع.. لأنه في نظري أن المعارضة يجب أن تكون قدوة للمواطن.. قدوة في كل المجالات.. على المستوى الشخصي.. مستوى السلوك.. مستوى الحياة.. مستوى السكن.. السيارة.. بمعنى أننا نريد معارضين من طراز المناضل الكبير المرحوم عمر الجاوي.. هذا هو المثل الذي نريد أن يعيش المعارضون كما عاش من حيث السلوك والتعفف والنقاء وصدق الوطنية وهو نفس سلوك وصفات المناضل الكبير محمد محمود الزبيري.

لقد عشت مع الجاوي في لجنة الحوار الوطني عدة أشهر وبصفتي مقرر اللجنة، كنت أعرف الكثير وتكشف لي الكثير من أبعاد الشخصيات المشاركة في تلك اللجنة.. ممن هم في السلطة أو في المعارضة.

عمر الجاوي كان يختلف اختلافاً بيناً عن الجميع، رجل بسيط في ملبسه.. كأي رجل عادي من المواطنين.. بسيط في مأكله إلى أبعد الحدود.. جيوبه خالية ولا يمتلك شيئاً من هذه الدنيا.. إلا إيمانه القوى الذي لا يحد بالوطن والمبادئ الشريفة.. وكانت اليمن تعيش في عينيه وفي قلبه.. وفي جوارحه.. فتراه أقوى ما يكون أمام السلطة.. وكل منهم في السلطة بمختلف مستوياتهم.. كانوا يعرفون صدق الجاوي وقوة حجته ونقاء وطنيته وإيمانه بوحدة الشعب وحقوقه.. كنت أراه أقوى ما يكون أمام الأشخاص الكبار في الدولة.. وكنت أراهم يقفون أمامه خجلين وجلين.. وقد حاول الكثير منهم كما أعرف.. وكما قال لي الكثير من زملائه.. وعبر سنوات وسنوات طوال.. حاول إدخاله في هذه الزمرة أو تلك.. وأن يعطونه ما يطلب.. وما يريد.. ولكنه كان يرفض بإباء.. كان إيمانه غير المحدود بالوطن يجعله يعمل بلا كلل ولا ملل.. ولم يكن ثمة مجال عنده للمساومة بقضية الوطن.. قال لي زملاؤه الذين درسوا معه في القاهرة أو موسكو.. إنه هكذا من بداية حياته عملاق قوي وظل كذلك حتى رحل عنا.. إلى الدار الآخرة.. وسيظل حياً في ضمير الوطن والتاريخ إلى آخر الدهر..

أريد هنا أن أتحدث عن نماذج مختلفة ومتنوعة.. عن شخصيات يمنية مضيئة عاشت في فترات مختلفة من التاريخ منهم من عاش قبل ألف عام.. ومنهم من عاش قبل مئة عام.. ومنهم من عاش قبل خمسين عام على سبيل المثال..

ومقصدي من تقديم هذه النماذج هو بيان الجوانب المضيئة التي يمكن أن يجد فيها الجيل الجديد من أبنائي وبناتي.. وكذلك الأجيال القادمة القدوة.. والمثل..

لو عدنا مثلاً إلى الهمداني وعصره.. ونقارن حياتهم.. وسبل عيشهم بحياتنا وسبل عيشنا اليوم.. سنجد أن ما توفر لنا أكثر بكثير مما توفر لهم.. لدينا منجزات العصر.. من كهرباء.. ومواصلات وطرق.. وأدوات وآلات.. وكل ما يمكن أن يعين الواحد منا على العمل والإنجاز واستغلال الوقت.. ولم يكن لديهم في ذلك العصر إلا الشيء اليسير.. الأكل بفنونه المختلفة لم يكن عندهم كما عندنا اليوم.. وكذلك الملابس.. وكانوا يتنقلون على الدواب.. ولم تكن عندهم الكهرباء.. ولا الطباعة.. الكتاب يقرؤونه مخطوطاً.. ويستعملون أقلاماً بدائية في الكتابة.

ومع ذلك تجد الهمداني يخرج إلينا بكل تلك المؤلفات والتواريخ العظيمة والسير.. ولا أدري كيف استطاع ذلك الرجل أن ينجز ذلك الإنجاز العظيم وهو يكتب بالريشة.. وأغلب ظني أنه كان يكتب أكثر ما يكتب نهاراً.. لصعوبة التمعن في الكتابة ليلاً على الشمعة أو على المسرجة..

ومثل الهمداني عشرات من علماء اليمن الأفذاذ.. ابن المقري.. أو الشوكاني.. أو ابن الأمير أو غيرهم.. ممن كانت ظروف الحياة عندهم وعلى أيامهم تشبه تماماً ظروف الحياة أيام الهمداني.. ومع ذلك استطاعوا أن يغلبوا الظروف ويكتبوا كل تلك المؤلفات..

أذكر أني قرأت كتاباً لمؤلف يهودي جاء من ألمانيا أو النمسا إلى اليمن قبل مئة عام.. واصطحب معه رجلاً من يهود صنعاء وذهبا إلى المشرق اليمني.. يصف الرجل في كتابه حياة الناس في تلك الفترة حيث لم يكن يوجد من وسائل الحياة شيء يذكر ليس في الريف وحسب بل في صنعاء العاصمة..

ودعكم مما كان قبل مئة سنة.. فأنا رجل مخضرم.. وقد سمعت من مشائخي وأساتذتي ومن أثق بهم ممن هم أكبر مني سناً.. أنه في بداية دخول الإمام يحيى إلى صنعاء لم يكن يوجد شيء..

وعندما تعود إلى ما كتب العلامة المؤرخ محمد بن علي الأكوع في كتابه " صفحة من تاريخ اليمن الاجتماعي " وقصة حياتي.. أقول إننا عندما نعود إلى ذلك الكتاب.. ونقرأ سيرة حياته.. وكيف عكس حياته في تلك السيرة.. بأجزائها الثلاثة.. ولأنني أعرف هذا الرجل العظيم معرفة شخصية وثيقة لما تصورت أنه يعيش في هذا القرن ولما تصور أنه سيعيش إلى هذا العمر المديد.. لأن وصفه لحياته ولمتاعب العيش التي عاناها.. في ذلك الواقع المتخلف.. تجعلك تتصور أنه لن يعيش أكثر من ثلاثين عاماً مثلاً.. كان يسافر من صنعاء إلى ذمار مشياً.. وعنده حذاء مقطعة.. ويشرب من المياه الراكدة " المواجل " ويأكل أي شيء.. يصل إلى ذمار.. فيمكث فيها أياماً ثم يتوجه بنفس الطريقة إلى إب.. في إب يمكث أياماً.. ويعود بعدها إلى صنعاء بنفس الطريقة.. وفي كتابه هذا يصف لنا الأكوع كيف كان يعيش في صنعاء.. ويمضي عليه اليوم واليومان ولا يعرف الأكل، ويورد في هذا السياق قصصاً في منتهى الغرابة.. يكاد الإنسان لا يصدقها.. ولولا أنني في بداية حياتي عشت جزءاً من هذه المرحلة ما صدقت.. وفي تلك الفترة من التاريخ عندما أدخل الإمام يحيى الكهرباء إلى بيته.. كان الناس يذهبون للفرجة على قصر الإمام وكيف أنه مسرج بالكهرباء.. فهم لا يعرفونها.. ولا يعرفون كنهها..

وأنا دائماً عندما أقرأ تاج العروس من جواهر القاموس لمؤلفه العلامة الكبير المرتضى الحسيني الزبيدي.. أتعجب من تلك المجلدات الضخمة وذلك العلم الغزير وذلك العطاء الوافر..

من أين لهم بكل ذلك.. وفي تلك الظروف؟

ولكنها الهمم العالية.. والطموح الكبير والشعور بالواجب.. والرسالة العلمية والإنسانية.

الحقيقة أنني أتذكر أولئك العلماء الأجلاء وأقرأ لهم وأعود لما كتبه المؤرخ الكبير محمد بن علي الأكوع وما يكتبه.. وما قد طبع للأخ العلامة إسماعيل بن علي الأكوع.. وآخر كتبه الآن " هجر العلم ومعاقله في اليمن " فلا أملك إلا أن أقدر هؤلاء وأمثالهم. وأنا والقاضي إسماعيل الأكوع زملاء وهو لي صديق حميم.. وأشعر بسعادة وأنا أقرأ له أو أجلس معه، وكثيراً ما أزوره إلى بيته، وهو يرتاح كثيراً لرؤيتي عنده أقرأ وأسعد بمجالسته.. وله في بيته مكان خصصه للكتابة.. يقتعد الأرض ومن حوله الكتب.. وبجانبه كل ما يحتاج إليه من أدوات الكتابة والمراجع.. وفي ذلك المكان أنجز كل تلك المؤلفات.. ومن الذين أورد ذكرهم هنا كقدوة يجب أن تقتدي بها الأجيال وتحتذيها أساتذتنا وشيوخنا حين كنا ندرس في صنعاء منتصف الأربعينيات.. فقد كانوا من خيرة رجالات اليمن، وقد أعطونا خلاصة ما عندهم من علم وفهم وإدراك وسلوك وأخلاقيات.. ولا تزال في ذاكرتي صور أولئك العظماء الذين كانوا يحوطوننا بالرعاية والاهتمام ويعيشون معنا في بساطة وتواضع جم..

وأردت بكل ما سلف أن أذكر أبنائي وأنا في آخر حياتي.. ونحن نلج القرن الحادي والعشرين.. قرن المواصلات وعصر التكنولوجيا وثورة المعلومات.. هذا العصر الذي يأخذ طابع العولمة في كل شيء ولن تمضى عشرة أعوام أخرى حتى تتغير الدنيا تماماً..

الذين يعيشون اليوم لن يخطر في بالهم كيف كان الناس بالأمس يعيشون.. وأنا أفكر الآن في أنه لو عاد والدي رحمه الله إلى الحياة وعاد جدي.. ورأيا ما نحن عليه فلن يصدقا شيئاً.. بأي حال من الأحوال.. ولو أخذت أيًّا منهما إلى المطار وركب طائرة الجامبو ودخل فيها أكثر من خمس مئة شخص.. وطارت بنا إلى لندن في ثماني ساعات فإنه لن يصدق ذلك وهو الذي اعتاد قطع المسافة من بيت الفقيه إلى الحديدة في أكثر من ذلك.

أنا نفسي لو هيأ لي أن أشهد الحياة بعد عشرين عاماً.. فسوف أسافر إلى لندن خلال ثماني دقائق بدلاً من ثمان ساعات.. العلم يتعدى الخيال.. والعلم يجري إلى الأمام.. والذين لا يواكبون سوف تدوسهم الأقدام.. العولمة تفرض نفسها فرضاً شئنا أم أبينا.. ووجودنا على خريطة الكون.. يحتاج أن ننتبه ونخطط.. ونتقولب.. مع المتغيرات بدلاً من التقوقع ضدها.. يجب أن ننصهر في العالم.. ونعتبر عن يقين وإيمان بأننا جزء منه نتأثر به ونؤثر فيه.. وأنا لا أتحدث هنا عنا كيمنيين فحسب بل كعرب أيضاً.. إن إسرائيل تتحصن بالعلم.. وتساير مجريات التغير في النظام العالمي.. وتتعايش مع كل ذلك وتتأثر به وتؤثر فيه.. وبسبب ذلك فهي تسير في قلب قافلة التقدم.. فيما نعيش نحن على الهامش مواصلين تشدقنا بأوهام أبي زيد الهلالي.. وعنترة بن شداد..

إننا في حاجة ماسة إلى وقفة مع النفس نكسر فيها الحواجز والموانع التي لا تسمح بالحركة.. ثم ننطلق بكل قوة إلى المستقبل.. التكنولوجيا المتقدمة.. والفضاء والمعلوماتية.. وهذا كله لا ينفي أن نحافظ على جوانب الخير في حياتنا..

إننا نقع في أخطاء جسيمة.. لقد عشت سفيراً لبلادي عدة سنوات في لبنان، وأعرف لبنان جيداً.. وكم هالني أن يحتدم ذلك القتال الشرس بين الفصائل اللبنانية وأكثر ما أغاظني القتال حول إقليم التفاح.. ذلك القتال الذي استمر ثلاث سنوات.. إقليم التفاح في جنوب لبنان تحت أنظار الإسرائيليين.. وفصيلين لبنانيين هما في الأصل حزب واحد.. حزب الله.. وحركة أمل يتقاتلان على إقليم التفاح.. وهو عبارة عن ثلاث تباب لا غير أعرفها معرفة جيدة.. هكذا تقاتل الإخوة بأشد الأسلحة وأكثرها فتكاً.. وبخبث وحقد عجيب.. فيما الأرض أرضهم.. والعدو الحقيقي أمامهم.. لقد أضطر الصليب الأحمر والهلال الأحمر أن يتدخلا لأن الكلاب بدأت تأكل الجثث في الشوارع والإخوة مصممون،من يفوز بإقليم التفاح.!!؟

إسرائيل أرض محدودة وبشر محدودون.. ومع ذلك تصول وتجول وتعربد.. ونحن قارات واسعة من بلاد العرب في آسيا وإفريقيا.. وأكثر من مئتين وخمسين مليوناً من البشر.. وبدلاً من أن يوحدنا التحدي الإسرائيلي تبعثرنا وتمزقنا.. ومنذ عام ١٩٤٨م ونحن نتلقى الهزيمة تلو الهزيمة ثم أخيراً انقلبنا نتسابق في الجري وراء إسرائيل فما معنى كل ما فعلناه من قبل.. ولو كنا سلمنا من البداية كان أحسن وأفضل؟!.. والغريب المضحك تسابق الدول البعيدة عن المواجهة من أجل كسب ود إسرائيل..

أعود فأكرر نحن لا نعيش داخل العصر.. هذه هي مهزلتنا ومأساتنا.. نحن نعيش في الماضي. نتحدث عن أجدادنا وتاريخنا ونخدر أنفسنا بما لا معنى له الآن.. كنت قبل فترة أناقش مجموعة من الشبان.. وتطرق الحديث إلى حضارة الغرب وإنجازاتها.. فإذا بعضهم يقول هؤلاء النصارى الكفرة.. الـ.. الـ.. وكلام كثير شبيه بكلام خطباء المساجد الذين يدعون كل جمعة.. على الغرب والنصارى.. فينعكس الدعاء علينا نحن.. لأنهم يعملون ونحن لا نعمل.. ثم إنه أدبياً وأخلاقياً لا يجوز بأي حال من الأحوال أن نشتمهم ونلعنهم.. وكل ما بين أيدينا من إنجازاتهم الكتاب.. الكهرباء.. الأكل.. الأدوية.. شخصٌ يعالجك ويضيء لك.. ويوفر لك المواصلات.. ويعبد لك الطرق.. ويعطيك كل شيء ثم تلعنه.. وتشتمه لأنه كافر ونصراني.. وهذا الكافر النصراني لو منع عنك أشياءه وصناعاته لرجعت عشرة قرون إلى الوراء..

لقد كان يتوجب علينا على الأقل أن ننظر إلى تجربة دول جنوب شرق آسيا.. التي لا يزيد عمر نهضتها عن أربعين أو ثلاثين عاماً.. (كوريا، ماليزيا، سنغافورة).. ونرى ماذا صنعوا.. دعك من اليابان أو غيرها.. مثل ألمانيا التي دمرت كما دمرت اليابان في الحرب العالمية الثانية.. ثم نهضت من رمادها لتكون في مقدمة العالم..

ثم إني أسأل هذا السؤال.. أين الخلل؟.. هل نختلف كبشر عن الأوربيين أو الشرق آسيويين؟.. لماذا عندهم كل ذلك الجد والاهتمام.. وعندنا كل هذا الاستخفاف والاستهتار؟

عندما تذهب إلى اليابان أو أمريكا.. أو أوروبا تجد شعوباً تعمل ليلاً ونهاراً.. وعندها من الإمكانيات ما يكفيها لمئات السنين.. ومع ذلك فهي

تعمل للأجيال القادمة، شعوب حية بمعنى الكلمة.. والذين يعرفون سنغافورة يعرفون جيداً أن مساحتها لا تزيد عن ٣٠٠ كيلومتر مربع، وسكانها مليونان وبعض المليون.. ومع ذلك فهي أسطورة في عالم اليوم وعمرها النهضوي لا يزيد عن أربعين عاماً.. ودخلها بالمليارات.. وأعلى دخل للفرد في العالم هو في سنغافورة.. أشياء يجب أن نأخذ منها العبرة.. ونعلم أن الله قد خلق لنا عيوناً من أمام وليس من وراء.. ومعنى ذلك أن ننظر إلى المستقبل..

الوحدة

ليس في حياتي يوم شعرت فيه بالسعادة أكثر من يوم ٢٢ مايو ١٩٩٠م.. فذلك اليوم كان فرح الأفراح وسعادة السعادات.. وكنت قبله بسنوات أتمنى ألا أرحل عن هذه الدنيا إلا وقد رأيت مثل هذا اليوم.. وإنني لأعجز حقاً عن الإتيان بتعبير مناسب يفي هذا اليوم ما يستحق من مقامٍ في نفسي.. لأنني عشت قبله مراحل كثيرة، وشاهدت وعشت أيضاً المآسي بين الشطرين.. ابتداءً من عام ١٩٧٢م، وانتهاءً بـ١٩٧٩م وما بينهما ثم ما لحق بهما.. وكيف كان حال الأسر اليمنية.. وهي مفرقة جزء منها في الشمال والآخر في الجنوب.. الأب في صنعاء والأم والأبناء في عدن أو الأم في عدن.. والابن في الحديدة وهكذا.. مأساة ما بعدها مأساة.. شعب واحد.. تمزق إلى شعبين وأقولها للأمانة أنه كان من المفروض بل الواجب أنه بمجرد خروج آخر جندي بريطاني من عدن وبالتحديد عام ١٩٦٧م، أن تتم الوحدة بين الشطرين.. الخطأ كان هنا وهناك الإخوة في عدن كانوا يريدون الحكم.. ونحن ارتكبنا الخطيئة بإرسال الاعتراف إليهم من صنعاء.. وأياً كانت الأعذار والمبررات فإننا لا يجوز بأي حال من الأحوال إلا أن ندين ما حدث.. إعلان جمهورية اليمن الشعبية كان عملاً غير أخلاقي.. المهم أن اليمن شمالاً وجنوباً مرّ بمراحل مفزعة ومأساوية وتصادمات وإفرازات جاهلية.. وكنت شاهداً على كل تلك الأدوار التي مرّت باليمن.. وجاء

أخيراً يوم ٢٢ مايو.. كنت وقتها في المجلس الاستشاري.. الـذي توحـد مـع مجلس الشعب الأعلى في الجنوب.. المجلس الاستشاري وهذا المجلس كونا مجلسـاً واحداً أفرز انتخاب مجلس الرئاسة يوم ٢٢ مايو وكنت شاهداً علـى هـذا اليـوم بصفتي عضواً فيه، وكانت سعادتي وفرحتي كأي مواطن يمني، ولكـن مـا الـذي حصل بعد هذا اليوم العظيم؟

خلال السنتين التاليتين ليوم الوحدة بدأت الإفرازات والسلبية والممارسات الغير مسؤولة.. تظهر بين وقت وآخر وكانت تغطيتها تتم بطرق بهلوانيـة.. ولكن بعد مرور السنتين ازدادت الممارسات الخاطئة.. وصـار الوضـع يتوتـر أكثر فأكثر والاحتكاكات تقدح المأساة قدحاً.

وكان الشعب اليمني في أشد حـالات الخـوف ممـا حـدث ويحـدث.. ولكنـه كان يتوجس أكثر من الآتي.. كان يخاف من الحصيلة.. ويخاف على الوحدة.. من هذا التلاعب.. والمصادمات التي جعلتنا نعيـش علـى أعصابنـا.. ونشـعر أننـا نسير على طريق الهاوية..

وفي بداية سنة ١٩٩٤م كان قد بدا واضحاً للجميع أن المتلاعبـين بـإرادة الشعب قد أصبحوا عراة أمام عيونه وهو ما شعر بـه القـادة أيضـاً.. وهكـذا احتكموا إلى خيار تشكيل لجنة تختار مـن قبـل الجميـع.. لتفصـل في الأمـر.. وبدأ كـل فريـق يرشـح أشـخاصاً مـن هنـا وهنـاك.. حتـى اكتمـل العـدد.. واستكملت اللجنة أعضاءها وسميت لجنة " حوار القوى الوطنية " وكان مـن ضمـن مـا تم الاتفـاق عليـه في أول لقـاء في مـنزل الأخ رئيـس الجمهوريـة وحضـور نائبـه علـي سـالم البيـض، وكـل أعضـاء مجلس الرئاسـة ومجلـس الوزراء.. وحضور اللجنة التي تم الاتفاق عليها من كل القـوى الوطنيـة، مـن

المؤتمر ومن الحزب الاشتراكي ومن الإصلاح والأحزاب الأخرى.. وقد تشكلت اللجنة من الإخوة: أحمد جابر عفيف، إسماعيل بن أحمد الوزير، أنيس حسن يحيى، أحمد قرحش، أحمد كلز، جار الله عمر، حيدر أبو بكر العطاس، حسين شرف الكبسي، حمود هاشم الذارحي، سالم المعمري، صادق الضباب، صالح نصران، صلاح بن أحمد فليتة، عبدالعزيز عبدالغني، عبدالوهاب الآنسي، عبدالقادر القيري، عبدالقدوس المضواحي، عبدالكريم الإرياني، عبدالله أحمد غانم، عبدالله صالح البار، عبدالله محسن الأكوع، عبدالواحد هواش، عمر الجاوي، فضل محسن عبدالله، محسن محمد أبو بكر بن فريد، محمد راوح سعيد، محمد عبدالله الفسيل، محمد عبدالملك المتوكل، يحيى محمد الشامي. وهم من سيقرأ القارئ أسماءهم في الوثيقة.. في الجلسة الأولى التي تمت كما أسلفت في دار الرئاسة، حيث رأى الجميع أنه لابد من اختيار مقرر للّجنة فتم اختياري مقرراً لها.. وقد شعرت حينها بمدى المسؤولية التي نتحملها في ذلك الظرف العصيب الذي بدا فيه الوطن كسفينة تتقاذفها الأمواج.

ومن اللجنة شكلت لجنة مصغرة لوضع اللائحة الداخلية، وبعد إنجاز عملها عرضت اللائحة على اللجنة مكتملة، وتم تعديلها وإقرارها.. ومن ثم بدأت اللجنة تزاول أعمالها في صنعاء وعدن، ودخلت اللجنة في مشاكل كثيرة وإثارات ومماحكات مزعجة إلى أبعد الحدود، ولكن البعض داخل اللجنة للحقيقة كان يحاول بقدر الإمكان.. وبحماس كبير أن نتجاوز بعض هذه الإشكاليات وكان الجميع يتجاوبون مع ذلك من أجل أن نتوصل إلى وثيقة العهد والاتفاق..

وابتداءً من ١ جمادى الآخرة الموافق ١٩٩٣/١١/٢٢م إلى ٧ شعبان ١٤١٤هـ، الموافق ١٩٩٤/١/١٨م، عقدت لجنة حوار القوى السياسية أعمالها المتواصلة الدؤوبة التي توجت أخيراً بموافقة الجميع على الوثيقة، التي قرأتها بنفسي في حشد كبير في عدن، وأذيعت من القناة الثانية في عدن، وكانت تذاع كل يوم تقريباً.

ومن عدن اتجهنا إلى تعز، وكان الأخ رئيس الجمهورية في تعز، وهناك أعطيناه نسخة من الوثيقة، ثم توجهنا بمعيته إلى صنعاء، وبدأ الإعداد لإيجاد مكان يتم الاتفاق عليه لتوقيع الوثيقة في اليمن، وبحثنا بكل الوسائل دون جدوى وفي الأخير تم الاتفاق على عمّان – المملكة الأردنية الهاشمية، وكان الملك حسين يتابع الموضوع ويتحمس له ويشجعه، تم الاتفاق إذن على عمّان.. وتوجهت اللجنة إلى هناك ببرنامج متفق عليه.. بحيث يكون الأخ /علي سالم البيض موجوداً في عمّان يوم ١٨ فبراير.. ويوم ١٩ فبراير يوم وصول الأخ الرئيس علي عبدالله صالح إلى هناك، ويوم ٢٠ يتم التوقيع على وثيقة العهد والاتفاق في حفل يعده جلالة الملك حسين..

يوم ١٨ فبراير ١٩٩٤ قمت بعرض الوثيقة على جلالة الملك الحسين، وشرحت لجلالته شرحاً وافياً وأعطيته فكرة كاملة عن المشكلة طالباً منه أن يتدخل بمكانته من أجل أن يتناسى الجميع كل المشاكل السابقة ومن أجل أن يفتحوا صفحة جديدة.. وقد وعد أن يأخذ الجميع معه إلى صنعاء.. ويتم أداء اليمين أمام مجلس النواب من قبل نائب رئيس مجلس الرئاسة.. ثم التوجه مع الجميع إلى عدن بحيث يتم خلال ذلك ذوبان الجليد.. وزوال الوحشة من النفوس..

ولم يحضر الأخ / علي سالم البيض إلى عمّان كما كان مقرراً ومتفقاً عليه يوم ١٩٩٤/٢/١٨م، وحضر الأخ الرئيس يوم ١٩٩٤/٢/١٩م.. جاء من أسمرة، ويوم ٢٠ الذي هو يوم التوقيع، جاء الأخ / علي سالم البيض قبيل الحفل بساعتين، وكان هذا مستغرباً جداً، كان تصرفه هذا يشير إلى شيء ما.. لأنه توجه أولاً إلى القاهرة ثم إلى دمشق، ثم جاء إلى عمان عن طريق دمشق.

كان الحفل قد أعد إعداداً جيداً ومكتملاً، وقد حضر رجالات الدولة الأردنية، وأمين عام الجامعة العربية، ووزير خارجية الأردن وشخصيات اعتبارية أردنية، وكانت محطات التلفزيون والقنوات الفضائية تبث التغطية حية إلى أرجاء العالم..

برنامج الحفل كان عبارة.. عن خطاب يلقيه جلالة الملك حسين.. هكذا كان الاتفاق.. ثم ألقي أنا كلمة مكتوبة نيابة عن " لجنة القوى السياسية " ثم أقرأ أسماء لجنة الحوار من الأخ الرئيس إلى جميع الأعضاء.

ألقى الملك خطابه الطويل المميز.. ثم ألقيت كلمتي.. الأخ رئيس الجمهورية طلب أن يلقي كلمة يرد فيها بالشكر على جلالة الملك حسين.. وفعلاً بعد أن ألقيت كلمتي.. قام الأخ الرئيس وألقى كلمة تمثلت بشكر وتقدير الملك، وكانت كلمة الأخ الرئيس جيدة ومقبولة (مرفق بآخر الكتاب)، ثم قام الأخ/علي سالم البيض نائب رئيس مجلس الرئاسة، وألقى خطاباً حماسياً.. وكان مستهجناً من الجميع.. لأنه قال عبارات مفزعة.. لا تثير إلا الاشمئزاز.. وكلها كانت على العكس مما تم الاتفاق عليه، وأصاب

الناس الوجوم وهم يتابعون كلمتهُ الحادة.. ويرون صورته الغاضبة.. وكان ذلك شيئاً مزعجاً جداً.. (مرفق بآخر الكتاب).

ثم قام بعده الشيخ عبدالله بن حسين الأحمر وألقى كلمة حيا فيها الملك حسين.. ثم بدأت أقرأ أسماء أعضاء لجنة الحوار وأمناء ورؤساء الأحزاب فرداً فرداً فيما هم يذهبون إلى الطاولة الموضوعة فوقها الوثيقة، حيث يضع كل منهم توقيعه أمام اسمه.

بعد ذلك تقدم الأخ رئيس الجمهورية فوضع توقيعه ثم تلاه الأخ نائب رئيس بمجلس الرئاسة ووقع.. بعدهما قام الشيخ عبدالله بن حسين الأحمر.. وكنت أقف عند الطاولة.. إلى جانب كل من يأتي فيوقع.. وقبل أن يوقع الشيخ عبدا لله بدأ بكتابة بعض الكلمات..ورجوته ألا لزوم لها.. فقال: لا. وكتب الكلمات التالية " على شرط نهايت الأزمة وعودت المسؤولين " ثم وقع.

انتهى الحفل وذهبنا نتناول العشاء يوم عشرة رمضان مع الملك حسين وفي ضيافته، وبعد العشاء أخذ الملك الرئيس ونائبه وعدداً من الشخصيات اليمنية إلى القصر الآخر.. وبدأت المماحكات وتبادل الحاضرون كلمات خالية من العقل والمنطق بل إنها لا تمت للعقل بصلة.. وأمام الملك حسين.. وكان أمراً مؤلماً إلى أبعد الحدود.. وقبيل الفجر أغلق الموضوع دون التوصل إلى شيء.. وفي الصباح الباكر توجه الأخ علي سالم البيض إلى المملكة العربية السعودية .. وشاهدناه في التلفزيون.. وقد ظهر مبسوطاً ومنشرحاً يضحك ضحكات عالية فيما هو يتبادل القبلات مع الملك فهد والأمراء..

ومن هناك توزعوا فذهب بعضهم إلى الكويت ولا أدري ما حقيقة الدور الكويتي هنا.. ولكن الحرب المجنونة بدأت مسعورة تطحن البلاد شمالاً

وجنوباً وشرقاً وغرباً.. وما حدث قد كتب عنه الكثير والكثير ولا أستطيع إضافة شيء لكنني باختصار أستطيع أن أقول: إن كل فريق اشترك في الخطأ من موقعه.. وإن الحرب كانت مأساوية.. وأصابت الناس بالفجيعة.. والرعب.. لأن الخراب والدمار والقتل والنزيف كل هذا يلحق بالمواطنين الأبرياء أما المسؤولون عن إشعال الحرب من الفريقين.. فهم يتمترسون خلف قواتهم وآلاتهم الحربية التي تحميهم.. إنهم محصنون في قصورهم الباذخة.. والمكشوف هو الشعب.. هو المواطن البسيط الذي خدعوه بالشعارات.. والمزايدات.. وأهدروا موارده في حرب بين الأخ وأخيه.

كنت أخاف أن تستمر الحرب لسنوات وسنوات.. وأن تحول اليمن إلى صومال أخرى.. ولكن إعلان الانفصال من قبل علي سالم البيض ومن معه.. والإعلان عن تشكيل دولة في عدن.. جعل الشعب كله يلتف حول الوحدة ويثبت بكل جدارة ومسؤولية أنه ليس على استعداد لأن يفرط في وحدته التي طالما حلم بها.. وكافح من أجلها وتحمل في سبيلها الآلام.

وقد أثبت الذين أعلنوا الانفصال أن الأزمة التي سبقت الحرب إنما كانت تمهيداً مخزياً لذلك القرار الأحمق، الذي أراد التلاعب بإرادة الشعب.. وتمزيق لحمته ولا بد أن يفهم الجميع أن توحيد الشعب و لم شمله ليس لعبة.. نعلنها اليوم ما دامت في صالحنا ونفكها غداً.. ما دامت ليست في صالحنا.. إنها مسؤولية أمام الناس والتاريخ.. ومن أراد التلاعب بها فليس له إلا الخزي والعار.

ولا بد أن أشير هنا إلى أنها مأساة كل الحكام العرب فيما يفعلون.. من أجل أن يحكموا.. فالحاكم العربي لا يمتلك الرؤية بأي حال من الأحوال.. الحاكم العربي همه الوحيد أن يحكم وأن تأتي شخصيات من هنا وهناك.. بعضهم يضرب الدفوف والآخر ينفخ الأبواق.. وآخرون يهتفون وينشدون

القصائد.. وهات يازفة.. مع أنهم يعرفون أن النـاس تعـرف مـا هـو حـاصل وتعرف كل الأخطاء..

وهكذا يسيرون الأمور مـن غـير عـودة إلى العقـل ولا إلى التفكـير أو محاسـبة النفس والضمير.

القات

لا أعتقد بأن هناك كارثة عجز اليمنيـون عـن مواجهتهـا وتطويـق آثارهـا كما عجزوا عن مواجهـة شـجرة القـات.. هـذه الشـجرة الـتي تحصـد حيـاة اليمنيين حصداً.. وتجعلهم لا حول لهم ولا قوة حيالهـا.. لم يتعـاط اليمنيـون القات فيما مضى بالطريقة التي يتناولونه بها اليوم.. ففي الماضي كان القـات حكراً على فئات اجتماعية بعينها.. يخزن المخزن عدداً محدوداً مـن الأغصـان ولفترة زمنية قصيرة.. وكان عيباً كبيراً أن تخزن المرأة.. ومحرماً على الأطفـال التخزين.. وبدلاً من تقليص عدد المخزنين حصل تبـدل عكسـي في منظومـة عادات تناول القات.. فأكل القـات صـار بـدلاً عـن التخزيـن.. والسـاعات الطويلة بدلاً عن الساعات المحدودة.. وأتذكر أنـي شـاهدت أحـد أصدقـائي وهو ممـن لا يتنـاولون القـات ومعـه حزمـة كبـيرة مـن القـات فهـالني الأمـر واستغربت كثيراً فسألته منذ متى يتناول القات؟.. فنفى تعاطيه القـات.. أمـا بخصوص حزمة القات التي معه فهي للعائلـة والأولاد.. أمـر مفـزع ومرعـب الحالة التي وصلنا إليهـا.. فكـل شـيء مسـخر لصالحهـا.. وأفضـل مكـان في البيـت يسـتخدم للمقيـل.. وأفضـل الفـرش والوسـائل تسـتخدم في مجـالس القات.. وتتحول دورة حياة اليمنيين إلى دورة كاملـة مـن الجـري والمتابعـة للحصول على القات.. في الوقت الذي تضـاعفت فيـه الأخطـار الناتجـة عـن تعاطيه.. حيث أشارت بعض الدراسات إلى أن تناوله بكميات كبيرة يـؤدي

بالإنسان إلى أن يسلك سلوكاً جنونياً.. كما أنه يسبب أمراضاً عديدة وخطيرة.. لم يكن أحد يتخيل أن ٥٥٪ من إجمالي المياه المستخرجة لمختلف الأغراض تذهب لري القات بل إن هناك (٧،٠٠٠) بئر في حوض صنعاء فقط لري القات.. وإن ذلك يؤدي إلى تناقص خطير في مخزون المياه الجوفية بمعدل من ٣ إلى ٦ أمتار.. وبدلاً من العمل للحد من زراعته توسعت زراعة القات بشكل خطير.. حيث وصلت إلى ١٢٦،٠٠٠ هكتار.. وصار يستحوذ على ٧٠٪ من مساحة المزروعات المستديمة.. وهي أكثر الأراضي خصوبة في الجمهورية.. وتتزايد زراعته بنسبة تصل إلى ٧,٨٪ سنوياً.. بينما لا تتجاوز الفاكهة ٣,١٪.. والخضار ٧,١٪.. وبمقارنة بسيطة بين القات وغيره من المزروعات فإن المساحة المزروعة قاتاً تعادل المساحة المزروعة قمحاً.. وثمانية أضعاف المساحة المزروعة قطناً.. ويزيد عن إجمالي المساحة المزروعة بقوليات بأكثر من النصف.. ويزيد بنصف المقدار عن إجمالي المساحة المزروعة بالفاكهة.. كما أنه يشكل خمسة أضعاف المساحة المزروعة بالعنب والتمور.. وعشرة أضعاف المساحة المزروعة بالموز.. وبخمسة وخمسين مرة عن إجمالي المساحة المزروعة بالمانجو.. وبمقادير إجمالية يشكل القات ٣٣٪ من الناتج الزراعي الإجمالي.. ويهدر اليمنيين ما يقارب من عشرين مليون ساعة يومياً في جلسات القات فقط.. ويحضرني في هذا الصدد رأي للدكتور / محمد سعيد العطار في كتابه المعنون " التنمية المتأخرة في اليمن " والمنشور في بداية الستينات.. بأن إهدار الوقت بهذه الصورة يشكل عائقاً خطيراً في أي عملية تنموية اقتصادية.. وهذا فقط الوقت المهدر في جلسات القات.. وهناك أوقات أخرى طويلة مرتبطة به.. مثل أعراض ما بعد القات من قلق وتوتر وأرق وذهول وشرود.. والتي تجعل الإنسان عاجزاً

عـن الأداء السـليم.. وهنـاك الارتبـاط بالقـات مـن بحـث وتفكـير في نوعيـة واختيار شلة المقيل.. وهنـاك وقـت مهـدر في الاعتنـاء بـه وقطفـه وتسـويقه ونقله.. وهناك وقت وجهد مبذول في علاج الأمراض التي يسببها..

إن ما يفصلنا عن العالم صار شاسعاً.. وبونـاً كبـيراً.. ولكـم هـي مفارقـة عجيبة التي نعيشها.. حيث أصبحنا نتأخر عن العـالم بمئـات السـنين.. وبـدلاً من استغلال كل دقيقة في أعمال منتجة.. نهـدر ملايـين السـاعات يوميـاً في دورة عبثية لا معنى حقيقي لهـا.. وبنظـرة سـريعة تزيـد الألم والحسـرة علـى الأوضاع التي وصلنا إليها كشـعب.. فنحـن نهـدر يوميـاً مـا يقـارب المليـار ريال.. في تنـاول القـات.. نصـرف مبـالغ خياليـة في احتياجـات القـات غـير المباشرة.. وفي الأضرار التي يسببها.. والـتي تحتـاج إلى عـلاج لهـا في المستقبل.. فكم سنحتاج لمعالجة مشكلة المياه إذا ما أردنا تزويد العاصمـة بالميـاه المحـلاة مـن البحر مثلاً.. أو مد أنابيب من مناطق بعيدة.. بمعنى آخـر.. كـم هـي التكـاليف التي سنحتاج إليها مستقبلاً عند نضوب المياه وفي مقدمـة ذلـك حـوض صنعـاء لإرواء ملايين البشر..

في ١٩٩٧/١٠/٢٧م جرى تحديد بعض الأرقام التقريبية.. والتي هي أدنى مما هو حاصل فعلاً لبعض الجوانب الاقتصادية المرتبطة بالقـات وعلـى النحـو التالي:

بفرض أن تعداد السكان حالياً = ١٧,٠٠٠,٠٠٠ نسمة

وأن تعداد الرجال = ٨,٥٠٠,٠٠٠ رجالاً، والنساء ٨,٥٠٠,٠٠٠ امرأة

وأن النساء اللواتي فوق ١٦ عاماً = ٤,٢٠٠,٠٠٠ امرأة

وأن الرجال الذين فوق ١٦ عاماً = ٤,٢٠٠,٠٠٠ رجلاً

اللواتي يتعاطين القات ١٥٪ من النساء = ٦٣٠,٠٠٠ امرأة

الذين يتعاطون القات ٦٠٪ من الرجال = ٢,٥٢٠,٠٠٠ رجل

الذين يتعاطون القات من الجنسين=٦٣٠,٠٠٠ + ٢,٥٢٠,٠٠٠ = ٣,١٥٠,٠٠٠ فرد

بفرض أن متوسط قيمة استهلاك الفرد = ٣٠٠ ريال

قيمة الاستهلاك في اليوم = ٣٠٠ × ٣,١٥٠,٠٠٠ =٦٤٥,٠٠٠,٠٠٠ ريال

قيمة الاستهلاك في الشهر = ٣٠ × ٦٤٥,٠٠٠,٠٠٠ = ٢٨,٣٥٠,٠٠٠,٠٠٠ ريال

قيمة الاستهلاك في السنة = ١٢ × ٢٨,٣٥٠,٠٠٠,٠٠٠ = ٣٤٠,٢٠٠,٠٠٠,٠٠٠ ريال

المتمعن في الأرقام أعلاه يكتشف بسهولة كم هو الوضع خطير ومحزن.. أن حاضرنا مهدد وبأيدينا نهدد ونهدر مستقبل أبنائنا.. عبر تدميرنا للبيئة بالأكياس والعبوات البلاستيكية والمبيدات السامة والتي لا تكون صالحة أحياناً كثيرة.. كم أحس بالحزن عندما أشاهد أبناء مجتمعي يسيرون في الشوارع وفي أيديهم أكياس القات.. وفي جيوبهم عبوات المياه.. فأرى الواحد منهم ويده مغلولة بين الكيس وفمه وجيبه.. وأرى البعض يتحدث مع نفسه.. والبعض الآخر يسير شارداً مذهولاً والبعض يتلفت بطريقة غير طبيعية.. والجميع يرمي المخلفات.. ويبصق على الأرض وكأنها زبالة.. وبفضل كل هؤلاء صرنا شعباً مداناً أمام العالم.. فحيازة القات تعني في

أحيان كثيرة التحريم والسجن.. وإنني أتعجب عندما أشاهد دكاترة ومثقفين كبار قضوا سنين طويلة في الخارج.. البعض منهم درس في أعرق جامعات العالم.. وعاصر الحضارة الغربية ومعطياتها في أوسع صورة.. وبمجرد وصوله إلى بلده ينسى كل ذلك.. ويتجه إلى سوق القات مباشرة.. وإن كان هناك مبرر وعذر لمن تجاوز الستين عاماً.. فلا أعتقد أن هناك مبرراً وعذراً لهؤلاء المثقفين الشباب الذين ينبغي أن يكونوا الطليعة التي تحمل اليمن إلى القرن الحادي والعشرين.. وعند سؤال البعض عن سبب إصرارهم على تناول القات يأتي عذر الاجتماع بالناس.. ولعمري أن هذا أقبح من ذنب.. فهل من لا يتناولون القات لا يستطيعون الاجتماع بالناس.. وهل الناس في العالم يحتاجون دائماً لشيء ما كالقات مثلاً ليجمعهم.. إنها أعذار ومبررات تعمق المشكلة.. وتدفع بها في اتجاه يهدد حياتنا ومستقبلنا.. ومستقبل أجيالنا..

وأشعر بخوف وقلق عميقين كلما قرأت ما أورده الدكتور / عبدالسلام الجوفي في الندوة التي أقامتها مؤسسة العفيف الثقافية تحت عنوان " القات الظاهرة - المشكلة والآثار ".. والتي يقول فيها: " أما الأبحاث الطبية والصيدلانية.. فقد أثبتت بما لا يدع مجالاً للشك في تواجد أعراض تسمى أعراض القات هي:

- زيادة معدل ضغط الدم.
- زيادة معدل النبض.
- زيادة في نشاط الجهاز العصبي المركزي.
- ظهور أنشطة كهربائية شاذة للمخ.

- يؤدي إلى إتلاف دائم لخلايا المخ.
- يؤدي إلى تقليل قدرة الخلايا على التجديد.
- يؤدي إلى سرعة قذف الحيوانات المنوية.
- يؤدي إلى إحداث قلق واضطرابات نفسية.
- يؤدي إلى الشعور بالشبع.
- يؤثر في الجنين ونموه.
- يؤثر في المرضع. "

إن هذه الأعراض التي صارت تعرف بأعراض القات هي التي من الممكن أن تقدم تفسيراً منطقياً ومعقولاً لشكل اليمنيين.. أناس صُفر جاحظوا الأعين نحيلو الأجساد.. نحت القات بإزميله عليهم علامات لا تمحى ولا تذبل.. أن البعض ليكاد يختفي.. ولو لم يعد إلا صوته حاضراً دلالة على وجوده المادي.. ولا أدري كيف ستكون سلالات أجيالنا مستقبلاً.. ماذا سنورثهم من جينات وعلامات وراثية.. سؤال غريب يدخلني في أحيان كثيرة في متاهات فلسفية عن معنى الوجود لشخص يمعن في تعذيب نفسه.. لديه الاستعداد الكامل لامتهان نفسه حتى الحضيض من أجل حزمة قات يلوكها لساعات.. ويعتصر رحيقها وينتهي بها المقام في متفل حقير.. وكيف يقضي تلك الساعات في مكان محكم الإغلاق متشبع بروائح الدخان.. وكيف نذهب أفواجاً وزرافات إلى أسواق القات.. كأنه يوم الحشر.. ونعطي لهذا الموعد قدسية ما بعدها قدسية.. وكيف يصبح القات أهم من الزوجة والأبناء والأسرة والمقربين.. إنها دراما عبثية ما نعيشه ونشهده.. وحين تمر

أمامي هذه الحقائق أجهد نفسي في البحث عن ما يمكن اعتباره مبرراً مقنعاً لهذه الحالة المزرية.. وعندما لا أجدها يقفز سؤال آخر إلى ذهني عن معنى الحضارة.. وهناك اشتراطات سيكولوجية ونفسية لكي يكون الإنسان متحضراً وقادراً على الفعل الإنساني المبدع الخلاق الذي يضيف نتاجاً حقيقياً للإنسانية المعاصرة.. وأربط كل ذلك بما نرى عليه ملايين البشر.. يفترشون الأرض لساعات طويلة.. يأكلون القات.. كم من الوقت يقضيه الأطفال بعيداً عن أمهاتهم وآبائهم.. ما نوع التربية والإشراف القيم الذي يلقاه الطفل بعيداً عن أبيه وأمه لانشغالهم بجلسات القات.. ماذا يحمل هؤلاء الأطفال من محتوى.. وكيف سيتحملون مسئوليتهم في المستقبل.. وماذا سيقدمون لأنفسهم ولمجتمعهم وأمتهم.. أخبرني أحد أصدقائي المداومين على جلسات القات.. أنهم في أسرته يعيشون في غربة عن بعضهم.. وتقتصر حياتهم على الواجبات الرسمية الجافة.. يغيب عنهم دفء المشاعر وصدقها.. وحرارة الحنان.. وتتقلص درجة الاحترام المتبادل إلى أدنى مستوياتها.. ويصبح كل واحد من أفراد الأسرة له همومه المستقلة... اهتماماته الخاصة.. وشلته الخاصة.. ونمط تفاعلاته المميزة.. وأصبح الجميع محكوماً بنمط لا يستطيع الفكاك منه..

أمام هذه الصورة القاتمة والمعتمة السواد.. تداعينا مع مجموعة من الأصدقاء والمهتمين لتأسيس جمعية تهدف إلى مواجهة أضرار القات.. وابتعدنا قدر الإمكان عن استخدام كلمة مكافحة في أدبيات الجمعية واسمها.. إيماناً منا بأنها قضية شائكة.. ومعقدة.. ومعالجتها تحتاج إلى استراتيجية ضخمة.. ومتدرجة في خطواتها.. وفي يوم الخميس الموافق ١٩٩٢/١/١٦م عقد الاجتماع التأسيسي بحضور ١٢٠ شخصية من مثقفين

وأدباء ودكاترة وعلماء وشخصيات اجتماعية ووطنية وتجار.. وأسفر الاجتماع عن إقرار النظام الأساسي وانتخاب هيئة إدارية مكونة مني ومن الإخوة الاستاذ/عمر الوصابي، والدكتور/محمد عبدالملك المتوكل، والدكتورة / رؤوفة حسن، والدكتور/رشاد العليمي، والمهندس/عبدالله محسن الأكوع، والأخ/سليمان، والأخت/سلوى مبارك.

ولظروف ارتباط أعضاء الهيئة الإدارية بالتزاماتهم الخاصة.. وللظروف التي مرت بها البلد وخصوصية اليمنيين في الاندفاع والحماس الشديد لفترة بسيطة ثم الفتور والتلاشي، فإننا لجأنا للخروج من هذه المأزق إلى أن اقترحنا على الإخوة في الهيئة الإدارية في اجتماعها رقم (١٠) بتاريخ ١٩٩٧/٨/٢٠م، الاستعانة بهيئة مساعدة من الشباب يتحملون عبء المتابعة اليومية لنشاط الجمعية فتم تعيين مدير تنفيذي وهيئة تحرير لنشرة صادرة عن الجمعية سميت "يمن بلا قات" وكنا نطمح إلى إصدارها كجريدة دورية منتظمة يتم إنزالها للمكتبات والأكشاك ومراكز بيع الصحف.. ولتعقيدات إدارية لم يتم منحنا التصريح.. فاستمر صدور النشرة التي نطبع منها ثلاثة آلاف نسخة شهرياً.. ولم نتمكن من توزيعها عبر المكتبات ومنافذ بيع الصحف خوفاً من مصادرتها بسبب عدم الحصول على تصريح، أمام هذا الوضع اكتفينا بتوزيعها مجاناً للوزارات والهيئات والمصالح الحكومية والمنظمات الجماهيرية والسفارات اليمنية في الخارج ووسائل الإعلام وكتاب الرأي والكثير من الشخصيات الاجتماعية والمهتمين وأساتذة الجامعات.. وقد تركت النشرة صدى إيجابياً كبيراً.. وإن كان يحز بالنفس عدم تفاعل وسائل الإعلام الرسمية والأهلية والحزبية مع الجهود الهادفة للتوعية بأضرار القات

باعتبار ذلك مشكلة وطنية بالدرجة الأولى.. بالشكل الذي كنا نتصوره ونأمله..

إنني أومن إيماناً راسخاً بأن لا نهضة ولا تقدم في يمننا الحبيب قبل القضاء على شجرة القات.. فبدونها ستنطلق الجهود من عقالها لتبني وتفكر وتعمل ليل نهار.. بصورة عصرية وحضارية.. وستتوفر الإمكانات فيما هو أبقى وأنفع على الشعب والبلد، وسيتمكن الإنسان اليمني من استغلال كل وقته وماله بشكل صحيح بناء.. وينبغي على الجميع وفي المقدمة الحكومة برموزها.. أن تحس بحجم المشكلة.. وأن تبدأ في وضع الحلول الناجعة والكفيلة بتخليص اليمن واليمنيين من أسر هذه الشجرة.

زوجتي وأبنائي

قبل أن أتحدث عن شريكة حياتي وأبنائي أعترف في البداية أن الزوجة هي سعادة الإنسان ولن يستطيع تحقيق أي شيء في هذه الحياة ما لم تكن الزوجة بجانبه تكافح وتناضل.. وشريكة حياتي أم أولادي السيدة الفاضلة / خديجة بنت أحمد الشرفي.. المرأة التي سعدت بزواجي منها في بداية سنة ١٩٥٥م.. هذه المرأة منذ تزوجتها وإلى اليوم وأنا لم أشعر معها إلا بالسعادة.. كانت دائماً بجانبي وباستمرار وعلى مدى العمر الطويل..

وعندما تزوجنا كانت تحفظ القرآن فقط.. وفي البداية درستها أنا شخصياً ثم جلبت لها بعض المدرسين وكنت باستمرار أشرح لها حياتي.. ومنهجي وبرنامجي.. ومن البداية أيضاً عرفتها أنني حريص كل الحرص على النظام.. فالأكل مثلاً لا يهمني منه إلا أن يكون نظيفاً ومتواضعاً.. وأخبرتها بسعادتي في أن نعيش معاً حياة هادئة سعيدة.. وكانت هي دائماً على استعداد لأن تتقبل مني أي خطة أضعها لها.. وقد ساعدتني على الانصراف إلى العمل المثمر.. والحق أقول إنني لا أعرف في حياتي أي شيء عن حاجات البيت التي تجلب من السوق، لحم، خضار، فاكهة أو غيرها.. كل ما يمكن أن يجلب إلى البيت لا أعرف عنه شيئاً، كل ما هنالك أنني أسلمها وأدفع إليها ما أمتلك وهي تتولى التصرف بكل شيء.. حتى ما آكله هي التي تختاره.. فأنا لا أعرف ماذا سآكل اليوم على الغداء، هي تعرف وتحدد

ذلك.. تجدد أن نأكل اليوم قطعة لحم أو سمكة أو دجاجة.. وشيئاً من الخضار أو الفواكه..

ومنذ تزوجنا بقينا متفاهمين.. وطوال الفترة التي انقضت ونحن نعيش حياة مثالية لم نتخاصم.. ولم نتباعد.. وحتى إذا حصل ما بيننا سوء فهم في شيء.. وهو نادر الحدوث في حياتنا الزوجية.. لا يمكن أن يطّلع عليه أحد من أبنائنا.. بل لا يمكن في أي حال من الأحوال أن أنام وهي تنام إلا وقد ذهب أحدنا إلى الآخر.. ليس بقصد الاعتذار.. وإنما بطريقة حضارية نلتف على ذلك الخلاف.. بالمودة والحب والابتسامة.. وكما قلت فإن هذا لم يكن يحدث إلا نادراً، حتى الأسر الصديقة التي عرفتنا.. كانوا ينظرون إلينا من هذا المنطلق كزوجين مثاليين.. وقد تعلمت زوجتي أشياء كثيرة.. فعندما كنت سفيراً في لبنان وفي سورية.. كانت تقف بجانبي في بعض الاحتفالات.. وفي المناسبات الكبيرة التي كنت أحضرها مدعواً من رئيس الجمهورية أو رئيس الوزراء.. كانت تحضر معي وتتكلم مع الشخصيات المختلفة رجالاً ونساءً.. وهي على قدر كبير من الفهم الحضاري.. والقدرة على التعامل الراقي..

أما مسألة تربية الأولاد.. فقد كانت دائماً قدوة في هذا المجال.. لقد بقيت دائماً بجانب الأولاد ترعاهم وتقوم بالواجب نحوهم.. وتؤازرني في تربيتهم وتنشئتهم تنشئة تعكس عليهم الكثير مما نحن فيه.. وقد ذكرت في وصيتي ما لها من حقوق.. وأن سر نجاحي أيضاً يعود إليها، وإلى ما تقدمه لي من تهيئة الجو فهي بالنسبة لي حياتي وسعادتي.. ولذا أرجو من الله أن أرحل عنها وهي راضية كل الرضا..

أما أبنائي الأعزاء وهم خمسة، طه، وهدى، وخالد، وطارق، وأروى.. فهم قرة عيني، وقد بذلت ما أستطيع في تربيتهم وتنشئتهم، وتعليمهم، وكنت لهم قدوة في الحديث والسلوك، وأرجو أن يكونوا محل ثقتي بهم بعد مماتي.. وأن يضاعفوا طاعتهم لأمهم، وقد اجتمعت بهم دائماً، وتدارست معهم شؤون هذه الحياة.. واقتنعنا جميعاً أن هذه المؤسسة " مؤسسة العفيف الثقافية " تهمهم كما تهمني بالدرجة الأولى.. وأنهم سيكونون بعد رحيلي خير عون لمجلس الأمناء.. ولمن يدير هذه المؤسسة.. وعندما شرحت لهم أنني مقتنع بأن نقتسم بالطريقة الشرعية ما أمتلك وبأن ما يخصني من الثلث سأهبه لهذه المؤسسة.. اقتنعوا برأيي اقتناعاً كاملاً.. وبالفعل اقتسمنا بالطريقة القانونية الشرعية ووقعنا على وثيقة القسمة والتي يوجد منها مع كل واحدٍ منهم نسخة طبق الأصل.. والأصل موجود لدى البنك " بنك اليمن الدولي " الذي أودعت فيه ما بقي من مال أوقفته على هذه المؤسسة.. وسيشرف عليه بعد رحيلي مجلس أمناء المؤسسة، كما تحكي الوصية.. هذا الجانب أنا مقتنع به كل الاقتناع وكذلك زوجتي وأولادي مقتنعون به أيضاً كل الاقتناع.. وأنا أرجو منهم جميعاً كما أوصيتهم أن يكونوا كما أعتقد، وأن حسن ظني بهم سيكون مستمراً بل أكثر من ذلك بعد رحيلي (ملحق الوصية في أواخر الكتاب).

هل لا زلت أحلم..؟!

نعم لا زلت أحلم..

لقد جاوزت السبعين من عمري.. ومع ذلك فأنا لا زلت أحلم وسأظل أحلم..!!

أحلم بهذه المؤسسة – مؤسسة العفيف الثقافية – أحلامي لا تزال في أوجها.. وأنا أتطلع إلى هؤلاء الشباب إلى الطلائع الجديدة.. فأحلم بأجيال تدخل بوطني إلى القرن الحادي والعشرين.. لا تزال عندي بقايا أو ثمالات أحلم بأن يحقق عن طريقها ما يجيش في نفسي.. من حب وعطاء لهذه الأجيال، ولكم أشعر بالسعادة والغبطة والفرحة أيضاً وأنا أشاهد أحد الشباب من الطلاب والطلائع الجديدة.. وهو يدخل إلى هذه المؤسسة.. وأجد نفسي وقد استغرقت أتفرس ما في نفسه متسائلاً: ماذا بداخله؟ ثم أجدني بالفعل أحلم بأن يهيأ لي إيصال أفكاري إليه.. أريد أن أسكب تطلعاتي في عقله.. وأملأه بما في داخلي من أحلام..

والحقيقة أنني أحاول مع هؤلاء الشباب باستمرار ليس من خلال الفعاليات الأسبوعية يوم الثلاثاء.. وإنما في كل يوم.. وخاصة أولئك الشباب

الذين يلازمونني باستمرار في هذه المؤسسة.. هؤلاء الشباب الذين يحبونني ويحترمونني وأبادلهم نفس المحبة والاحترام.. وأشعر دائماً بمدى المسؤولية التي أتحملها أمامهم وتجاههم.. ولذلك فأنا أبذل جهدي معهم.. وكل ما بقي في نفسي من طاقة أعطيها لهم محاولاً أن أغرس في نفوسهم حبّ النظام والسلوك.. والحلم وحب الوطن والتفاني من أجله.. والحب المتكافئ المتكامل لإنسان هذا البلد.. والشعور بالسعادة في إسعاد الآخرين، السعادة في أن تعطي الناس ما عندك من تجربة وخبرة وقدوة وآمال وتطلعات، أن تفتح لهم صدرك وتمنحهم العون المعنوي والمادي.

إنني كما قلت أتحدث كثيراً مع هؤلاء الشباب وفي داخلي أمنية حقيقية لكل واحد أن يكون أحسن مني، وذلك من خلال سلوكي معهم ومسايرتي لهم وتوجهاتي معهم، وشعورهم أيضاً بمدى ما أحمل لهم من شعور ومحبة وإخلاص.

والكثير من هؤلاء الشباب عندهم القدرة على استيعاب التجربة وتمثلها.. ويعرف أيضاً مدى مشاعري نحوه.. ويعرف كم أعاني في سبيل أن يكونوا قدوة للآخرين.. وأنني في سبيل ذلك أتحمل متاعب فكرية وصحية.. فيما أنا أحلل لهم قضايا المستقبل، وما أريد لكل واحد أن يكون عليه من تحمل المسؤولية.. وأنا باستمرار أخبرهم وأقول لهم: إنني أمامكم مثل في هذا الجانب، فأنا مواطن من أسرة فقيرة، وما تجدونه عندي هو نتيجة المعاناة والجهد الذي بذلته في حياتي، وهكذا هي الحياة، ليست ملكاً لأحد، وإنما هي لمن يريد أن يصل إلى الأعالي.. والمرء حيث يضع نفسه، وهذا الموضوع يحتاج إلى وقفة مع النفس.. حازمة فلا يمكن أن تتحقق لنا السعادة إلا إذا

عملنا في حياتنا عملاً عظيماً.. وعندما أتحدث عن السعادة أعني بالسعادة سعادة الضمير والشعور والرضا.. ولذلك فمحاسبة الإنسان لنفسه ومراجعته لأعماله.. ومدى ما حققه للآخرين.. ولذا فإنني أعيش سعادة غامرة أكثر من أي إنسان آخر، وخاصة ممن أعرفهم في هذا الزمن الذي أعيشه، وأقصد بالذات هذا العقد الأخير (التسعينات).

أشاهد الكثير من زملائي وقد أخذ كل منهم مأخذه ونهجه وإذا الأحباب كل في طريق، والكثير منهم أصبح يعيش على القات ومن أجل القات، ولا شيء في حياته غير القات..

بينما أجد سعادتي في هذه الثمالات من حياتي ما بين بيتي وهذه المؤسسة التي أعطيها كل وقتي وجهدي ومالي.. والتي أرجو أن تبقى من بعدي ليتولاها من يحبني ويعرفني ويهمه نشر العلم والثقافة للناس جميعاً..

لم أستفد من شيء في حياتي قدر استفادتي من شيئين النظام والالتزام.. النظام في كل شيء.. والالتزام مع النفس، وتجاه الآخرين..

التزامي تجاه الآخرين ركن هام من أركان الحياة.. ومن مبادئي في حياتي.. فأنا أتعامل مع نفسي بتلقائية وببساطة وصدق.. وكذلك أتعامل مع أم أولادي ومع أولادي وأصدقائي وأيضاً مع الشباب.. وأفهم الالتزام من كونه يتناول أكثر من جانب، الالتزام الأدبي.. وكذلك الالتزام الأخلاقي.. التزام بالمواعيد، الالتزام بالنظام.. نظام الحياة اليومي والشهري والسنوي، ذلك الالتزام الذي يجعل الواحد منا قادراً على رسم خطوط عريضة لأهدافه.. ولحياته.. والسير بها في تجاه المستقبل بنجاح واعتمادي هذا الأسلوب في حياتي.. جعلني أكثر إحساساً بقيمة الحياة.. وأننا نستطيع

في أيامنا القصيرة فيها أن نحقق الكثير.. فالمسألة تكمن في كيف نستغل الوقت.. ولا نهدره؟

فأنا مثلاً في حياتي اليومية دائماً.. أنام بين العاشرة والعاشرة والنصف.. وأصحو قبل الخامسة، حتى لو كنت متوعكاً و لم أستطع النوم.. أو إذا لم أنم لسبب من الأسباب.. وهذا كثيراً ما يحدث.. فإنني لا بد أن أنهض من السرير قبل الخامسة.. أحلق.. أتحمم.. الساعة السادسة تماماً أتناول إفطاري.. الثامنة تماماً أكون جالساً بمكتبي في المؤسسة أباشر عملي.. الغداء أتناوله في الواحدة بالدقيقة.. وأتعشى الساعة الثامنة.

وما بين هذه الفترة أتعامل مع الحياة.. العمل.. القراءة.. لقاء الأصدقاء.. الأبناء.. الحوارات مع الشباب والمثقفين.. هكذا أقسم حياتي وأوجهها توجيهاً نافعاً.. وبهذا الأسلوب الدقيق المنفتح استطعت أن أكون حاضراً في الحياة الثقافية والاجتماعية، وقادراً على أن أعيش الحياة العصرية.. بروح شابة.. ونفس مفتوحة وآمالٍ وتطلعات واسعة..

وأنا لا أقول هذا الكلام إدعاء ومدحاً للنفس وإنما هي الحقيقة التي يعرفها أصدقائي وتلاميذي.. ومن يتواصلون معي.. وما أريد التأكيد عليه في هذا المقام.. هو إيصال هذه الرسالة وتوجيه هذا الكلام إلى أبنائي من الجيل الجديد.. الذين أريد أن أقول لهم: إن الالتزام في كل شيء هو ركن من أهم أركان الحياة.. وهو البداية من أجل أن ينطلق الإنسان إلى الأمام..

ومن حيث إنني أسير في هذا الاتجاه وبحرص شديد، فقد أصبحت مثلاً لأسرتي تقتدي به وتتعامل معه وأصبحنا داخل البيت وباستمرار، نعيش حياتنا اليومية بمسؤولية دقيقة جداً، ونعطي كل شيء حقه، دون إفراط أو

تفريط.. وعندما كبر أبنائي، وبدأنا نفكر في زواج الأول والثاني.. أشعرتهم وشعروا هم تلقائياً أن كل واحد منهم بمجرد أن يتزوج فإنه لا بد أن يعيش بمفرده مع زوجته في بيت مستقل.. خارج البيت الأصلي.. وهذا ما حدث فعلاً.. حتى الابن الأخير طارق حاول البعض من أفراد الأسرة طرح فكرة أن يعيش معنا هو وزوجته خاصة أننا أنا وأمه قد أصبحنا كباراً في السن، وأن سكناه معنا ستجعله يساعدنا على الحياة.. ولكنني أبديت لهم حرصي الشديد على أن يعيش في بيت مستقل مع زوجته.. السبب الأساسي في هذا هو إيماني المطلق بأن هذا الأسلوب مع الأبناء.. أسلوب صحيح وسليم.. يشعر الابن وتشعر زوجته أنهما في استقلال تام.. ويعيشان حياتهما اليومية.. وبهذه الطريقة شعرت أن أبنائي فعلاً يعيشون حياة سعيدة مستقرة مع زوجاتهم.. وكذلك بناتي مع أزواجهن وأبنائهم، وهم على مقربة منا دائماً، يترددون علينا دائماً، ونشعر معهم بمدى المحبة والتقدير والإعجاب مثلاً.. يوم الجمعة تراهم يفدون إلينا تباعاً.. ويتناوبون عزومتنا باستمرار.. وعندما نحتاج لأحدهم لأي عرض طارئ فهم تحت الإشارة دائماً.. وأنا أعتقد أن هذا التعامل مع الأبناء هو التعامل الأمثل.. فأنا أعرف الكثير من الأصدقاء.. الذين يفضلون أن يعيش أبناؤهم بعد الزواج معهم داخل البيت.. يلاقون من جراء ذلك متاعب كبيرة جداً، خاصة بعد أن تلد زوجة الابن وتبدأ الاحتكاكات بين النساء ويدخل فيها الأولاد.. وحينئذ يحصل سوء الفهم على الأقل بين الأب والأم وأبنائهما.

ومن خلال تجربتي كإنسان تربوي أنصح أن يأخذ كل واحد طريقه.. ويشق مجرى حياته كما يريد.. ويتزوج بعيداً عن والديه من حيث السكن.. وبوسعه بعد ذلك أن يظل دائماً طائعاً ومحباً ومقدراً لهما.. وأن يشعرهما

أيضاً بما لهما في نفسه من مكانة وإعزاز.. فذلك سينعكس على أبنائه هو أيضاً.. وبذلك تبقى الأسرة من الأب إلى الأبناء إلى الآباء إلى الأحفاد متماسكة مترابطة.. تسودها المحبة والروحانية والإعجاب والاحترام المتبادل.. ولهذا فأنا ألح دائماً على كل من أراه مستعداً للرضى بهذا الأسلوب أن يحتذيه ويأخذ به.. لأنه السبيل الوحيد لتفادي الخلافات في الأسرة.. فالمسألة ليست مسألة عواطف.. العواطف أحياناً تكون هوجاء إلى درجة الافتقاد لأي كابح أو منظم.. وأنا أنظر إلى العواطف على أنها تقدير للمسؤولية.. وأنها يجب أن توجه وبشكل نافع ومفيد.

الفصل الرابع عشر

محاورة ختامية

عزيزنا القارئ

ها نحن أتممنا عملنا فيما يتعلق بنقل وتبويب ما جـادت بـه ذاكـرة أسـتاذ الأجيال الوالد/أحمد جابر عفيف.. والتي قمنا بتفريغها من أشـرطة التسـجيل وإلى الورق مباشرة (كانت ثمة تدخلات طفيفة بحذف عبارة ما هنا أو تبديل كلمة بـأخرى هنـاك.. وهـذا نـاتج مـن طبيعـة الاختـلاف في الوسـيلة المستخدمة.. وليس يخفى أن انسيابية الكلام عبر الوسيلة السمعية يصبح أكثر تقييداً حين ينتقل إلى الوسيلة المقروءة)..

نعتقد أنها كانت رحلة ممتعة لنا ولك أيها القارئ الكريـم عـبر صفحـات هذا الكتاب ومع شخصية يمنية بـارزة لعبـت أدواراً هامـة في تشـكيل المصـير اليمني وفي مرحلة تاريخية حاسمة وفاصلة سيُكتب لها ولرجالاتها الخلود.

لقد كانت في أذهاننا أشياء كثيرة وتساؤلات عديـدة.. فضلنـا ألا نثيرهـا أثناء تسجيل الوالد الأستاذ/أحمد جابر عفيف لذكرياته فنشوش عليه متسببين من غير قصد في ضياع حادثة ما أو ذكرى ذات مغزى وتوهانها في تلافيـف النسيان وإلى الأبد..

ولكننا ارتأينا أن نؤجل كـل تسـاؤلاتنا إلى الوقـت المناسـب.. وإذا كـان الوالد الأستاذ/أحمد جابر عفيف قد استقطر ذاكرته وقدم عصارتها فيما سبق

من صفحات الكتاب.. فإننا هنا سننتهز الفرصة لنبادر بطرح تساؤلاتنا المؤجلة.. لأن الوقت قد حان لطرحها.. ولأنها هنا ستكون في موقعها المناسب كاستدراك لما فات أو تبيين لما غمض علينا فهمه. ويبدو أن ما فات لم يكن شيئاً كثيراً، كما أن صراحة الأستاذ لم تترك للغموض أي مجال.. ولذلك جاءت تساؤلاتنا على النحو الذي ستراه.. حيث كان لنا(علوان، وجدي، عادل) معه هذا الحوار:

- كتاب " شاهد على اليمن " بات الآن يُعد للطبع.. فهل أنتم راضون عما دونتموه فيه من أشتات الذكريات؟

* دعوني في البداية أشكركم أنتم الثلاثة.. أبنائي وطلابي الذين تلازمونني كل يوم تقريباً.. (عادل محمد قائد.. علوان أحمد مهدي الجيلاني.. وجدي محمد الأهدل).. وعندما أعود إلى ما كنا نتناقش فيه ونتحاور ونتبادل الآراء وأستمع إليكم وأنتم تلحون عليّ أن أسجل ما علق بالذهن قبل الرحيل.. وللأمانة فإن ما سجلته بصوتي وعلى فترات متقطعة، كان من المخزون الفكري، والإنسان عندما يحاول محاولة جادة عليه أن يحفر في الذهن (ولو بصعوبة) ليتذكر قضايا ومحطات متنوعة ما قبل ستين عاماً فأكثر.. وما قبل أربعين عاماً وثلاثين عاماً وهكذا.. وهذه الذاكرة التي حيرتني قدرتها على الاحتفاظ بالقضايا كبيرها وصغيرها.. وعلى امتداد زمني يزيد عن الستين عاماً.. هذه قدرة عند الإنسان أودعها الله عنده أمانة.. وهذه الأمانة هي التي يتميز بها الإنسان عن سائر الكائنات في أن يختط بها طرق الحياة..

وعندما نشاهد اليوم هذا الإنسان الـذي سيّر المواصلات.. وابتكر كل هذه التكنولوجيا.. وجمع هذا الكم الهائل من المعلومات.. وعندما نشاهد إنسان اليوم وهو يمشي على سطح القمر ويستكشف أعماق البحار والمحيطات.. ويسبر أغوار الفضاء الخارجي ومجاهل الكون.. كل ذلك في سبيل تحصيل معلومة من هنا وهناك لعلها تساهم في الارتقاء بالحضارة الإنسانية..

وعندما تهبط هذه الأقمار الصناعية على الكواكب أو منطلقة نحو المجرات.. أو إلى هذا الفضاء فإنها محكومة بحسابات دقيقة إلى أبعد الحدود.. لا نتصور إلا أنها قدرة هائلة لدى الإنسان أودعها الله فيه.. من أجل أن يكتشف هـذا الكون.. وأنا لا أدري ما الـذي سيحدث على ظهر هـذا الكوكب بعد عشر سنين أو بعد عشرات السنين.. ولكنني عندما أعود بذاكرتي إلى ما قبل ستين وسبعين عاماً.. وأنظر اليوم إلى ما وصلنا إليه.. نجد أن هناك معجزات يبدعها الإنسان بفعله وإرادته..

وعودة إلى سؤالكم.. وبالنسبة إلى هذه الذكريات.. فإنني راض عنها كل الرضا ولو طُلب مني أن أحذف جملة هنا أو مقالة هناك لما وافقت مطلقاً.. بل على العكس.. كل ما سجلته بصوتي وكما ذكرت في بداية الكتاب: احتفظ بصورتين مسجلة لما يحتويه هـذا الكتاب.. نسخة موجودة في المؤسسة، ونسخة أخرى موجودة لدى أسرتي.. وما أريد أن أقوله هو أن ما سجلته كان باقتناع شخصي.. وكما أنني لا أنسى دوركم في إخراج هـذا الكتاب إلى الوجود.. عندما فاتحتموني في أمره وبذلتم معي جهداً أشكركم عليه.. وأسرتي أيضاً كانت تشجعني باستمرار..

وهذه الذكريات كانت منذ فترة طويلة تلح عليّ في أن أقوم بتسجيلها.. ولكن زحمة الحياة والعمل المتواصل.. ثم إنني في هذا السن أشعر بالتعب.. وأيضاً القرف المزعج بين وقت وآخر.. عندما أشاهد الحالة التي نحن عليها ونعيشها.. فجئتم أنتم ودفعتموني دفعة قوية إلى الأمام حتى أنني تشجعت وأقدمت وتوكلت على الله.. فكانت هذه الحصيلة التي بين أيديكم..

وأود هنا تأكيد أن كل ما سجلته ليس له أي غرض شخصي.. وهناك جانب مهم أريد أن أؤكده لكم.. وهو أن مبعثي ودافعي الأساسي من وراء هذا الكتاب هو حبي لوطني.. وقد يتصور البعض أنني قد شطحت في بعض ما قلت أو بالغت في صياغة ما حدث..ولكنني أقول لهم بأنه من حقهم أن يردوا عليّ رداً موثقاً وأنا أقبل كل ما سيكون سليماً وصحيحاً.. وقد أكون مخطئاً في بعض القضايا.. ولكنني أمام ضميري مرتاح النفس والضمير..

- اليوم وقد تقدم بكم العمر.. ووصلتم إلى سن الحكمة والنضج العقلاني.. فإذا ما استعرضنا حياتكم الحافلة وأردنا تقييمها فإنها بلا شك حياة امتلأت بالمغامرة والجد والنباهة والتفوق المتنامي.. ولكن ثمة تساؤل يلح على الذهن حول مدى تحكم الإنسان في تحديد مصيره.. أي بمعنى ماذا لو أتيحت لكم الفرصة لتبدؤوا حياتكم من جديد فهل ستسلكون نفس الطريق؟

* حول مدى تحكم الإنسان في تحديد مصيره.. أنا أؤمن إيماناً لا حدود له بقدرة الإنسان على التحكم في تحديد مصيره.. وربما تلاحظون من خلال لقاءاتي المستمرة معكم أنني أكرر بعض العبارات.. وما أكرره إنما هو لكي أغرسه في أذهانكم.. مثلاً أنا دائماً أقول لكم هذه المقولة التي أؤمن بها إيماناً

لا حدود له: " المرء حيث يضع نفسه ".. فمتى ما أراد الإنسان أن يضع نفسه في أعلى قمة يلتزم بشروط الصدق مع النفس والهمة والسمو والارتفاع وحسن السيرة ووضع برنامج عمل حياتي يومي وشهري وسنوي.. والالتزام به والسير إلى الأمام باستمرار.. واختزان كل ما يؤمن به وتنفيذه سلوكاً وعملاً.. داخل الأسرة وخارجها في المجتمع والعمل.. هذه الأشياء عندما يتحكم الإنسان فيها هو الذي يستطيع أن يحدد مصيرها.. عندما يريد ويقرر أين سيضع نفسه.. بغير هذا تصبح العملية في هذه الحياة عملية مبتذلة.. عبارة عن أكل وشرب ونوم وملذات وترهات.. الخ.. ولا ننسى أن الإنسان من حقه أن يستمتع بالحياة كبشر.. ولكن في حدود محسوبة أيضاً.. يجب أن يعطي كل ما عنده للآخرين وهنا تكمن السعادة.. في أنك تعطي الآخرين.. في أنك تسعدهم.. في أنك تبذل من أجلهم جهداً متواصلاً.. في أنك تسهر من أجلهم.. في أنك تعطي عطاءاً فكرياً أو مادياً من أجل إشعارهم أنهم مثلك.. وأنا تعجبني هذه الآية الكريمة دائماً ﴿ويؤثرون على أنفسهم ولو كان بهم خصاصة﴾[الحشر ٥٩/٩].. والذين يعرفونني جيداً.. وأنتم الثلاثة قد سايرتموني طوال هذه الفترة.. تعرفون أنني أقف أمام نفسي بمسؤولية.. فلا أتناول الحياة بسهولة وإنما بمسؤولية شاقة على نفسي.. ولربما تشاهدون أنني أعاني أحياناً من أي واحد سواءاً كان منكم أم من الآخرين.. ولكنني في النتيجة أشعر بسعادة وبفرحة غامرة في مشاعري عندما أشاهد أن هذا العمل يؤتي ثماره وأنه في محله وأتحمل الأشياء الكثيرة من أجل أن يتحقق أي شيء..

- كيف تنظرون إلى القرن القادم؟.. وكيف تنظرون إلى اليمن التي تبتعد أكثر فأكثر عن مسايرة العصر؟

* القرن القادم مثله مثل القرن الماضي.. وهكذا هي الحياة.. الشمس تبزغ.. ثم الليل يأتي.. ثم نهار جديد.. وهكذا.. هذا التاريخ.. إننا داخلون إلى القرن الواحد والعشرين من أجل أن يسجل الإنسان بعض الذكريات.. لكن أن يتغير شيء في داخل الإنسان نتيجة أننا دخلنا إلى القرن الواحد والعشرين أو.. أو الخ.. هذا لا يعني شيئاً نهائياً.. الذي حصل أننا ننظر إلى القرن القادم دونما وضع خطط جديدة.. ودونما أن نحاسب ضمائرنا وننظر إلى ما خلفنا وماذا عملنا وماذا سنعمل الخ.. وأنا لا أزال أحاول برغم أنني في هذه السن.. أن أؤدي الرسالة التي تحملتها أمام وطني وأبنائي وأمام الشباب والأجيال..

وأما عن كيف أنظر إلى اليمن.. فهذا سؤال يحتاج إلى إعادة نظر من جديد وإلى محاسبة النفس من قبل كل أبناء اليمن.. وبالأخص من قبل المفكرين والمثقفين والعلماء.. هذه الشرائح التي هي مسؤولة أمام الله وأمام هذا الشعب في أن تعيد النظر مرة ومرتين فأكثر إلى ما نحن فيه.. ومحاسبة الضمير.. وإعادة النظر في أي شيء.. هو من أعظم مزايا الإنسان.. عندما يصبح الإنسان لا ينظر إلى محاسبة ضميره.. ولا إلى إعادة النظر بالنسبة لأعماله وعن توجهه نحو المستقبل.. يبقى لا قيمة له..

– هل أنتم متفائلون؟

* نعم ولربما لاحظتم هذا في كثير مما سجلته.. أنا لا أزال متفائلاً.. لا أتشاءم مطلقاً.. لقد مررت بمراحل كثيرة من حياتي وتعلمت مرارة الحياة.. تعلمت البؤس.. والحياة التي امتصتني امتصاصاً.. في بداية حياتي كانت المعاناة هي التي صهرتني.. والمعاناة هي أكبر ميزة للإنسان.. المعاناة تدفعه

للأمام.. وتجعل منه قوة هائلة بأن يندفع لتحقيق ما بداخله من آمال وطموحات..

- جاءت ثورة ٢٦ سبتمبر للقضاء على الفوارق بين الطبقات.. ولكن كما يبدو من واقع الحال فإن هذه الفوارق الاجتماعية قد أصبحت عبارة عن هوة هائلة بين طبقة صغيرة ثرية وشعب فقير.. ما رأيكم في هذا التناقض الفاضح بين أهداف الثورة وما هو حاصل على أرض الواقع؟

* هو مبدأ من مبادئ الثورة.. كما قلت في السابق.. فإن الثورة عند قيامها كان لها هدفان هما: إسقاط النظام الملكي، وقيام النظام الجمهوري.. وبقية ما ذكر من أهداف الثورة ليست إلا مبادئ.. وهناك لغط كثير حول هذا.. شرحته في السابق واستدللت بشواهد كثيرة من القاضي عبدالسلام صبرة، ومن الأخ الزميل محمد عبدالله الفسيل، ومن الأخ الأديب أحمد حسين المروني، ومن آخرين.. وأكثر من هذا كله.. عندما نعود ونفكر جدياً.. نجد أن هذا هو الصحيح.. الهدف الجوهري المهم هو إسقاط النظام الملكي.. والهدف الثاني هو تثبيت النظام الجمهوري.. وما عداها هي مبادئ قد تحقق اليوم ولا تتحقق غداً وهكذا..

الفوارق الاجتماعية التي أصبحت الآن مخيفة في الوسط الشعبي تكلمت عنها بصورة واضحة وصريحة.. وهذه الفوارق التي يعيشها شعبنا أنا أخاف منها كل الخوف.. وعندي إحساس أعجز عن وصفه عندما أشاهد عياناً هذه الفوارق المخيفة.. هذا التكالب على كسب المال.. عندما يأكل الإنسان من جلد أخيه.. وتبقى المشكلة مخيفة ومفزعة إلى أبعد الحدود..

- ما مفهومكم عن الحوار؟

* كلمة " الحوار " هذه الكلمة دائماً تجذبني بشكل إنساني.. وأعتقد أن الفرق بين الإنسان والحيوان هو الحوار.. عندما يتعامل الإنسان مع أخيه بالحوار.. يكون الإنسان هنا على طريق سوي.. وعندما يُفقد هذا الحوار تبقى العملية عملية حيوانية ليس إلا..

أكبر مثل أنا استفدت منه.. أو تجربة مفيدة لي أنا كشخص.. هو الحوار الذي تم بين القوى الوطنية في عام ١٩٩٤م.

وأعتقد أنه يتوجب علينا أن نتحاور بالمنطق وبالعقل وأن نتنازل بصدق مع النفس وأود هنا أن أتمثل بآيات وأحاديث يعرفها الجميع.. وكذلك عندما نشاهد العلماء.. حتى العلماء اليمنيون الذين لهم باع في العلم وفي الفقه وفي التاريخ.. كانت من أهم سجاياهم الحوار.. قد يكون هذا المفهوم " الحوار " غير مستعمل في ذلك الزمان.. لكن كان عندهم فهم عن هذا "الحوار" عملياً.. وهم كانوا يمارسونه بما كانت تعنيه الكلمة.. وليس على النحو المتعامل به اليوم..

– ماذا تعني لكم الكلمات التالية: الإنسان.. الديمقراطية.. الأرض.. القات.. الثقافة والتنمية؟

* الإنسان: الذي ميزه الله عن بقية المخلوقات هو الذي يرتفع بإنسانيته إلى العلو وإلى الروح وإلى التسامح وإلى الشعور بحق الآخر وأن له حق معلوم.. ليس بالمنة.. الإنسان هو الذي يرى لأخيه الإنسان كما يراه لنفسه على كل مستويات الحياة.. بدون أي حساب أو إشعار الآخر بأدنى أدنى لمس لكرامته.. عندما يصل الإنسان إلى الارتفاع بنفسه وبطيبته وبعقله.. يصبح هذا الإنسان هو الإنسان السوي.. وبغير هذه المفاهيم والمعاني السامية.. يصبح

الإنسان كأي حيوان.. وهذه كارثة على الإنسان الذي لا يشعر بإنسانيته السامية.. ويصبح مجرد حيوان ناطق.. تصبح الجريمة فيه أكبر وأبشع..

الديمقراطية: يجب أن نتمسك بها تمسك إيمان وعقيدة.. وأن نعترف أننا بدون ديمقراطية ليس لنا أي وجود في هذه الأرض.. كيف؟.. وما تعني الديمقراطية في بلادنا.. كلنا نعرف ذلك.. ولا نريد أن ندخل في تفاصيل كثيرة.. لكن من حيث المبدأ ومن خلال تجاربي ومن خلال معرفتي وما مرت به بلادنا. يجب أن نؤمن.. وأن نندفع إلى الديمقراطية.. وأن نغرس بداخل عقولنا وضمائرنا ونفوسنا أن هذا مبدأ يجب أن يبقى معنا في حياتنا وفي سلوكنا.. وأن نطبق الديمقراطية في أنفسنا.. وأن نكون قدوة لأبنائنا وتلاميذنا وللمجتمع.. عندما يتكلم الإنسان عن الديمقراطية وعنده إيمان بها يجب أن يمارسها ممارسة عملية.. ليكون شاهداً عليها والناس شاهدين على أن هذه الديمقراطية يمارسها هذا الشخص..

الأرض: الأرض ستبقى هي الأرض.. ومهما جاء الحكام من هنا أو هناك.. لن ينالوا من الأرض أي شيء.. أو حتى من الإنسان.. الحاكم يأتي ليحكم هذه الأرض.. ولكن لن يستطيع أن يبقى إلى ما لا نهاية.. وهو هنا أمين على هذا العمل فإن حققه وحقق شيئاً على هذه الأرض.. فسيكون هذا العمل ظاهراً على الأرض وشاهداً له وعليه.. ونحن نقصد بكلمة " الأرض " أنا وأنت وهذا وذاك.. لأن الأرض ليست مفرغة.. الأرض بما تحمل من بشر يحملون بداخلهم معاني السمو والارتفاع.. وعندما يعكس الحاكم على هذه الأرض يعكس على الإنسان.. فالأرض باقية (نقم وشمسان.. باقيان) ولكن ما الذي سيبقى من الإنسان على هذه الأرض؟..

الثقافة والتنمية: لقد تحدثت كثيراً على ما يبدو لي عن الثقافة.. وأنا متأكد أنني أعطيتها أكثر من وقفة.. وأنتم الثلاثة الملازمون لي تعرفون جيداً أنني أتكلم وأشرح باستمرار مفهومي للثقافة ومعناها عندي..

الثقافة.. لا أقف عند التسمية / الكلمة.. أنا أفهم منها التغيير الجذري.. وما يحدث على الساحة اليمنية والعربية.. تحت مسمى الثقافة.. ليس هو الذي نريد أو نتمنى..

الثقافة.. يجب أن تكون ممارسة حقيقية.. عندما نقول إن شخصاً ما مثقف.. فمعنى ذلك أنه قد تغير تغييراً جذرياً.. في تفكيره وسلوكه وتعاملاته وجماع رؤيته.. وإنه قد ابتعد تماماً عن مخلفات التخلف وعوائق الماضي بكل ما تعنيه الكلمة.. وذلك باتجاه المستقبل..

الثقافة اليوم..هي ثقافة تحد في ظل العولمة.. وأنا قد تحدثت عن العولمة.. ولا أريد هنا تكرار ما قلت.. والحقيقة أنه كلما مر الوقت.. وأنا أطالع كتاباً أو أشاهد في التلفاز مواضيع تتعلق بالعولمة كلما شعرت بالهوة الساحقة والفجيعة المخيفة التي نحن مقدمون عليها والتي ستأكلنا أكلاً ذريعاً..

نحن يا أولادي.. نتحدث عن الثقافة ولا نمارسها.. نحن ندعي المواكبة ولكننا لا نتقدم.. إننا لا نزال نعيش الماضي بكل سلبياته.. وكل ما نفعله أننا ندعي.. ونقول: عندنا وعندنا.. كل مفردات ثقافتنا التي نفخر بها تنتسب لماضٍ سحيق قد انتهى..

نحن لا نعيش العصر.. نحن لا نمارس ثقافة العصر.. لا ننتج شيئاً ينتمي لعصرنا.. أنتم عندما تتحدثون معي عن التنمية.. أي تنمية ونحن شعب لا ينتج.. الشعب الذي لا ينتج لا يمكن أن يتحدث عن التنمية.. ما

صادراتنا؟.. البترول شأنه شأن البترول في البلاد العربية الأخرى.. أصبح كارثة.. وهو لا ينفعنا أو يعنينا بأي حال من الأحوال.. إننا نركب السيارة والطائرة.. ونبني البيوت.. ونعبد الطرقات.. ونأكل بيتزا هات.. وهذه أشياء كما ترى لا تعنينا.. لا من قريب ولا من بعيد.. كلها لا تعني ثقافة ولا تعني أيضاً تنمية.. ولا توصلنا إلى مستوى أدنى من مستويات التقدم الموجودة عند غيرنا..

وإذن فإن الثقافة عملية تغييرية جذرية باتجاه المستقبل.. وهي البناء هي التنمية.. هي العقل المفكر الذي يخترق حجب الجهل وعوائق التخلف..

الثقافة.. هي تلك الإرادة الفعالة التي تجعلني قادراً على كسر أي حاجز يقف أمامي ويحول دون وصولي إلى طموحاتي..

ولقد سبق لي أن قلت: إنني لا يمكن أن أتصور أنني أدخل القرن الحادي والعشرين..أو أن عمري الآن قد وصل إلى اثنين وسبعين عاماً.. فيما أنا أشاهد الكثير من أبنائي الشباب والشابات الذين لا تروقني أوضاعهم.. وأنا أحمل الجميع مسؤولية هذا.. الأسرة والمجتمع والدولة.. ولكنني أحملهم المسؤولية قبل أي إنسان آخر.. هم الذين يجب أن يشعروا أنهم مسؤولون عن أنفسهم.. كل واحد يجب أن يشعر أنه مسؤول عن نفسه.. كما قلت.. فالمرء حيث يضع نفسه..

– ما الرسالة التي تريدون قولها للأجيال القادمة؟

* أنتم تعرفون أنني لا أؤمن بالنصيحة أو إملاء أي شيء للآخر ما لم يكن هو مهيأ لذلك.. فعندما يكون الإنسان مهيأ لأن يستوعب ويفهم

ويغربل ويعرف الحقيقة.. فإنه يكون عندئذ قادراً على فهم ومعرفة القضايا وقادراً على تناولها بشكل واع.

وعندئذ فإن النصيحة.. والمعرفة تكون مجدية.. سواء أخذها مني أو من كتاب يقرؤه.. فأنا مثلاً عندما أشاهد شخصاً ما يمارس الكذب.. وهو يردد في أحاديثه أن الكذب من أرذل الأمور.. وأن الإنسان عندما يكذب يسقط لكنه يعدُّ أن الكذب الذي يتعامل به مع الآخرين هو كذب يمارسه كشيء اعتيادي من باب أنه كذب نظيف.. بمعنى أنه يبحث لكذبه عن مبررات أو مشاجب يعلق عليها كذبه ودواعيه إليه..

القاضي مثلاً.. وهو أعرف الناس جميعاً أن الرشوة من أرذل الأمور.. ومن أحط ما يتعامل به الإنسان.. الإنسان العادي.. فما بالك بالقاضي.. ولكنه مع ذلك يمارسها ويقدم لنا نموذجاً لتناقضات تتنافى تماماً مع السلوك الإنساني السوي..

أكبر ميزة في الإنسان أن يتناول القضايا بصدق مع نفسه.. وأن يحترم مكانته الإنسانية.. وأن يكون مع الآخرين كما يكون مع نفسه.. وأن لا يحاول بذكاء أو بفهلوة أو بدهاء.. الضحك على الآخرين.. بطريقة أو بأخرى.. معتبراً ذلك ميزة وفضيلة..

إنها أشياء تحد من سمو الإنسان وتحط من مقامه.. الإنسان يجب أن يكون سامياً ومتواضعاً في آن.. مستفيداً من الآخرين أو مما يقرأ.. يعطي حواسه معناها سامعاً وناظراً فيما حوله.. يفكر فيما هو صح وما هو خطأ.. ثم يأخذ بعد ذلك الطريق الصحيح.. ومثل هذا الإنسان هو من أحب توجيه رسالتي إليه..

كلمتي الأخيرة

أوجهها أولاً إلى زوجتي وأولادي وأحفـادي وأسـرتي ورفـاق دربـي مـن الزملاء والأصدقاء. ثـم إليكم أنتـم الثلاثـة ومـن خلالكـم إلى الأجيـال.. إلى الشباب والشابات إلى المثقفين.. إلى كل من يحبني.. كل من عرفني أرجـو في ختام هذا الكتاب.. أن يفهم الجميع أن كل ما قلته ما هو إلا تعبير عن مدى حبي ومعزتي لهم ولهذا الوطن، كما أريـد أن يعـرف الجميـع أنـني أردت مما قدمت أن يكون رسالة إلى الأجيال وشهادة يبرأ بها ضمـيري أمـام التـاريخ. وأنني تحدثت بصدق مع النفس، وغرضي وكل ما أريده أن يتحقق على هذه الأرض هو أن يكون الإنسان اليمني على معرفة أو علـى فهـم.. وأن يتحمـل رسالة الثقافة والمعرفة.. ومحبة الوطن.. وأن يشعر أنه قادم على عصـر جديـد إلى عصر الاتصالات.. وثورة المعلومـات والعولمـة والتكنولوجيـا.. ولا يجـوز بأي حال من الأحوال المكابرة.. وأن تمر علينا الأيام والسنوات ونحن واقفون مكاننا نستجر الماضي باستمرار.. وأنتم تعلمون أن اجترار الماضي لا ينفعنا بأي حال من الأحوال.. ولا يقدم ولا يؤخر.. وا لله سبحانه وتعالى خلـق لنـا عيونـاً من أمام لننظر إلى الأمام وليس إلى وراء..

كل ما أتمنى وأنا في آخر حياتي أن تظـل مؤسسـة العفيـف الثقافيـة باقيـة مستمرة تتقدم للأمام.. وأن يكـون المسـؤول عنهـا أبنـائي الأعـزاء والإخـوة

أعضاء مجلس الأمناء وجميع منتسبي هذه المؤسسة وهذه الطلائع الجديدة.. وكل من يفد إلى هذه المؤسسة.. وكل من ينتمي إليها يجب أن يشعر أنها مؤسسته.. وأن يدافع عنها بكل ما أوتي من قوة.. هذه المؤسسة هي حصيلة عمري.. وهي التي سعيت في بنائها لكم ولأبنائكم وللأجيال القادمة.. وهي أمانة بين أيديكم وبين يدي كل مثقف ومستنير في هذا الوطن.

أرجو منكم ومن الجميع الالتفاف حولها.. وأن تحموها من المغامرين والمندسين.. وخاصة أولئك الذين يقفون في طريق الزمن ويريدون السير عكسه.. والذين لابد أن يسحقهم تيار الزمن الجارف الذي يتقدم إلى الأمام.. ولا يقبل بأي حال من الأحوال الرجوع إلى الخلف.. ومن يمشي ضد التيار لا بد أن يجرفه التيار مهما كان..

إنني بتأكيدي دائماً على ضرورة الإيمان بالمستقبل والسعي إليه، إنما أرفض أن نظل نراوح مكاننا.. كما أن رفضي القاطع للرجوع إلى الخلف لا يعني رفض الجوانب المشرقة والمضيئة في ماضينا وتراثنا وما خلفه أجلاء أهل العلم من أجدادنا. فقط ما أريده لنفسي ولإخواني وأبنائي ألا نجعل من الماضي قيداً على عقولنا، ونقول ليس بالإمكان أحسن مما كان. ما دمنا نؤمن بسنة الله في الأرض، وهي التطور والتغير المستمر.

هذه رسالتي إليكم وإلى الطلائع المستنيرة الناظرة باتجاه المستقبل..

مع كل حبي واعتزازي

الفصل الخامس عشر

شهادات

شهادات عزيزة

في ذكرى العيد السادس والثلاثين لثورة السادس والعشرين من سبتمبر الخالدة، يسعدني حضور الحفل التكريمي الذي أقامته مؤسسة العفيف الثقافية برعاية الأستاذ أحمد جابر عفيف رئيس المؤسسة رئيس مجلس الأمناء، لهذه المناسبة الكريمة، شاكراً لهم هذه الحفاوة والتكريم سائلين الله التوفيق والنجاح للجميع وشكراً.

٢٩/٩/١٩٩٨م المناضل / عبدالسلام صبرة

* * *

أحيي أخي وصديقي الأستاذ أحمد جابر عفيف، الذي فتح هذه النافذة الحضارية في صنعاء، فله وللعاملين معه ولمشجعيه الامتنان والشكر الجزيل.

٢/٣/١٩٩٩م محسن العيني

رئيس مجلس الوزراء الأسبق

* * *

العمل العظيم يدل على نفسه، وبما يتركه من أثر بارز، وهذا ما ينطبق على هذه المؤسسة الرائدة، والتي أحدثت في الوطن اليمني منذ البداية ثورة في الحياة الثقافية بمختلف أنشطتها. وحين أراد أخي وزميلي الأستاذ أحمد جابر عفيف أن يزيد من جهوده الوطنية والتربوية، اختار هذا العمل العظيم بجهده، وبماله، وبإرادته، وما تشهده هذه المؤسسة من نشاطات يشهد بها الجميع تؤكد

أنه اختيار في محله وسيظل بمبادراته أكبر ما شهده الوطن في بنـاء المؤسسـات الثقافية التي سيشهد لها التاريخ بما تصنعه، وبما ستتركه من أساس متين.

لأخي الكريم وللمؤسسة، أطيب الأماني، بدوام التوفيق والنجاح.

٢٠/٩/١٩٩٨م **أخوكم / يحيى حسين العرشي**

وزير الثقافة والإعلام سابقاً

* * *

لقد كان هذا المشروع الرائد الذي قام بـه أستاذ الأجيـال الأستاذ أحمـد جابر عفيف من أفضل المشاريع التي قامت بمجهود شخصي.

أصدق التمنيات بمزيد من النجاح والتوفيق.

١٦/٢/١٩٩٧م **د. حسن محمد مكي**

رئيس وزراء سابق

* * *

يأتي هذا العمل الجليل الذي قام به الأستاذ أحمد جابر عفيف، أقول يـأتي متوجاً لأعماله الوطنية في خدمة المجتمع اليمني، فله في كل عمل تولاه في هذا المجال آثاره التي لا تنسى سـواء في مجـال التربيـة وفي تأسـيس الجامعـة، أو في اجتهاداته الإيجابية في مجال التربية والتعليم، ثم فيما تولاه مـن أعمـال أخـرى كإنشاء المدينة السكنية بحدة، وفي تأسيس وبناء مركز الدراسات والبحوث.

واليوم يأتي عمل هذه المؤسسة الثقافيـة الـتي يجـد رواد المعرفـة متنفسـهم، وليت كل من أوتي القدرة في بلادنا متجه هذا الاتجاه.

١٨/٢/١٩٩٧م **إبراهيم الحضراني**

أديب وشاعر

" العرب ظاهرة صوتية " أقدمه إلى من عرفته فعرفت بمعرفتي له نموذجاً رائعاً مثيراً من نماذج الصداقة والحب والوفاء والصفاء والرجولة والنبض الإنساني الموقع بأجمل إيقاعات العقل والحكمة والاتزان والحماس الروحي والعاطفي والأخلاقي والفكري.. أي أقدمه إلى من وجدت في صداقته تاريخاً لن يمحى أو ينسى.. أي إلى الأستاذ أحمد جابر عفيف.. مصلياً القلم بكل الرهبانية والرهبة والتقوى والحب والخشوع لكتابة اسمه.

١٩٧٧/١٢/٣م **قدمه وكتبه بكل نبضه وحبه**

وتذكره وشوقه وتاريخه:

عبدالله القصيمي

كاتب ومفكر سعودي.

* * *

من فلسفة الفن إلى علم الفن:

سعدت سعادة غامرة بوجود هذه المؤسسة الثقافية التنويرية الفنية (مؤسسة العفيف) بعاصمة اليمن الشقيق.

ولا ريب لدي من أن وجود رجال أمثال السيد الأستاذ العفيف – بعمله الرائد – يزرع أوسع الآمال في نفوس من يطمحون إلى ثقافة عربية عصرية، تتفاعل مع ثقافات العالم، وتسمح بدور للعرب المعاصرين، كدور آبائهم الأقدمين.

٨ مايو ١٩٩٩م **د. عبدالمنعم تليمة**

أستاذ الأدب العربي بجامعة القاهرة

* * *

نموذج رائع وعظيم لدور ثقافي رائع ينبغي أن تتمثله كافة الهيئات والفعاليات الثقافية والاجتماعية في اليمن، وكل أقطار الوطن العربي.. خاصة في ظل غياب الدولة القطرية في كل الوطن العربي تقريباً في الاضطلاع بمهمة ثقافية وحيوية لبناء الإنسان.

وأعتقد أن الجميع.. مطالبون، خاصة الفعاليات الثقافية والاجتماعية، أن تحذو حذو مؤسسة العفيف الثقافية.. وأن تنتشر مثل هذه المؤسسة الرائدة في كل مدينة عربية وكل قرية في وطننا..

تمنياتي لكم أسرة مؤسسة العفيف الثقافية وإلى رئيس المؤسسة الأستاذ أحمد جابر عفيف كل الحب والتقدير..

صنعاء في ١٩٩٨/١١/٥م علي عبد الحميد علي

رئيس مركز الحضارة العربية – القاهرة

* * *

لم أصدق أنني في مكتبة داخل الجمهورية اليمنية، وذلك لما رأيت من النظام والترتيب وتوفير كثير من الكتب والمراجع في أكثر المواضيع التي يحتاج إليها الإنسان، وفي هذا ما يدلّ على ما بذله وما يبذله أستاذي الجليل أحمد جابر عفيف من مجهود خير، وكبير فوق التصور.

١٩٩٧/٢/٢١م د. معتصم طاهر صبري

* * *

في زيارة قصيرة لأرض الوطن أتشرف أن أزور أستاذي الكبير ذا الفضل في ما وصلت إليه، أستاذي أحمد جابر عفيف.

وأفاجأ لما أراه في المؤسسة من مراجع ومؤلفات جعلتها من المؤسسات العلمية للمراجع الثقافية في اليمن.

١٩٩٧/٢/٢١م د./ حسن حامد موسى

أستاذ بإحدى جامعات ألمانيا

* * *

لقد سعدت كثيراً بزيارتي لمؤسسة العفيف، وما سمعناه ولمسناه خلال زيارتنا وخلال مشاركتها بالحضور في بعض الفعاليات قد أوجدت الأمل في نفوسنا بمستقبل أفضل، حيث يعتمد العالم في نهضته على المؤسسات الفكرية والثقافية.

وأخص بتقديري الأستاذ القدير أحمد جابر عفيف الذي كان رائداً في هذا المجال الصعب الضروري، والذي قبل أن يعطي ماله وجهده لهذا العمل الطيب.

١٩٩٧/٢/٢٨ **معبدالوهاب عبدالله الحجري**

سفير بالولايات المتحدة

* * *

فوجئت وبهرت بزيارة هذه المؤسسة الفريدة التي تعكس عبقرية اليمن وإنسانيتها، وتقدم نموذجاً نبيلاً رفيعاً لكفاح وإبداع المثقف والمربي العربي، وأتمنى أن تعم مثيلاتها بلادنا العربية، وتضيء وتشع لكل الأجيال، وتخرج منها المواهب الشابة الفنية، وتضيف إلى التراث والبناء الروحي والفكري لأمتنا العربية ولا أملك سوى أن أحيي المؤسس والمنشئ الأستاذ أحمد جابر عفيف.

تحية من الأعماق، لقد شيد أثراً سوف يظل دائماً رمزاً للعمل الوطني الحضاري الذي نحتاجه أشد الحاجة.

١٩٩٧/٨/٢ **محمد عودة**

كاتب ومفكر مصري

* * *

وسط يباس الوقت والكلمات والظلمة المعششة في هذه الصحراء الممتدة من الأقصى إلى الأقصى.. يأتي رجل ليجدد شباب الثقافة ويغرس نبتة خضراء.. هذا الرجل اسمه أحمد جابر عفيف.. وهذه النبتة الوارفة اسمها مؤسسة العفيف.. لتستمر الحياة وتسير عجلة الثقافة إلى الأمام.. وبهذا يضيف (العفيف) اسمه إلى أسماء الرجال الذين لم يشغلهم المال، عن أهدافهم الثقافية والتربوية والاجتماعية، بل جعلوه في خدمة المشروع الثقافي

النهضوي.. وها نحن نقطف ثمار هذه الشجرة التي كبرت وصارت وارفة.. لقد كانت ولادتي مسرحياً في مؤسسة العفيف عندما عرضنا مسرحيتي " آه أيتها العاصفة " التي أخرجها المخرج المبدع كريم جثير، وكانت ولادة الكثير من المواهب الشعرية عبرها كالشاعرات هدى أبلان، وإبتسام المتوكل، والمواهب التشكيلية والمسرحية..

فبورك هذا الجهد النبيل.. وبورك العفيف هذا المشروع

١٩٩٧/٢/١٨م **عبدالرزاق الربيعي**

شاعر عراقي

* * *

هكذا تزهر الأشياء العظيمة..

وهكذا يمتد أريج الحي ليقع على رصيفنا اليابس والبارد، وقع النار الدافئة المحثة على المزيد من العمل والاشتعال.. الأستاذ أحمد جابر عفيف هذا الاسم الذي عرفناه صغاراً بين طيات كتبنا العتيقة، وجنبات حبرنا الخجول، وأطلت ملامحه علينا تحضنا على القراءة والثقافة والتميز الفكري، وحينما جُبلنا على نحت كلماتنا من صخرة الروح.. أحسسنا كم هو عظيم وهو ينتظرنا مرة أخرى ودائمة، ويطل علينا بمؤسسته العظيمة لتتفتق في محرابها حروفنا وكلماتنا.. وأحلامنا، نجده معنا، ومعه تتواصل خطواتنا في هذا الوطن العصيّ على الانكسار.. تحية له نهراً دافقاً من العطاء، ونبارك لأنفسنا وجودنا في هذه المؤسسة / الحياة..

ومزيداً من الإبداعات اللاهبة في رصيف الوطن البارد..

وقارعة الروح الذابلة..

١٩٩٧/٢/٢٢م **هدى علي أبلان**

شاعرة

لأول مرة أزور مؤسسة العفيف الثقافية بعد أن سمعت عنها الكثير، فاكتشفت أنها ولدت عملاقة بفضل رائدها وبانيها الأستاذ أحمد جابر عفيف، وهمته ورعايته لهذا الصرح الثقافي الباهر.

أتمنى للمؤسسة اضطراد التقدم والتوسع في الثقافة، بما يؤهل اليمن واليمانيين لدخول القرن القادم دخول المؤهلين.

١٩٩٧/٦/٢٩م　　　　صالح عبده الدحان

كاتب وصحفي

* * *

ماذا أقول وما أصف هذه الحسنة الخالدة التي ابتكرها العالم الكبير والمجاهد دائماً لتثقيف الأمة والآمر بالمعروف دون خوف ولا ملل، ذلك هو الأخ الأستاذ أحمد جابر عفيف أطال الله في عمره للمزيد وجعله قدوة لمن يعمل مثل عمله، في مؤسسته المسماة (مؤسسة العفيف الثقافية) فجزاه الله خيراً..وتحياتي الدائمة له بالتوفيق.

١٩٩٧/٧/٤　　　　محمد بن يحيى مطهر

عضو مجلس النواب

* * *

زيارتي لمؤسسة العفيف تركت في نفسي أثراً لا يمحى لسببين، أولاً لأنها مؤسسة ثقافية بمعنى الكلمة تخدم الإنسان اليمني أولاً وأخيراً، وثانياً لأن مؤسسها رمز من رموز الثقافة في اليمن والأمة العربية، وهو رجل فاضل لا ينسى بحديثه الممتع، وقيمه الرفيعة التي يؤمن بها، وينقلها إلى أرض الواقع.

١٩٩٧/٩/٣٠م　　　　زكريا شليل

مذيع بإذاعة صوت العرب -القاهرة

كنت أعتقد منذ فترة زمنية بعيدة أني قد سحقت سحقاً تاماً في اليمن، ولم يعد لي أمل في نظرة مستقبلية مهما كانت قصيرة وقريبة.

كان الأستاذ أحمد جابر عفيف يسوعاً آخر في حياتي أعطاني الأمل من جديد. وكانت مؤسسة العفيف الثقافية قلعة آوي إليها وأستفيء بظلها.

أتمنى للأستاذ وأستاذ اليمانيين طول البقاء.

ولمؤسسته - التي دلت على إخلاصه لشعبه وعروبته - دوام الشموخ.

١٩٩٧/١١/٢٢م **محمد العمدي**

باحث

* * *

لقد عدت إلى الوطن بعد غياب لبعض الوقت، وكم كانت سعادتي حين وجدت جهود الأستاذ أحمد جابر عفيف رعاه الله وأطال عمره، قد أينعت وأصبحت ثماراً ناضجة في مؤسسة العفيف الثقافية، وما تحتضنه وتستضيفه من فعاليات ثقافية وموسيقية واجتماعية وفنية.. الخ.

إن الحديث عن رعاية الشباب والاهتمام بهم باعتبارهم نصف الحاضر وكل المستقبل، لا يمكن أن يظل بمعزل عن إيجاد مثل هذه المؤسسة الرائدة، وكما عودنا الأستاذ أحمد جابر عفيف رعاه الله وتعودنا منه، وهو أن يسبق عمله وعطائه العملي ما يدور في خلده من خطةٍ لخدمة الوطن في أكثر من مجال.

هنيئاً لنا بهذا المناضل الفذ الذي قدم عصارة جهده، وقبل ذلك وقته وماله في سبيل أن تصبح مؤسسة العفيف الثقافية موقعاً متقدماً تتصدر محاولات الشرفاء في هذا الوطن من أجل بناء اليمن الذي ننشده جميعاً، يمن الخير والمحبة والازدهار.

حفظك الله يا أستاذ أحمد ورعاك.. ووفقنا إلى السير على خطاك.

مع خالص تقديري ومحبتي وأسمى اعتباري.

١٩٩٧/٧/٢٠م **أحمد يحيى الكبسي**

ديبلوماسي

لا يوجد في هذا الكون أنبل وأرقى من الكلمة الشجاعة الشريفة التي تعني في مضمونها وجوهرها " الثقافة " بكل ما تحمل الكلمة من معنى.. وقد استطاعت مؤسسة العفيف بفضل جهود الأستاذ الفاضل أحمد جابر عفيف أن تضع لبنة جميلة وعظيمة في طريق بناء صرح الثقافة التي يرجوها كل وطني شريف في بلادنا.

ونحن كمثقفين نعتز ونفتخر ونشد بيد مؤسسة العفيف، ونمر معه على طريق الكفاح من أجل هدف سمو الثقافة اليمنية، التي نراها عند البعض.. تأخذ مكانة غير مكانتها وكأنها معه مسدس..غوبلز الألماني الذي قال كلما سمعت كلمة ثقافة أشهرت مسدسي.

لمؤسسة العفيف مكانة في نفوس الجميع.

١٩٩٧/١١/٩م   **د.سلطان الصريمي**

أديب وشاعر

* * *

عندما تسمو الروح الخيرة بالإنسان إلى قمة ما فيه من سمو وقيم أخلاقية، لا يستطيع أن يصل إلى القمة التي يتربع عليها الأستاذ الإنسان أحمد جابر عفيف.

محمد عبدالرحمن الرباعي   **محمد عبدالله الفسيل**

أديب   **مناضل وأديب**

١٩٩٧/٥/٢٥م   **١٩٩٧/٥/٢٥م**

* * *

أسعدني المكان والمكين

الكتب واللوحات وعيون الشباب المتوقدة بحب الأدب والشعر والوطن

سماء صافية للحرف والحب والمستقبل، فبورك كل من سعى ويسعى ليظل هذا المكان بؤرة إشعاع للثقافة في اليمن الحبيب.. مع اعتزازي..

١٩٩٧/٦/٣م   **د. حاتم الصكر**

ناقد عربي كبير

هذه المؤسسة إنجاز حضاري هائل في واقع مشدود إلى الخلف، يكفيها فخراً أنها استطاعت أن تؤسس جمهوراً نوعياً كبيراً في وقت يشكل فيه " القات " المؤسسة الثقافية والفكرية والسياسية والاجتماعية الأولى في اليمن، إنها تتقاطع مع جمهور تلك المؤسسة – الخراب، وتشده إلى واقع مغاير عماده مستقبل مشرق للثقافة بجهود مؤسسة علمية ومعرفية هائلة.

نتمنى لهذه المؤسسة الرائدة اطراد التقدم والنجاح، وتحية للرجل الكبير الأستاذ المثقف والتربوي الكبير أحمد جابر عفيف.

مع التحية للعاملين في المؤسسة.

٢/١/١٩٩٧م — **محمد حسين هيثم**

شاعر وناقد

* * *

عفيف عف عن دنيا — وعن دور التجارة والصرافة

ووظف ما حباه الله فيما — به تسمو منارات الثقافة

ليبقى حاضراً في كل عصر — ويحمل ذكره عبر الصحافة

١٥/٩/١٩٩٨م — **علي عبدالرحمن جحاف**

شاعر

* * *

أود أن أتقدم بكل التهاني لهذا الإنجاز الثقافي المسخر لصالح المجتمع اليمني وأتمنى أن يكون نموذجاً لمراكز أخرى تنتشر في كافة البلاد.

٢٥/٥/١٩٩٨م — **منير بوشناقي**

من قسم التراث الثقافي – اليونسكو

الصديق أحمد جابر عفيف الذي من خلاله عرفت اليمن وأحببته، مبروك هذا المركز وهذه الشمعة المضيئة.. حماك الله ورعاك.

مع احترامي ومحبتي وتقديري.

صنعاء ١٩٩٨/٤/٢٧م **رياض نجيب الريس**

صحفي وناشر

* * *

الأستاذ / أحمد جابر عفيف

لقد كنت أول وزير أدخل مكتبه وأول وزير أصافحه لأسمع منه مباشرة ولأول مرة من وزير.. واستمعت إلى كلماتك المبشرة التي لم تقبل إلا أن تقولها لي واقفاً.. فبشرتني بقبولك لي بترشيحي في منحة دراسية.

م/أحمد قائد الأسودي

١٩٩٨/٣/٧م **باحث**

* * *

إن أقل ما يمكن أن يقال عن مؤسسة العفيف الثقافية أنها منارة ساطعة سيكون لها الأثر الإيجابي في كل فضاء الثقافة اليمنية والعربية عموماً، ونتمنى لها وللقائمين عليها كل الخير والتقدم والرفعة.

صنعاء-١٩٩٧/٥/٢٥م **مصطفى بوطورة**

سفير الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية

* * *

الانبهار بالفكرة والتنظيم والفعاليات التي تقدمها مؤسسة العفيف هي أبسط ما يمكن أن يقال من زائر للوهلة الأولى، حيث إن الهم الثقافي على المستوى الرسمي يحتل قاع هرم الأولويات اليمنية، مما يشكل تهديداً حقيقياً لموروثنا الثقافي والحضاري.

أملي أن أرى مؤسسات أخرى على غرار هذه المؤسسة الرائدة لنكسر حالة الجمود الثقافي، ونخلق حالة من الألفة والإبداع.

٢٦/٤/١٩٩٨م **آمال الباشا**

* * *

الولد العزيز التاريخي الباحث الأستاذ أحمد جابر عفيف حفظه الله وأعانه على ما يقوم به من بحث علمي وثقافي وتاريخي.. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

إليكم كتاب (يا كُلّ هذا العالم لماذا أتيت) للكاتب الكبير القصيمي، وقد طالعت ما يتعلق باليمنيين وصفحات من أول الكتاب، ومؤلفه معروف قدير على الهدم، ولكنه لا يستعمل ملكته الكتابية في البناء، إلى ما يأتي في كتابه من سخرية بالله تعالى ونبيه وكتابه وملائكته، وكم تمنيت أن يمد الله في عمره ليتمكن من الكتابة لتوجيه العالم وتعريفه لماذا أتى، ولكن مع الأسف بلغني أنه مريض، ويتمنى أن يوجه إليه عزرائيل لكمة تنقله إلى العالم الثاني مما يعاني من المرض، وهناك سوف يعرف لماذا أتى. شفاه الله جسمياً وضميراً وهداية.

والله يتولى عنايتكم.. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

٣٠/٧/١٩٩٥م **والدكم / عبدالرحمن الإرياني**

رئيس المجلس الجمهوري الأسبق

* * *

زيارتي لمؤسسة العفيف الثقافية نقلتني إلى زمن آخر.. ذلك.. المغايرة بمعناها الإبداعي المعرفي والوجودي سمة حاسة في هذا الصرح العظيم، الذي يتقدمه رجل بهمة الرائدين وروح الواثقين المتأملين.. الأستاذ / أحمد جابر عفيف رمز لفارس يخوض سماوات الثقة بالمستقبل والتمهيد لمقدماته بالعمل المثابر وإثبات أن هنالك إمكانية كبرى لأن يكون اليوم أفضل من غد والغد أفضل من اليوم.

لقد شاهدت ما يجعلني أنتقل بلغة الكلام إلى زمن الإشارة وما يفيض بجوانح الوجد والفؤاد أملاً مترعاً بالقابليات.. إنها لحظة إبداع تاريخي مداها القادم الأجمل.. يمن بلا قات ولا سلاح ولا موبقات.. حالة استحضار لحكمة التاريخ اليماني ونواميس.. الإقامة في زمن الإبداع والثقافة بروح الرائي وعقلية المتابع حد الظني.. تحية لهذا الصرح العظيم ولمن يقف وراء تفتقاته وحيويته الملهمة..

د. عمر عبدالعزيز
باحث يمني
١٨/٥/١٩٩٩م

مبادرة رائعة للعفيف:

تمنيت أن أكتب عن العفيف صاحب المواقف الوطنية، صاحب الموسوعة اليمنية، مؤسسة العفيف الثقافية، قاعة العفيف الثقافية، صاحب العطاء الدائم.

أنا عاجز عن التعبير فلا يكفي كتاب ولا كتابان، ولهذا أرجو أن يكتب عن العفيف الكثير منذ طفولته وحتى اليوم.. ذلك الإنسان العفيف الذي فضل أن يسكن عيوننا.. أن يستقل بأعماله قلوبنا مفضلاً أن يعيش بعيداً عن

الأبراج الوهمية التي فضلها الآخرون بعيداً عن مدار الوهم البراق.. لقد اختار الخلود كالشمس.

منذ فتحت مؤسسة العفيف أبوابها عرفت الأستاذ أحمد استمعت إلى أفكاره.. تعرفت به عن قرب تعلمت منه الكثير.. يحمل هم اليمن.. الهم الوطني، وهو يحلم بوطن متطور، يحلم أن تنتشر المعرفة حتى تعم سكان المدن والأرياف، يعمل من أجل التغيير، وكثيراً ما يسافر بصحبة أصدقائه إلى المدن اليمنية يلتقي بالشباب يستمع إلى إبداعاتهم يحاضرهم وهو سعيد وعلى وجهه الجميل دائماً ابتسامة عذبة، وصوته يسافر إلى أطراف الوطن.. أطراف العقل..

يحدثنا عن الحب.. الحب لكل ما حولنا، التسامح العطاء.. يحدثنا عن الأخلاق.. النظام.. النظافة الثقافة وضرورة أن يساهم الرأسمال الوطني في انتشارها، يتحدث بصوته العطر الهامس عن سعادته في وجوده بيننا نحن رواد المؤسسة، نستمع إلى محاضرة.. نشارك في نقاش.. نقرأ.

يظل يتمنى على رجال المال أن يساهموا في دعم الثقافة.. أن يذوقوا السعادة، ويسافروا إلى الخلود.. يحلم بطباعة الكتب ورعاية المبدعين يحلم ونحلم معه، فقد علمنا كيف تتحقق الأحلام..

ولذلك سنظل نحلم أن يولد لهذا الوطن ألف عفيف وعفيف..

محمد الغربي عمران

قاص وعضو مجلس النواب

صحيفة الثورة – ١٩٩٦/١١/٢٤م

مؤسسة العفيف.. وقضية المرأة:

قال لي الزميل الصديق الفنان المصور المبدع عبدالرحمن الغابري.. ونحن خارجان من إحدى الندوات بقاعة " مؤسسة العفيف ": " هذا العفيف عفيف بالفعل وشريف ومتحضر ". وأضاف الغابري بطريقته ومصطلحاته وحركاته المعروفة عندما يعبر بحماس عن آرائه: " بالله عليكم، كم من الناس يمكن أن يصنع مثل ما صنع هذا الشخص الذي تنقل في مناصب قيادية في وزارات ومؤسسات وبنوك، خرج منها ببيته.. ومع هذا يتجه إلى تأسيس هذه المؤسسة الثقافية، ويتفرغ للعمل فيها في شتى الأنشطة الفكرية والثقافية، وفوق كل هذا يحول طابقاً من بيته إلى قاعة ومكتبة لهذه الأنشطة؟ ".

وتابع الزميل الغابري وهو ينظف ويرتب ويعيد كاميراته وعدساته إلى الحقيبة في السيارة: " كم هو رائع هذا الرجل! لم يستغل المناصب التي شغلها لجمع المال وشراء العقارات، ولا فكر في أن يستفيد من تجربته وعلاقاته لإقامة مشروع تجاري بإنشاء شركة للاستثمار أو مؤسسة للاستيراد والتصدير، ولا حاول أن يجعل من الطابق الأعلى في بيته سكناً للإيجار بالعملة الصعبة، أو معرضاً تجارياً أو ما إلى ذلك ". واصل الغابري أسئلته وتساؤلاته: " بالله عليكم.. كم من الوزراء والمسؤولين السابقين واللاحقين، لديه الاستعداد لمثل هذا العمل؟.. وكم؟.. وكيف؟.. وأين؟.. ". واستعرض الغابري كل أدوات الاستفهام، وأنا أسمع صامتاً فيما عدا بعض الكلمات التي أؤكد بها تساؤلاته.

عبدالوهاب المؤيد

كاتب وصحفي

صحيفة الميثاق – ١٤/١٠/١٩٩٦م

د. الحضراني والعفيف من يقاتل بجانبهما؟:

أحب أن أتوجه بالدعوة لدعم الجمعية الخيرية لمكافحة أمراض السرطان، وأن أشكر كل من وقف معها وإن بالقليل.. ونأتي إلى المناضل الثاني وهو الأستاذ المربي أحمد جابر عفيف المثقف الذي نرى سيفه يلمع وحيداً وسط الظلام الذي يحاصر الوسط الثقافي والإبداعي في بلادنا.. ويكفيه فخراً أننا لم نسمع منه شكوى العاجز وتذمرات المزايد وتقاعس من يسلك غير ما يقول، ولكنه سارع بإيقاف الثلث الذي يحق له التصرف به من ثروته للثقافة وتشجيع الإبداع، فأوجد مؤسسة ثقافية لم نجد من يتعاون معها ويدعم هدفها العظيم في بناء اليمن الجديد.. ومع ذلك شرعت تعمل ما لم تعمله الأجهزة المعنية.. سواء في مجال المساعدة على البحث أو طبع الكتب، أو تأسيس المشروع الثقافي المطلوب بالعمل الموسوعي لثقافة المجتمع وتاريخه وذاكرته.. وكم أكبرت هذا الرجل عندما دعاني قبل أيام إلى منزله مع الأخ الدكتور / علي محمد زيد، ليناقش معي إمكانية التعاون بين مؤسسته الثقافية واتحاد الأدباء، واستعداده لدعم الإبداع مادياً ومعنوياً.. والقيام بطبع نتاج المبرزين في مجال الإبداع الأدبي والفكري عموماً.

ألا يستحق منا هذا الرجل كل احترام وتقدير؟.. ألم يسلك سلوكاً حضارياً ينبغي أن يكون قدوة لمن لا هم لهم سوى مضاعفة أرباحهم السريعة.. وتراكم ثرواتهم وإن بالمتاجرة في الأراضي.

لن نيأس وسننتظر عفيفاً آخر..

عباس الديلمي

شاعر وكاتب

صحيفة الوحدة – ١٩٩٣/١١/١٤م

الموسوعة اليمنية :

عمل ضخم ومتميز وذكي ونافع في زمن جميل بالوحدة مجدب في العطاء... غطى فيه الهم السياسي كل هم آخر، له من الحاجة ما يدفع الجميع إلى الدهشة والاستغراب للتجاهل العام للثقافة والقضايا الاجتماعية والمفاهيم التنموية التي من الممكن أن تدفعنا خطوة إلى الأمام لنكون قادرين على استقبال المستقبل والتعايش مع الأمم الأخرى بروح حية فاعلة.

أيها الوطن الموشى بالشجون والتضحيات كما لم يوشَ وطن من قبل، لقد هجرك الساسة إلى أحزابهم، والتجار إلى أموالهم، والسواد الأعظم إلى هموم الذات وأوراق القات.. أصبحت وحيداً مثل سيف قديم يوشك أن يموت في غمده، تركوك مثل طفل يعبث بتراب الشارع نسي الماضي ولم يعد قادراً على التفاعل مع الغد.. فما العمل وكيف نوحد أنفسنا فيك بعد أن وحدنا فيك الجغرافيا وخطوط الحدود البغيضة.

قلة – أيها الوطن – هم الذين يعملون ويحاولون إزاحة التراب والتعب عن ملامحك، كما يزيح الأثري غبار القرون البعيدة عن وجه نقش سبئي لنا لكي يقول كيف كان الأسلاف يتعاملون مع الزمن العصي، وكيف صنعوا الجنان في صحراء ليس بها إلا الطير والرياح الخالية.. كيف نتواصل مع النقش السبئي وكيف نتواصل مع ساعة ضبط الوقت الدقيقة المصنوعة في اليابان.. هذا التحدي العجيب لا يمكن النفاذ إليه إلا بالعمل وإحياء الثقافة والفنون وتشبع الروح بالإيمان..

وفي هذه السطور المتواضعة أحببت أن أحيي الأستاذ أحمد جابر عفيف وأهنئه في عمله الجميل، المتمثل في تأسيس مؤسسة العفيف الثقافية، والتي

أصبحت فكرة عملية قدمت عدداً من المطبوعات الهامة، والتي تعدّ بحق إضافة حقيقة للمكتبة اليمنية والعربية، والأستاذ أحمد جابر عفيف غني عن التعريف - بكل تأكيد.. وهو في غنى عن المديح والشكر، ولكن ولابد من رؤية العمل الجميل والاعتراف به - وفي ذلك أضعف الإيمان..

تحياتي وإعجابي..

أحمد ضيف الله العواضي
أديب وشاعر
٢٣/١٠/١٩٩٢م

تحية إلى مؤسسة العفيف الثقافية:

إن مؤسسة العفيف الثقافية تستحق الثناء والتقدير والحقيقة أن المؤسسة أثبتت أنها تهتم بالثقافة والمثقفين.. وما تعقده أسبوعياً وبانتظام من أنشطة أدبية وشعرية وفنية لدليل على أن المؤسسة قد أثبتت وجودها في دعم النشاط الأدبي والثقافي والفني في بلادنا.

إن وراء هذه المؤسسة الثقافية رجل قضى حياته في خدمة التربية والفكر والأدب والنضال الوطني ألا وهو الأستاذ القدير أحمد جابر عفيف، الذي تقلد مناصب قيادية ووزارية وخدم البلاد خدمة كبيرة ومتفانية.

لقد أثبتت مؤسسة العفيف الثقافية قدرتها على خدمة الأدب والثقافة والفن في بلادنا بجدارة واستحقاق، وما تقدمه من إسهامات للنشاط الأدبي والثقافي والفني في بلدنا يعدّ خدمة كبيرة للحركة الأدبية والفنية وتطورها.

إن أحد إسهامات الأستاذ أحمد جابر عفيف صاحب المؤسسة هو أنه قرر بناء قاعة في نادي اتحاد الأدباء تتسع إلى مئة وخمسين شخصاً وهذه إضافات

جديدة للرجل الإنسان، وقـد صرح بذلـك لصحيفـة الثـورة القسـم الأدبـي الشاعر إسماعيل الوريث أمين عام اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين، ومن المتوقع أن يدشن العمل قريباً.

إننا نحيي الأستاذ أحمـد جـابر عفيـف صـاحب مؤسسـة العفيـف الثقافيـة علـى إسهاماته الكبيرة وخدماته الجليلة التي يقدمها إلى الحركة الثقافية والأدبية والفنية في بلدنا، ونأمل أن يقتدي به الكثيرون ممن لديهـم القـدرة علـى تقديـم الإسـهامات، ولكنهم لا يقدمون أي شيء.

محمد راجح سعيد
كاتب وصحفي
صحيفة الثورة – ١٩٩٧/١١/٢٢م

مساحة ضوء (مؤسسة العفيف):

إنـي لتطربنـي الـخـلال كـريـمـة ... طـرب الـغـريـب بـأوبـة وتـلاق

دعوني هذه المرة أحدثكم عن رجـل خـير فتـش عـن سـبيل يسـتطيع مـن خلاله خدمة الناس فلم يجد غير الثقافة، وقد أعطاه الله مالاً ليس بالكثير، إذا ما قورن بسواه، فأعطى أولاده وأهله ما يستحقونه كما لو أنه قد ترك هـذه الحياة الفانية، وأقام بما تبقى له من الثروة مؤسسـة ثقافيـة للنشـر، يسـكن في الطابق الأسفل من منزله،ويدير هذه المؤسسة في الطابق الأعلى منه..

إنه الأستاذ أحمد جابر عفيف أشهر وزير للتربية والتعليـم في اليمـن، ففـي عهده لم تدخل الإيرادات في مجال التربية والتعليم، و لم يكن التعليـم مقسـوماً والمناهج موزعة المصادر والأهداف كما حدث في عهد من جاؤوا بعده.

ومنذ عرفته وهو يحمل للمثقفين وداً كبيراً فقد تولى إدارة ورئاسـة مجلـس

الإدارة ببنك الإسكان، وكانت الأولوية للمثقفين فتركوا بيوت الإيجار وسكنوا في بيوت تخصهم، وذلك بفضل مساعيه وفي أيام الشدة والزنازن تفتح أبوابها والفرار هو السبيل الوحيد لتجنب الشنق والتعليق والمطاردة ترك أحد أصدقائي كل شيء خلفه ونجا بنفسه، إذ ترك رجليه للريح وتضعضعت أحوال أسرته، وعلم الأستاذ أحمد جابر عفيف بالأمر فقرر لأسرة صديقي راتباً شهرياً مدة غياب هذا الصديق كنت أستلمه منه وأسلمه لهذه الأسرة.

لقد كان الهاجس الثقافي قوياً لدى الأستاذ أحمد جابر عفيف فقد قام منذ فترة طويلة بإهداء مكتبة لا بأس بها تتألف من عشرات الكتب إلى مركز الدراسات والبحوث اليمني ولا زالت حتى الآن في المركز تحمل اسمه.

ويعتقد الأستاذ أحمد جابر عفيف أن أهم عمل قام به في مؤسسته الثقافية هو إصدار الموسوعة اليمنية، إلا أنني أعتقد أن نواياه الطيبة وتوجهه هو أهم شيء في الأمر.

إسماعيل الوريث
شاعر – أمين عام اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين
صحيفة الثوري – ١٨/٣/١٩٩٣م

مؤسسة العفيف الثقافية صرح حضاري كبير، ومكسب عظيم لليمن، يقودها مناضل ومثقف ومفكر من الطراز الرفيع يعرف أبجدية العصرنة والتحديث اسمه أحمد جابر عفيف.

عبدالناصر مجلي
أديب يمني مقيم في أمريكا
صحيفة الميثاق – ١٥/٩/١٩٩٧م

استطاع الأستاذ القدير أحمد جابر عفيف أن يجعل من مؤسسته قلعة من قلاع الثقافة والفكر والأدب، في زمن التهافت والسقوط، والواقع أثبت أن معدن الرجل من الأحجار الكريمة النادرة، ليس لأنه أوقف جميع ثروته لخدمة الثقافة والفكر والأدب والفن فحسب بل لأنه فعلاً قدوة في تطابق أقواله وأفعاله بعيداً عن المزايدات والتعامل الحزبي والانتقاء الثقافي.. إنه أحد أعلام اليمن الذين أثبتوا مكانتهم بجدارة واستحقاق ذاتي بعيداً عن الحزبية والمذهبية، أليس العفيف أنموذجاً لهيمنة الثقافي على السياسي؟

عبدالفتاح البتول

كاتب

صحيفة الجمهورية – ١٩٩٧/١١/٦م

فرد يتحول إلى مؤسسة نهضوية:

كما في عصر النهضة الأوروبية وإشراقات النهضة العربية في القرن الماضي، ينقطع فرد بإمكاناته جميعاً ليؤسس عملاً ثقافياً رائداً.. إنه أحمد جابر عفيف وزير تربية يمني سابق، وقد أسس الموسوعة اليمنية، وهو رجل مشهود له بمساهماته في حقول التربية والثقافة والعمل الوطني، وتتلخص مهام المؤسسة في إعداد ونشر القواميس والمعاجم الخاصة بأعلام اليمن ومدنها وقراها ولهجاتها، وفي تحقيق ونشر المخطوطات اليمنية، وتبني ونشر النتاج العلمي والفكري للكتاب اليمنيين المعاصرين، وترجمة أعمال الدارسين والباحثين الأجانب المتعلقة باليمن.

مجلة الأسبوع العربي

تصدر من مصر

١٩٩٣/٧/١٢م

مؤسسة العفيف الثقافية (الثقافة والرجل):

الأستاذ أحمد جابر عفيف واحد من كبار المبتكرين الذين ألهموا أن يقدموا لبلدهم مشروعاً كبيراً جداً، فكان هذا المشروع هو مؤسسة العفيف الثقافية.

إنها أول مبادرة ثقافية بحجمها، وأهدافها، وغاياتها يقوم بها رجل خير في اليمن، وفي غير اليمن من الأقطار العربية على حد علمي.

إنها مبادرة في شكل مؤسسة ثقافية تعنى بطبع ونشر الكتب التراثية، والجديدة النافعة والمفيدة للثقافة في اليمن، وتأريخه الحضاري الأصيل.

أوقف لها جزءاً من ماله، وشكل لها مجلس أمناء من أعلام اليمن العلماء البارزين، وحاطها بنظام وقانون ووصية تحدد وتوضح مسارها في حياته وبعد مماته أطال الله عمره، وتحوط لها أيضاً من كل وارث أو نزعة غير جيدة من الآخرين، وأرضى نفسه، والثقافة التي تعيش هماً في صدره، وأرضى أهله وذويه ومحبيه، والذكر الحسن الذي يكتبه في سجل الخالدين.

محمد الشرفي

شاعر وكاتب مسرحي كبير

صحيفة المستقبل

٢٤/١/١٩٩٣م

الفلسفة وتربية البشرية:

كان وسواس إلغاء جامعة صنعاء من مهام حزب الإسلام السياسي منذ إنشائها، ومن حسن حظ الجامعة أن وزير التربية والتعليم الذي تصدى لمحاربة وضع أسسها كان في تلك الفترة السيد أحمد جابر عفيف، والذي يواصل دوره المتميز في المجال الثقافي بواسطة مؤسسة العفيف الثقافية، التي غدت جهودها إدانة صامتة للمؤسسات الثقافية الرسمية، ولولا نشاط هذه

المؤسسة، وما تقوم به في مجالي الأدب وتشجيع الفنون التشكيلية لظن الإخوة العرب والأجانب أن البرع الرسمي هو الفن الوحيد الذي يعرفه اليمانيون.

د. أبو بكر السقاف

أستاذ في قسم الفلسفة – جامعة صنعاء

صحيفة الشورى – ١٩٩٨/٤/١٩م

مؤسسة العفيف والدور التنويري:

يعد الأستاذ / أحمد جابر عفيف الذي أسهم بماله وجهده في إحياء الثقافة والأدب والفكر في اليمن أحد عناصر التنوير في اليمن وسوف يدخل التاريخ كأحد العناصر التي ساهمت في إخراج العقل اليمني من عصر البدائية، وضلال العصور الوسطى إلى آفاق العصر الحديث. كل هذا لأن الأستاذ أحمد جابر عفيف لم ينظر للمال كصنم يجب عبادته، وإنما نظر للمال كوسيلة لبناء المجد الوطني، وأثبت بهذا أن المال ليس الهدف منه تحقيق المتع الشخصية، وإنما بناء الشعوب فخرج بهذا عن قاعدة الرأسمالية العربية التي لا ترى في المال إلا وسيلة لبناء المجد الذاتي لا الوطني فخلد اسمه إلى الأبد كواحد من بناة العقل في اليمن.

عبدالكريم عبدالله السوسوة

كاتب وناقد

صحيفة الثورة – ١٩٩٨/٥/٢٨م

الوالد والعم والصديق / أحمد جابر عفيف الأكرم

بعد التحية:

عند مطالعتي لمشروع كتابكم اعترف بأني لم أفلح في أية إضافة ابتداءً من عنوانه الرائع والمثير "شاهد علي اليمن" ومروراً برسالة أبنائكم (أبناء الفكر والذين يملكون شرعية أبوتكم بحق) المعبرة والصادقة وانتهاءً بما كتبتموه تحت عنوان تمهيد، والذي نقل وبكل جدارة الصورة العصرية بل والعلمية لطريقة وأسلوب نشر أي مذكرات.

إن أهمية هذا المشروع في نظري ينسجم مع القسمة الشرعية الإسلامية ((علم ينتفع به)) كون رحلتكم في الحياة ملكية عامة لكل يمني.

أطال الله عمركم وأمدكم بالصحة والعافية.

مع كل حبي،،،،

ولدكم /

يحيى حسن سويد

١٩٩٩/٢/٢٦م

متى يكون لدينا عفيف كهذا في حضرموت..؟ :

كثيراً ما نسمع خبر إقامة فعاليات ثقافية وإبداعية على صفحات الصحف المحلية، بأنه سيقام عصر يوم كذا أمسية شعرية، ويوم كذا صباحية أدبية في مؤسسة العفيف الثقافية بصنعاء، وكثيراً ما يهزنا الشوق واللهفة لرؤية وسماع ما يدار في هذه الفعاليات الأدبية التي تقام في صنعاء.

ومحافظة حضرموت.. حضرموت الحضارة والتاريخ والأصالة والتراث والإبداع تطمح إلى وجود من يتبنى ويدعم الإبداع والثقافة فيها وهي بحاجة ماسة إلى مثل هذا الطود الشامخ المسمى " أحمد جابر عفيف "، والذي أثبت بحق أنه رجل ولا كل الرجال.. رجل وهب حياته لهذا الوطن وأبنائه، وانفرد عن غيره بحبه غير المحدود للأدب والأدباء والشعر والشعراء، والثقافة وأصحابها، والإبداع ومحترفيه.

صلاح أحمد العجيلي

صحيفة الوحدة – ١٤/١/١٩٩٨م

لمؤسسة العفيف الثقافية وحدها:

بجدارة ومسؤولية كبيرة استطاعت مؤسسة العفيف الثقافية وحدها أن تعيد اعتباراً لآدميتنا المسلوبة على مدار شهور وأيام السنة، والتي تسحق تحت وطأة قربعة " البرعين" وقربعة الفئران.

فبرنامجها الثقافي المتميز نتنفس من خلاله هواءً ثقافياً نظيفاً خال من أي استخفاف، وضحك على الذقون باسم الثقافة.

فتحية إجلال وإكبار لهذه المؤسسة وراعيها الأستاذ أحمد جابر عفيف، التي تجتث الغباء الثقافي المسيس.

صحيفة الشورى

العدد (٢٨٢) – ٢٦/٧/١٩٩٨م

المنظمة العربية للدفاع عن القدس:

شهادة عضوية

الأخ الأستاذ / أحمد جابر عفيف الموقر

بـالغ الغبطـة والبهجـة والمسـرة الدائمـة تتشـرف المنظمـة بـأن تتقـدم إلى رحابكم الزكية بهذه الشهادة التقديريـة. وذلـك افتخـاراً بمكـانتكم الوطنيـة المرموقة والمعتبرة، واعتزازاً باشتراككم الميمون في عضوية المنظمة وإسـهامكم الجاد في تحقيق أهدافها الإسلامية الخالدة على طريق الدفاع عن قضية القدس الشريف والمسجد الأقصى المبارك.

أدامكم الله عوناً للوطن والأمة

وبالله التوفيق،،،،

عبدالرحمن سلطان

رئيس المنظمة

صنعاء في ٢٥ جمادى الأولى ١٤١٧هـ

الموافق ٧ أكتوبر ١٩٩٦م.

بسم الله الرحمن الرحيم

الجمهورية اليمنية

وزارة الثقافة والسياحة – اللجنة العليا لمهرجان صهاريج عدن

مكتب وزارة الثقافة والسياحة (عدن) الثقافي الدولي الأول

شهادة تقديرية

تقديراً للعطاءات الإبداعية التي تقدمها مؤسسة العفيف الثقافية، وإسهامها في رفد وإثراء الحركة الثقافية والإبداعية اليمنية، والنهوض بها، تقرر منحها هذه الشهادة عرفاناً بدورها وتثميناً لجهودها المتميزة.

يحيى حسين العرشي

وزير الثقافة والسياحة

صادر في عدن في ١٠/١٢/١٩٩٥م

الأخ الفاضل الأستاذ / أحمد جابر عفيف المحترم

تحية طيبة وبعد:

سعدت برسالتكم التي وصلتني بالأمس ومعها الموسوعة اليمنية في مجلدين، فلكم أجزل الشكر على مبادرتكم هذه، وعلى هذه الهدية الغالية التي لا تقدر بثمن.

وأهنئكم كثيراً على هذا العمل الفذ، الذي تطلب منكم دون شك جهوداً مضنية وهو بحق عمل معجز، ما كان ليرى النور لولا عزيمتكم الصلبة، وإيمانكم العميق برسالة العلم ودوره في بناء الغد العربي المأمول.

كدت لا أصدق نفسي عندما قلبت صفحات الموسوعة، واطلعت على بعض موادها، وشهدت إخراجها الأنيق الرائع، وهو عمل تنوء بحمله العصبة أولي القوة، وقد توليتم حمله، مع إخوان لكم يشدون أزركم.

القليل الذي قرأته بين مواد الموسوعة أكد لي رفعة مستواها وجدية محتواها العلمي ودقة معلوماتها، وأرجو أن أوافيكم في رسالة تالية بانطباعات أكثر تفصيلاً.

جلب نظري – مع ذلك – خلو الموسوعة من فهرست شامل للمواد الواردة فيها، وآمل أن تستدرك ذلك في الطبعة الآتية.

أعادتني رسالتكم الرقيقة، وأعادني لقاؤنا الأخير في بيروت، إلى الأيام التي قضيناها معاً في اليمن، يوم كنتم ترعون وزارة التربية، ويوم كانت شؤون التربية والثقافة في أوج انطلاقها.

في الختام، أرجو أن تتقبلوا مرة أخرى تهنئتي لكم بهذا العمل الرائد، وأسال الله أن يشدّ دوماً عزيمتكم لتكملوا المهمة الثقافية التي عزمتم على الاضطلاع بها يوم بنيتم مؤسسة العفيف الثقافية.

مع أطيب التحية وخالص الود وأجمل الذكرى

د. عبدالله عبدالدائم
وزير التربية والتعليم السوري الأسبق
دمشق – ١٩٩٩/٤/٩م

" وهكذا هي الحياة، امتداد وتواصل بين الأجيال، وأهم ما فيها بل جوهر ديمومتها وتقدمها هو العطاء. وكما هو معلوم للكثير منكم، فقد وهبت جل حياتي لقضايا التعليم والثقافة في بلدي، وكان ولا يزال يلازمني إيمان عميق بأنها المدخل الحقيقي والأكيد لأحداث النهضة التنموية الشاملة لشعبنا على كل الأصعدة. وأنا الآن عندما أشاهد أبنائي وأحفادي وهم يؤسسون ويبنون صرح العلم والمعرفة على طريق التقدم والحياة السعيدة، أشعر أن كل جهد أسهمت به مع غيري من المخلصين لم يذهب سدى، وهذا ما يمنحني الطمأنينة والرضاء عن النفس ".

من كلمة الأستاذ: أحمد جابر عفيف
التي ألقيت بمناسبة حفل منح
جائزة العفيف الثقافية
– مجال القصة القصيرة–
للقاصين هدى العطاس، ووجدي الأهدل.

رسالة بريدية عاجلة على DHL

(جغرافيا) من جنوب آسيا إلى جنوب أفريقيا

عزيزي نيلسون مانديلا

كيب تاون (جنوب إفريقية)

ص.ب:-(١).

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

هكذا ساقتني الأقدار أن أحبك من القلب وأنا أتابع سيرة حياتك سواءً كنت في السجن، ولمدة ٢٧ عاماً أو بعد أن خرجت كما قال زعيم وطني الزبيري الخالد:

خرجنا من السجن شم الأنوف   كما تخرج الأسد من غابها.

والتف الشعب من حولك (السود والبيض) لأنك كنت تحمل بيدك اليمنى ميزان الحياة فالأسود في كفة والأبيض في الكفة الثانية، والجميع ينعم بالمساواة والعدالة.

هل أحدثك أيضاً عن بلدك الذي أعرف عنه ما تيسر من خلال القنوات الفضائية والصحف المختلفة، تقف مع كلينتون كالطود العالي وتحضن الطفل الأبيض بجانب الطفل الأسود بقلب يمتلئ بالأبوة والعطف والحنان، وتنظر بعينيك النافذتين إلى شعوب أفريقيا تحاول أن تضمد جراحها وتدرأ عنها ما خلفه الاستعمار وما تمارسه سلطاته الوطنية على مواطنيها الأبرياء الفقراء من حكم ديكتاتوري، ونهب وسلب المال العام والخاص، وكانت أخر محاولة لك مع موبوتو حاكم زائير الذي طرد ومات في المغرب ومعه حوالي ستة مليار دولار لم تسعفه عن سرطان الموت.

هذه نبذة مختصرة عن بلدك، فهل تعرف شيئاً عن بلدي؟.. لا أدري وكفى، لكني وقد أردت لنفسي أن أكون صديقك بالسماع، سوف أحدثك قليلاً لأن وقتك الثمين تعطيه لمواطنيك ووطنك.

بلدي لما يدخل القرن العشرين، ونحن داخلون القرن الحادي والعشرين، ذلك أن المبارزة والمناطحة والألعاب البهلوانية بين السلطة والمعارضة لا يهتم بها المواطن، وكأن لسان حاله يقول: ﴿ضعف الطالب والمطلوب﴾ وأمر واحد فقط يجمع السلطة والمعارضة بل يتسابقون إلى تعميمه ويتفاخرون به والتف الشعب حولهم واختلط الحابل بالنابل، وهم يمارسونه جميعاً بمباهاة ومفاخرة، إنه الثلاثي الذي ندخل به القرن الحادي والعشرين، هل تريد أن تعرف هذا الثلاثي الذي هو على امتداد الساحة اليمنية في العاصمة والمدن والقرى على حد سواء، ونستوي فيه جميعاً من الأعلى إلى القاعدة " القات والسلاح والثأر " حتى مساجد الله يدخل إليها ذوو المناصب وحولهم عدد من حرسهم يحملون السلاح دون خجل من الله ومن المصلين المساكين البؤساء.

ربما عزيزي مانديلا تشك في كلامي هذا لأنه من غريب الزمن ولكنها الحقيقة التي يعيشها بلدي.

هل تعرف أن بلدي قتلته شجرة القات وحصدت أرضه حصداً وما يصرفه يومياً يفوق الثمان مئة مليون ريال أي بما يساوي ٦،١٥٠،٠٠٠ دولار أمريكي، ويقضون جل ساعات اليوم في الاستعداد والتحضير والكيف، وسأبعث إليك بكتابين عن القات في بريد لاحق. أما السلاح والثأر فلا أستطيع وصفهما في هذه العجالة وعندما يستقر الإنسان في بداية القرن القادم على كواكب الفضاء وما بعد الفضاء ربما يستيقظ أحفاد أحفادي على ما تركه لهم آباؤهم وأجدادهم هذا حلم في عالم الخيال.

عزيزي مانديلا:

لكي أثبت لك باليقين إعجابي وحبي فهذا ما قرأته في صحيفة الحياة بتاريخ ٢٩ أبريل ١٩٩٥م وصورته كيب تاون (جنوب إفريقية) ف ب- بث الإذاعة في جنوب إفريقيا أمس أن رئيس البلاد نلسون مانديلا باع بعض قمصانه وأحذيته لمساعدة فرع المؤتمر الوطني الإفريقي (الحزب الحاكم) في كيب تاون لأنه يواجه بعض الصعوبات المالية، وخلال مزاد علني جرى مساء الجمعة بيع قميصان من القمصان الملونة التي تستهوي الرئيس بـ(١،٠٠٠) دولار و(٢،٠٠٠) دولار للقميص الثاني، وبيع حذاء للرياضة كان ينتعله مانديلا خلال فترة سجنه بـ(٢،٥٠٠) دولار، وعرضت للبيع أيضاً أشياء أخرى يملكها مانديلا، مثل نظارات، كأس من الكريستال، وبعض صفحات مذكراته " المسيرة الطويلة من أجل الحرية " مكتوبة بخط يده، وصلت القيمة الإجمالية للمبيعات (٣٧،٥٠٠) دولار أمريكي.

فهل تأكدت أيها الإنسان العظيم أنني أتابع سيرتك.

لنا لقاء آخر وفي بريد آخر.

مع كل حبي وتقديري،،،،

صديقك / أحمد جابر عفيف

(نشرت في صحيفة البريد الأدبي)

عزيزي .... مع التحيات والأشواق

بعد اتصالي بك بالأمس وقبله بالفاكس، شعرت بألم وحزن وعتاب نفسي لما وصلنا إليه من التعاسة والهزيمة الأخلاقية كيف أطلب منك إرسال قيمة الموسوعة من شهور دون أن أُعطي المبررات الكثيرة والمحتملة والغير محتملة، ولما نعانيه كمجتمع، يعيش حياته من أجل القات ويصرف الملايين يومياً، ويمضي الساعات الطوال يومياً ويمرض بكل أنواع الأمراض السرطانية والعقلية، وترهل الفكر والغثيان، وهو مصر وبقوة على الاستمرار، ويتصدر هذه الجريمة في هذا العصر مثقفونا ودكاترتنا وأساتذة جامعاتنا، هكذا حياتنا اليومية، وبدون رؤية وبدون مراجعة بل العكس تماماً، فالغني يزداد غنى ويسحق الفقير بل يأكل اللقمة من فمه إن وجد أن هناك لقمة. لا أدري وأنا ابن السبعين عاماً إلى متى وإلى أين نحن ذاهبون؟

عزيزي هذه الخواطر التي لا تعني شيئاً في هذا اليباب المظلم بل أنا لا أدري كيف أخذت قلمي لأسطر هذه الحروف بمناسبة أو بدون مناسبة، بلى تذكرت المناسبة بل وألف مناسبة هذه الذكرى دفعتني أن أشير إلى أن أحد تجارنا الكبار كلمته لشراء كاميرا فيديو للمؤسسة بسعر متواضع على أن أدفع له النصف من القيمة، وهذه إحدى غلطاتي فعاد من بلد خليجي يعتذر أنه لم يجدها، وتراكمت أمام عقلي الأحزان والآلام.

وقبل أسبوع التقيت بأحدهم، وكان أحد أصدقائي القدامى.. وجدت كرشه منفوخاً إلى صدره وجنبيته ارتفعت إلى صدره، وهو يشعر بالسعادة، هل تصدق مثل هذا إن الدولة العلية لا تقدم أي عون أو هبة لهذه المؤسسة التي وهبتها كل حياتي، وما أملك، وأحمد الله أنني لست من التجار ولا من الأغنياء.

وهل عندك خبر أنني منذ شهر أقوم ببناء قاعة متكاملة، قد تكلفني أكثر من أربعة ملايين ريال باسم اتحاد الأدباء والكتاب، وهذا المبلغ على حساب ما أوقفته للمؤسسة، بل هو من العظم وليس من اللحم، لكنني أشعر بسعادة غامرة، ويكفيني هذا.

إنما كيف أقوم بمثل هذا بينما أطلب من تاجر كبير يملك مئات الملايين شراء كاميرا وعليه نصف القيمة، أليس في هذا غرائب الإنسان ماذا تسميه.. يا ابن هذا العصر المتخلف، لقد عاتبت نفسي عتاباً مراً عندما كلمت هذا التاجر، وعتاباً هزلياً عندما طلبت منك إرسال قيمة عدد من الموسوعة اليمنية، كيف تفسر هذا السلوك وأنا أعرف مدى نباهتك وذكائك بعدم الرد على رسائلي المتكررة.

أعترف لك أنني على خطأ، وأن هذا غريب عليك فهو لا يعنيك من قريب ولا من بعيد، ولكنها زفرات نفسية سأكتبها لتطير من هنا إليك فارمها في البحر، إن كان قريباً منك، أو في سلة المهملات، وهي المكان القريب إلى عقولنا.

معذرة مع تحياتي،،،،

والدك/

أحمد جابر عفيف

١٩٩٧/١١/١٢م

الفصل السادس عشر

ملحق الوثائق والصور

وثيقة العهد والاتفاق

إيضاح لا بد منه:

في يوم يمني مشهود وفي حفل تاريخي في عمان عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية حضره الرئيس علي عبدالله صالح، ونائبه / علي سالم البيض، والشيخ / عبدالله بن حسين الأحمر رئيس مجلس النواب، ورؤساء وأمناء الأحزاب والتنظيمات اليمنية، وأعضاء لجنة حوار القوى السياسية.

وبرعاية وحضور جلالة الملك الحسين بن طلال وقادة الأردن، وقيادات عربية وعالمية.

تم في هذا اليوم توقيع وثيقة العهد والاتفاق وتم نقل الحفل مباشرة بالفضائيات العربية والعالمية إلى أنحاء العالم.

ما الغرض من نشر هذه الوثيقة بعد مرور سنوات عليها..؟

هذا السؤال متوقع طرحه.. ولذلك فإنني أوضح هنا بعض الدوافع والأسباب التي حدت بي إلى نشرها.. وأول تلك الأسباب.. أن المقدمات التي كانت هذه الوثيقة نتيجتها.. صارت جزءاً من تاريخ الوطن.. وحيث كنت مقرر اللجنة (لجنة حوار القوى السياسية).. قد انغمسنا في حوارات مكثفة.. وحاسمة اشتركت فيها جميع القوى السياسية من أجل وضع

استراتيجية متفق عليها لبناء الدولة اليمنية.. وكانت نتيجة تلك الحوارات هذه الوثيقة.

أما السبب الثاني فهو التوثيق.. الذي نحن أحوج ما نكون إليه.. ومن حيث -أيضاً- أن نسخة الوثيقة التي بين يدي هي النسخة الأصلية.. فإنني أجد أن واجبي الوطني يفرض عليّ نشر الوثيقة على هذا النحو..

ثم إن الوثيقة بكل المقاييس وثيقة تاريخية تشهد على فترة من أهم الفترات في تاريخ اليمن الحديث.. فهي صوت العقل والحكمة الذي حاول اليمنيون به أن يتلافوا إراقة الدماء.. وأن يحفظوا النفوس والوطن.. ولما كنت قد تحدثت حديثاً مستفيضاً في مكان سابق من هذا الكتاب عن تلك الفترة.. فإن نشر الوثيقة هنا.. توضيح لازم لما أسلفت.. وتأكيد له.. وبذلك أكون قد شهدت شهادة اجتهدت ما وسعني الجهد أن تكون صادقة وعادلة على فترة حافلة من تاريخ الوطن..

ما آمله وأتمناه أن تكون هذه الوثيقة درساً مفيداً للأجيال القادمة من أبنائي.. الذين أرجو أن تتعدى استفادتهم منها مجرد المعلومة التاريخية..

سفارة المملكة الأردنية الهاشمية

صنعاء

مكتب السفير فبراير ١٩٩٤م

خاص

الأخ / أحمد جابر عفيف المحترم

مقرر لجنة الحوار

تحية طيبة.. وبعد:

أرجو أن أعرض للأخ الكريم بعض النقاط التي لابد من أخذ أجوبة دقيقة عليها حتى يتمكن الجانب الأردني من اتخاذ الترتيبات الضرورية بما يتناسب وأهمية الحدث:

١- موعد سفر الأخ الرئيس ومن سيكون معه على الطائرة (الأعداد،الأسماء،الألقاب).

٢- موعد سفر الأخ النائب ومن سيكون معه على الطائرة، وبنفس الكيفية.

٣- مواعيد سفر بقية الأعضاء الذين سيحضرون وصفاتهم.

٤- هل سيسافر بعض الإخوة قبل سفر الأخ الرئيس والأخ النائب (أعدادهم، مواعيدهم، مواقعهم الرسمية).

٥- متى سيوقع:

أ- أمناء الأحزاب.

ب- لجنة الحوار.

جـ- ومن ثم الأخ الرئيس، النائب، رئيس مجلس النواب.

٦- مسؤولية طباعة الوثيقة والملاحق وترتيبها في ملفات.

٧- هل هناك متوقع أعداد أخرى غير التي ستعلن (تقدير ذلك).

٨- هل سيحتاج أيّ من الأعضاء الرسميين للعلاج من أجل ترتيب ذلك، أو للفحوصات الطبية،أو إذا كانت هناك رعاية طبية خاصة مطلوبة لأي من أعضاء الوفد.

٩- يطلب التلفزيون الأردني (القناة الفضائية)، بعض الوثائقيات عن الوحدة لبثها في القناة الفضائية، وسيكون هناك مقابلات حول الحدث مع بعض أعضاء الوفود، وستبث من خلال (القمر الفضائي العربي).

١٠- الإعلاميون من اليمن، من سيحضر منهم، بصفة رسمية، ومن سيحضر بصفة غير رسمية، كي تتخذ وزارة الإعلام الترتيبات الضرورية لتسهيل مهمتهم وإعطائهم التصاريح اللازمة.

١١- الموعد المتوقع لمغادرة الوفود، وهل هناك تفكير كي يقوم بعض الوزراء المشاركين بإجراء مباحثات ثنائية.

١٢- أي ملاحظات يرغب الجانب اليمني استيضاحات حولها أو يطلب إجراؤها.

السفير

د. فايز الربيع

خطاب جلالة الملك / الحسين بن طلال
بمناسبة توقيع وثيقة العهد والاتفاق اليمنية

عمان

١٠ رمضان ١٤١٤هـ

٢٠ فبراير ١٩٩٤م.

من وثائق
أحمد جابر عفيف
مقرر لجنة الحوار
للقوى السياسية اليمنية

بسم الله الرحمن الرحيم

والصلاةُ والسلامُ على نبيِّهِ العربيِّ الهاشميِّ الامينْ

سيادةَ الأخِ رئيسِ مجلسِ الرئاسةْ ،

سيادةَ الأخِ نائبِ رئيسِ مجلسِ الرئاسةْ ،

أيها الإخوةُ الاعزاءَ

السلامُ عليكمْ ورحمةُ اللهِ وبركاتهُ وبعدْ ،

ياخيرةَ الخيرةِ منْ أهلِ اليمنْ ، يا أهلَنا وأحباءَنا رعاكم اللهُ ، وهدانا وإياكم إلى سبيلِ مرضاتِهِ أبدا ، ها أنتم واليمنُ مثلُ كلِّ بعيدٍ رائعٍ لا يُنالُ الا بعدَ قطعِ مسافةٍ إليهْ ، وقدْ قطعناها طيلةَ شهورٍ خمسةٍ تلبيةً لنداءاتكِمْ ونداءِ الواجبِ نحوَ الأخوةِ ، وصوناً للوحدةِ ولكلِّ الآمالِ والمثُلِ والقيمِ التي تعمُرُ قلوبَ كلِّ العربْ ، ولقدْ ظلتْ فيها قلوبُنا مشدودةً إلى صنعاءَ وعدنْ ، إلى الرجالِ الذينَ صنعوا الوحدةْ ،

ومضَوْا يحملون عِبءَ حِمايتِها / لتكونَ مُقدِّمةً واسهاما

في نهضةٍ عربيةٍ شاملةٍ / في مُواجَهةِ التشظّي والتشرْذُم

والإقليميّةْ / نهْضةٍ قواعِدُها الحريةُ والديموقراطيةُ /،

والعدالةُ والإخاءُ والصّفاءُ والثّقةُ والتكامُلْ / وقد بَدأناها

قَبلَ سنواتٍ طويلةْ / فالتقيْنا إخوةً في العروبةِ والإسلامْ /

ونزَعْنا مِنْ نفوسِنا ونحنُ نؤسّسُ مَجلِسَ التعاونِ العربيّ

مَعْ أبناءِ عُمومَتِنا / كُلَّ مَنْفَعَةٍ إقليميةْ / أو حِسٍّ قُطْرِيّ ،

أو غايةٍ صَغيرةْ / ونَادَيْنا بقِيامِ عِقْدٍ جَديدٍ بَيْننا /

بالوعيِ والصَبْرِ والرِّضا / وقُلْنا لتكُن المسيرةُ مُشْتَرَكَةً

واحِدةْ / تَنْشُدُ الخيرَ للعربِ كُلّهم / وتَسْعى الى حَشْدِ

طاقاتِ الأُمةِ / على طَريقِ الوَحْدَةِ والكرامةْ / وأرَدْناها

مَسيرةً تَمُدُّ أغصانَها مِثْلَ شَجَرَةٍ مُباركةْ / لا تَنْحني إلا

لِتُعطيَ خَيْرَها لَنا جميعاً / ولْيَكُن مَسيرُها الى الذُّرى /

بِاسمِ الأجيالِ التي تَحْلُمُ بالأمةِ والرّسالةِ العربيّةْ / في

مَداهُما الإنسانيّْ / والوعيِ الذي تَنْبُتُ في ظِلالِهِ

سَنابِلْ / وكُتُبٌ وجامِعاتٌ ، ومَدارِسْ / ورواياتٌ ، ومُدُنٌ

وقُرى / تُحْتَرَمُ فيها حُقوقُ الإنسانِ وكَرامتُهْ / وتَكْبُرُ فيها

أحلامُهُ، كما كانتْ أحلامُ أجدادِنا قادةِ ثورةِ العربِ الكُبرى، يَوْمَ طَلَعوا على الدنيا بِحُلُمٍ عَظيمٍ، بِدَوْلَةٍ عَرَبِيّةٍ واحِدةٍ تَمْتَدُّ كما امتَدَتْ ذاتَ زَمانٍ، مِنْ مَطْلَعِ الحِكْمَةِ في اليمنِ إلى مَغْرِبِ الشمسِ عِنْدَ مَوْقِفِ عُقْبَةَ بن نافعٍ على بَحْرِ الظُلُماتِ، وإنْ كانَ في هذا الزمانِ حُلُمٌ في تَحقيقِ التكامُلِ العربيّ، وَفَتْحِ آفاقِ التعاونِ الصادقِ الخَيِّرِ لِكُلِّ العَرَبِ، وفيما بَيْنَهم، فَلْيكُن على هَدْيٍ مِن قَولِهِ تَعالى، "وَتَعاوَنُوا على البِرِّ والتقوى ولا تَعاوَنُوا على الإثمِ والعُدوانِ".

وحِيـنَ وَقَعَتْ أَزْمَةُ الخليجِ وأَصابَ أُمَتَنا مِنْ جِراحِها ما أَصابْ، كُنّا قَبْلَ وُقوعِها نُحاوِلُ عِلاجاً عَرَبِيّاً لجِراحٍ عربيّةٍ، وقَدْ حاوَلْنا وتَحَرَّكْنا بِكُلِّ ما أُوتينا مِنْ طاقةٍ وقُدْرةٍ لِنَحُولَ بينَ الأمّةِ والكارثةْ، وغايَتُنا في ذلكَ كُلِّهِ مَرْضاةُ اللهِ وراحةُ الضّميرْ، إلّا أَنَّ الأُمورَ سارَتْ على غَيْرِ ما أَرَدْنا، وبالرَّغْمِ مما خَلَّفَتْهُ تلك الأَزْمَةُ مِنْ شُروخٍ ورُكامْ، فإنّنا لنْ نَياسَ من انبلاجِ

صُبْحٌ جَديدٌ بعْدَ ليلٍ طويلٍ دامسٍ، يُعيدُ المياهَ الى مجاريها نقيّةً صافيةً في نهرِ أُمتنا الخيّرِ العظيمْ.

أيّها الإخوةُ والأهلُ والأحبّةُ

ها هيَ عمّانُ تسعَدُ بلقائكم، وقد أرّقها ما شجَرَ بينَ الإخوةِ من خلافٍ وصدامْ، كما يُؤرّقُها جُوعُ أطفالِ الأمةِ المحاصَرينَ، وأُمّيةُ بعضِ أجيالِها، وجفافُ بعضِ شجرِ الأمةْ، وضياعُ كثيرٍ من ثرواتِها هنا وهناك. وقد ناضَلْنا في هذا الوطنِ في وجهِ المفاجآتِ المؤسفةِ السوداءْ المظلمةْ، كما ناضلَ عربٌ أحرارٌ في مواقعَ كثيرةٍ منْ أرضِ الأمةْ، كيْ تظلَّ صورةُ الوحدةِ قائمةً في النفوسْ، حاضرةً في الأذهانْ، وتظلَّ أمّتُنا كما أرادَها اللهُ سبحانَهُ وتعالى خيرَ أمّةٍ أُخرجتْ للناسْ، تُغيثُ الملهوفَ، وتُنصفُ المظلومْ، وتُطعمُ الجائعْ، وتحمي الثغورْ، وتؤمّنُ الخائفْ. وبحثْنا عن صيغٍ للوحدةِ لم تكنْ الجامعةُ العربيةُ أولاها، بلْ كانتْ الحكومةُ العربيةُ في دمشقَ طليعتَها في زمنِ فيصلِ بنِ الحسين،

وَرَحَّبْنا بِكُلِّ مَسْعىً قوميٍّ وَوَجَّهْنا الدعوةَ إلى تأسيسِ نِظامٍ عربيٍّ جديدٍ وَوَقَفْنا ضِدَّ كُلِّ تَدَخُّلٍ أجنبيٍّ أَمَلاً في أَنْ تُثْمِرَ جُهودُنا في مُعالَجَةِ جِراحِنا العربيّةِ النازِفَةِ مِنّا جَميعاً وَحاوَلْنا مَنْعَ أيِّ قَطيعةٍ بَينَ الأشِقّاءِ، وها نَحْنُ على الموقِفِ نَفْسِهِ وإنْ كانَ العالَمُ مِنْ حَوْلِنا يَتَغَيَّرُ فَلْيَكُنْ تَغَيُّرُنا نَحْوَ الأفضَلِ بِتَوفيقٍ مِنَ اللهِ القَديرِ، فهذا أَمرٌ طَبيعيٌّ. أمّا الذي لا يَتَغَيَّرُ فَهُوَ المبادِئُ الراسِخَةُ المتَدّةُ جُذورُها في صُدورِ الرِّجالِ الذينَ بَنَوْا سَدَّ مَأْرِبَ ذاتَ زَمانٍ بَعيدٍ، والرِّجالِ الذينَ نَشَرُوا راياتِ الرِّسالَةِ في الجَزيرَةِ وخارِجِها وأَحْفادِهِم الذينَ أَعادُوا بِناءَ السَّدِّ وأَعْلَوْا بِناءَ الوَحْدَةِ وَرَفَعُوا راياتِ الصَّفاءِ بَيْنَ أبناءِ الوطنِ الواحِدِ إنْجازاً لِلحُلُمِ الذي يَسْعى أعداءُ الأُمّةِ إلى وَأْدِهِ وإسْدالِ سِتارِ النِّسيانِ على ذِكراهُ وَقَدْ عَبَّرَتْ وَثيقةُ العَهْدِ والاتفاقِ التي صاغَتْها نُخْبَةٌ خَيِّرَةٌ مِنْ أبناءِ اليَمَنِ مِنْ مُخْتَلَفِ التياراتِ والآراءِ عَنْ وَحْدَةٍ وَطَنيّةٍ حَقيقيّةٍ وَعَنْ

نجاحِ مبدأ التعددِ في إطارِ الوحدةِ، وعن رؤيةٍ شاملةٍ للقضايا موضعِ النقاش بين أبناءِ اليمن، وحددت مواعيدَ للتنفيذ، ووضعت خططاً للسيرِ في إجراءاتِ ذلك كلِّه في مجالاتِه الدستوريةِ والسياسيةِ والأمنيةِ والتشريعيةِ، وبيَّنت الأسسَ والمبادئَ العامّةَ لبناءِ الدولةِ الحديثةِ، وهيئاتها المركزيةِ واللامركزيةِ، وقوانينها ولوائحها، وكانَ تعبيرُها عن ذلك كلِّه شاملاً ودقيقاً ومنهجياً، سيَصِلُ بكم بإذنِ اللهِ، إلى نموذجٍ متقدمٍ لدولةِ القانونِ والمؤسساتِ والعلاقةِ السليمةِ بين السلطاتِ.

أيها الأهلُ الأعزاءُ،

ها أنتم تبدأونَ درباً صعبةً للإصلاحِ الشاملِ الذي يحتاجُ كلَّ جهدٍ ووقتٍ، ويحتاجُ أنقى ما في الثورةِ من صورِ الطهرِ والأخوةِ، وأعلى ما في النفوسِ من حالاتِ الصفاءِ والعنفوانِ معاً، حتى لا يظلَّ لنا بحرٌ مظلمٌ أو خليجٌ معتمٌ، أو دمٌ يسيلُ على كفِّ شقيقٍ

مِنْ سَيفِ شَقيقهِ / على غَيْرِ هُدًى مِنْهُ أَوْ بَيِّنَةٍ على ما
يَترتَّبُ عَليهِ مِن تَبِعاتْ / لِذلِكَ نَرى اتفاقَكُم هذا
استئنافاً لِمسيرةِ الوحدةْ / وتعزيزاً لِمسيرتِكم
الديموقراطيّة / فَلَكُمْ المَجْدُ ، وعَليكُمْ السلامْ / وأنتُم
تُطْلِقُونَ رُوحَ الوَحْدةِ مِنْ عِقالِها / لِكي تَهُبَّ على
أرضِ الأُمّةِ كُلِّها / صَبَا وشَذَى / وتُشْعِلُونَ نِيرانَ
القِرى مُنْذُ أوّلِ تاريخِنا / وتَصُوغُونَ مَلْحَمَةً يمانيّةً /
عَرَبيّةَ الأهدافِ والرُّؤى والغاياتْ /

أيّها الإخوةْ /

إننا لا نُسمّي اهتِمامَنا بِأحوالِكُم وَساطةً /
لأننا لا نَفصِلُ رُوحَ الشقيقِ عَنْ رُوحِ شَقيقِهِ / وقد كُنّا
معاً نُدرِكُ مسؤولياتِنا التاريخيّةْ / ونَخُوضُ معرَكةَ
الحريّةِ والديموقراطيّةِ والوَحْدةْ / ونَدْعُو الى سُلطةِ
المَعْرِفةِ بالعِلْمِ والوَعْيِ والثقافةْ / ونَحْلُمُ بِيَقَظةٍ قوميّةٍ تُضيءُ
طُرُقاتِ مُدُنِ الأمةْ / ونُحرِّرُها مِن القَهْرِ ، والعبوديةْ /

والمطامعِ ، والخوفِ ، والفِتَنْ / والمجاعاتِ ، والحروبِ الاهليّةِ ، والثقافاتِ الهَجينةْ /

وإنّهُ لشَرَفٌ لَنا أنّكم اتَجَهتُم نَحْوَنا / ، واختَرتُمونا ثِقَةَ مِنكُم بنا / وهْيَ ثِقَةٌ نَنْظُرُ إليها بِبالغِ الشُّكْرِ وجَميلِ العِرْفانْ / والحِرْصِ الأكيدِ على خِدْمةِ أهدافِكم المُثلى وغاياتِكُم الكِبارْ / كَي تَظَلَّ مَعَكُم ولَكَمْ/ إخوةً عَرَباً يُسْهِمونَ في شَرَفِ خِدْمَةِ أشقّائِهم وأهْلِهم/في بدايةٍ جَيّدةٍ على طَريقِ مُعَالَجَةِ كُلِّ القضايا العربيّةِ عَرَبيّا / وبِروحِ الأُخُوّةِ والشعورِ بالواجبِ وأدائهِ كاملاً بعَونِ اللهْ /

أيها الأهلُ الاكارِمْ /

إنّنا لا نَكتُمُ فَرَحَنا أنّكُم بَيْنَنا / ويَرى الأردنيونَ أنَّ ضُيوفَهم أحفادَ الغساسنةِ الذين عَمَروا هذه الأرضَ ذاتَ زَمانْ / وحَمَلوا راياتِ الفَتْحِ الى الدنيا كُلِّها / وجَلَسوا في حَضْرةِ التاريخِ سادةً وفُرساناً .

ومُبْدعِينْ /، وحَمَلوا هُمُومَ الأُمّةْ / وامْتَدَّ نضالُهم إلى كلِّ قضاياها ومَواقِعِها / فَلْنَتقدَّمْ مَعاً أُمَّةً واحِدةً /، تَسْنُدُ الضُّعفاءْ / وتُطْعِمُ الطعامَ على حُبِّه مِسْكيناً ويَتيماً وأسيرا / وتُعيدُ في العالمِ نِداءَ ابْنِ الخطابِ العظيمْ / متى اُستعبدتُم الناسَ وقد وَلَدَتهُم أُمهاتُهم أحرارا " /

فَلْنُشرِعْ نَوافِذَ الحُريةِ وأبوابَ المستَقْبَلِ لأجيالِنا الجَديدةْ / ولْنُطْلِقْ نِداءَ الرُّجوعِ إلى الحقّْ /، وَنَرُدَّ إلى الارضِ العربيةِ صِباها وصَبْوَتَها / وصَهَواتِ خُيولِها ، وَذاكِرَتَها / ولْتَقُمْ نَهْضَتُها عِلماً وعِمْراناً ومَصانِعَ وجامِعاتْ / حتّى لايَظَلَّ فيها جائعٌ او مظلومٌ او حَزينْ / ،

هذه أيْدِينا مَمْدودَةٌ إلى أيديكم / وهذهِ المقدَّساتُ العربيةُ الإسلاميةُ في قُدْسِ الأقداسْ / على مَدَى البَصَرِ مِنّا / حيثُ نَدْعُو لأَنْ لا تَكون لِجِهَةٍ سِيادةٌ عَليها / بَلْ للهِ تَعالى / وَلْيَتسابَقْ المؤمنونَ في خَشْيَتِهِ

وعبادته وتعزيزه وتوقيره / وهذه فلسطين التي نُدافع
عن حقّ أهلها فيها / استجابةً لمطلبهم ومطلب الأمة منّا
وفق الشرعية الدوليّة / تبدو لكم مآذنها وقبابها / ،
فلنخرج من ضباب التردّد إلى هذا العالم المضطرب
المتغيّر / برؤيةٍ ذات قاعدةٍ فكريّة / تستند إلى قيمنا
السّمحة ، ورسالتنا العظيمة / ولندخل إلى دروب الفكر
الإنسانيّ الحقّ / نُوقظ مروءة العروبة ، وجموح
الإرادة / ولتكن وثيقة العهد والاتفاق التي أجمعتم
عليها / علامةً على انطلاقةٍ شاملةٍ لا عودة عنها / حتى
تصل مداها الوحدوي العظيم / وتنهض اليمن ذروةً
عربيّةً تصل ما انقطع في مسيرة تاريخنا العظيم /

فمبارك جهدكم يا أهلنا في اليمن / ولتقرّ
عيونكم بالوحدة التي أنجزتم / والطريق التي أخذتم /
ولتقم في صنعاء وعدن والحديدة وحضرموت وتعز /
أفراحٌ جديدةٌ بالوحدة وروح الأخوّة / ولتنهض الأمة
مثل اليمن التي آلت على نفسها / أن تكون في الطليعة

فكانَتْ، ولْيَكُن الفَرَحُ يَمانيّاً والرِّضا عَرَبيّا، والكلامُ حُرّاً ووَحْدَويا.

ولْنَقرأْ في مُحْكَمِ كِتابِهِ العزيزِ قَوْلَهُ سُبْحانَهُ وتعالى:

"ألمْ تَرَ كَيْفَ ضَرَبَ اللّهُ مَثَلاً كَلِمَةً طَيِّبَةً كَشَجَرَةٍ طَيِّبَةٍ، أَصْلُها ثابِتٌ وفَرْعُها في السَّماءِ، تُؤْتي أُكُلَها كُلَّ حِينٍ بإذْنِ رَبِّها، ويَضْرِبُ اللهُ الأمثالَ للناسِ لَعلَّهم يَتَذكَّرونَ". صَدَقَ اللهُ العظيم.

أَيّها الأهلُ الأعزّاءُ،

ها أَنتُم تَعودونَ إلى اليَمَنِ العزيزِ وقَد اتَّفَقْتُم على الخَيْرِ واستتنافِ مَسيرةِ الوَحْدَةِ اليمنيةْ، فَاللَّهَ أسألُ أنْ يوفِّقَكُم وأنْ يُسدِّدَ على طريقِ الخَيْرِ خُطاكُمْ، وأَنْ يُعينَكُم على ما تَنْهَضُونَ بِهِ مِنْ مَسؤولياتٍ جِسامْ تِجاهَ وَطَنِكُم وأُمّتِكُم.

والسلامُ عليكُم ورحمةُ اللهِ وبركاتُهُ.

كلمة الأخ الفريق

علي عبدالله صالح

رئيس المؤتمر الشعبي العام

أخي صاحب الجلالة الملك الحسين بن طلال، الأخ المناضل ياسر عرفات رئيس دولة فلسطين، الإخوة قادة الأردن الشقيق، الإخوة أصحاب السلك الدبلوماسي العربي والأجنبي، اسمحوا لي باسم الشعب اليمني الصامد أن أتقدم بالشكر الجزيل لجلالة الملك الحسين بن طلال، الذي بذل جهوداً كبيرة.. مع حكومته وشعبه، ومع كل الخيرين في الوطن العربي، وفي الطليعة الأخ المناضل ياسر عرفات، إلى جانب الأردن الشقيق وكثير من الدول الشقيقة والصديقة وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية، والسوق الأوروبية المشتركة، وبقية الخيرين في العالم الذين كانت أيديهم على قلوبهم حريصين على الوحدة اليمنية التي أنجزت في ٢٢ من مايو ١٩٩٠م، بطرق سلمية وديمقراطية، والحمد لله ها نحن في الأردن الشقيق نوقع على وثيقة العهد والاتفاق التي أنجزتها قوى الحوار، القوى السياسية للأحزاب الوطنية والشخصيات المستقلة، والذي نأمل بهذا التوقيع أن ننتقل بالفعل قيادة وحكومة وشعباً وفي الطليعة أحزاب الائتلاف الثلاثة المؤتمر الشعبي العام،

والحزب الاشتراكي، والتجمع اليمني للإصلاح.. وبقية القوى السياسية إلى واقع التنفيذ العملي.. حسب ما تضمنتها وثيقة العهد والاتفاق، أخي جلالة الملك تقدر تقديراً عالياً.. استضافتك لهذا الحشد الكبير من مختلف الشخصيات الاجتماعية والسياسية والرموز الوطنية والقيادات التاريخية، وفي مقدمتهم الأخ المشير عبدالله السلال، والأخ / علي ناصر محمد، والأخ / عبدالرحمن البيضاني، وكثير من الرموز الوطنية والقيادات التاريخية اليمنية، وكان من المفروض أن يكون معنا الوالد المناضل الكبير/ عبدالرحمن بن يحيى الإرياني، ولكن لعذر وسبب تأخر في دمشق.

نشكرك باسم هذه القوى، وباسم شعبك وإخوانك في اليمن حرصك على الوحدة اليمنية، وإن شاء الله سنكون عند حسن ظنك وظن شعبنا في الأردن، وكل الأمة العربية الخيرة الحريصة على الوحدة اليمنية، وإننا سنكون عند حسن ظن الجميع وإننا سنطوي صفحات الماضي بكل أشكالها ومآسيها، وما حصل فيها من تنافسات ومن إشكاليات.

سنعدك وعد الرجال الأوفياء، أننا سننتقل بهذه الوثيقة إلى مرحلة العهد والتوثيق والتنفيذ، إن شاء الله.

من كل قلبي وباسم هذه القيادات أتقدم مرة ثانية بالشكر الجزيل..

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته،،،،

كلمة الأخ
علي سالم البيض
رئيس الحزب الاشتراكي اليمني

﴿الحمد لله الذي هدانا لهذا وما كنا لنهتدي لولا أن هدانا الله﴾ صدق الله العظيم.

رمضان مبارك، واتفاق مبارك إنشاء الله، وجهود مباركة، ويسعدني ويشرفني في البداية أن أكرر الشكر الجزيل لأخينا العزيز جلالة الملك الحسين بن طلال، وقيادة الأردن وشعب الأردن الشقيق.

ويشرفنا في اليمن أن تحتضن عمان هذا اللقاء وهذا الاتفاق المبارك إن شاء الله، لتكون هناك محطة جديدة في التاريخ نوقعها هنا، ونواصلها هناك في اليمن، الحمد لله تم التوقيع ورغم الجروح، ولكن جرح الوطن أغلى وأكبر عليهم، ويهون كل شيء من أجل اليمن، وصدقنا وجدّنا سيظهر الغد عندما نعود هناك، المهم في هذا الاتفاق أن ننقله إلى التطبيق.

ولا بأس في هذه المرة حصل في اليمن صراع من نوع آخر، ولكنه حوار بالكلمات واستبعدنا حوار الطلقات، والحوار العنيف، واحتكمنا إلى الإجماع

الوطني، وقعنا على هذه الوثيقة، ونقول اليوم بعد التوقيع هي وثيقة الوطن، وثيقة الإجماع الوطني وليست وثيقة حزب من الأحزاب، وعلى بركة الله جميعاً نمد أيدينا ونعمل على تنفيذها، رغم تحفظنا وإحساسنا بأن هناك صعوبات في التنفيذ من خبرة الماضي، ولكن دعونا نتفاءل، وعلينا أن نكون دائماً متفائلين، وفي شعبنا البركة والخير، وفي كل المخلصين السند فهذه وثيقة الصادقين، ونتمنى أن نوفق بالانتقال بها، مع آلامنا أمامي الآن صورة الشهيد ماجد، والشهيد كمال، والشهيد هاشم العطاس، ولكن اليمن أغلى منهم جميعاً.. وعلينا أن نضع بلدنا فوق كل الاعتبارات.. فوق الذاتيات، ونتمنى من الله التوفيق، سنعمل بجد.. من أجل الانتقال للتطبيق مع كل المخلصين والجديد اليوم مش صيغة الائتلاف ولكن الجديد ما ورد في الإجماع الوطني، كصيغة الائتلاف الوطني الواسع، الإجماع الوطني الذي ساعدنا، والذي أوصلنا إلى هذه الورقة، فنعتبر أن وراء هذه الأزمة الآن، وأؤكد على أهمية اعترافنا بأزمة كي نعالجها ونشخصها بشكل صحيح، ونأخذ علاجها فيما وصلنا إليه بالحد الأدنى المشترك، لا بأس، على بركة الله نمشي ولكن وهذه الأزمة ترشيد للوعي، لقضية الوحدة في اليمن، والوحدة العربية مستقبلاً، وعلينا من الآن وصاعداً أن نعتمد العقل لكي ننتج المعرفة، ونعطي العواطف حجمها فنحن بشر، وعلى بركة الله الوقت في رمضان وإفطار إن شاء الله هني، وصوماً مقبولاً.. والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

كلمة الشيخ
عبدالله بن حسين الأحمر
رئيس التجمع اليمني للإصلاح

باسمي شخصياً كرئيس الحزب الثالث في الائتلاف.. يسرني أن أشكر جلالة الملك حسين لهذا الجمع المبارك.. ولهذا الاتفاق الذي إن شاء الله بتوقيعه ينتهي الخلاف وتنتهي الأزمة ويعود كل (المسؤولون) إلى مواقع أعمالهم لنباشر العمل والتنفيذ لما جاء في الوثيقة، ولأعمالنا التي في برامج الحكومة، وبرامج أحزابنا، ونخدم بلدنا ونخرجها من الأزمة التي تعيشها وهي الأزمة الاقتصادية، إضافة إلى الأزمة السياسية.

نرجو أن لقاءنا هذا ينهي الأزمة وندخل في عهد جديد، عهد بناء، وعهد عمل، وعهد تعاون، وعهد صدق ووفاء لوطننا العزيز.

وأخيراً أكرر شكري لجلالة الملك على استضافته وجهوده.

والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته.

بسم الله الرحمن الرحيم

لجنة حوار القوى السياسية

إعلان صادر عن لجنة حوار القوى السياسية في اليمن

عمـان – الأردن

١٠ رمضان ١٤١٤هـ – الموافق ٢٠ فبراير ١٩٩٤م

نحن الموقعين على وثيقة العهد والاتفاق، نحمد الله الذي وفق شعبنا ممثلاً بقواه السياسية، داخل السلطة وخارجها، إلى اختيار طريق الحق والخير بإنجاز وثيقة العهد والاتفاق، عبر حوار ديمقراطي جاد ومسؤول، واستقرار وترسيخ بناء دولة النظام والقانون والمؤسسات، كمدخل عملي لتحقيق التنمية والإسهام في بناء المشروع الحضاري العربي والإسلامي.

ويأتي التوقيع النهائي على وثيقة العهد والاتفاق في عمان المباركة عاصمة المملكة الأردنية الهاشمية الشقيقة، ليضع حداً نهائياً لكافة التداعيات والإسراع في وضع نهاية حاسمة للأزمة، واستئصال آثارها، والعمل الجاد لتنفيذ ما تضمنته الوثيقة لإعادة الأمن والاستقرار في ربوع الوطن اليمني الغالي.

إننا بتوقيعنا على وثيقة العهد والاتفاق في الأردن الشقيق، قد أضفنا سمة الأمة والعقيدة إلى وثيقتها اليمنية، مؤكدين قدرة الأمة على امتلاك المبادرة في حل المشاكل والأزمات القطرية، وإعادة روح الصلة والأواصر العربية

الوثيقة، وتجديد الأمل في زمن التفكك والتنابذ، الذي وصل حد العداء بين الأخ وأخيه.

إننا نحن اليمنيين تحملنا وعانينا الكثير من المتاعب السياسية في تاريخنا اليمني المعاصر مما جعلنا نؤمن إيماناً حتمياً أن الوحدة هي الحل وهي الغاية والوسيلة، لبناء دولتنا الحديثة، المؤسسة على الديمقراطية والعدالة الاجتماعية والمساواة وحقوق الإنسان، وإن الوحدة خطوة تاريخية على طريق وحدتنا العربية والإسلامية الشاملة.

إن الظروف المحلية والعربية والدولية التي تزامنت مع قيام وحدتنا لم تؤثر سلباً على توجهنا ومشروعنا الوحدوي الديمقراطي وحسب، بل أضافت إلى كل المخلفات الموروثة عن عهد التشطير، أعباءً جديدة لم تكن في الحسبان أثناء وبعد حرب الخليج، مما أدى إلى تعثر خطواتنا نحو بناء الدولة اليمنية الجديدة، في وقت كان يتطلب منا العمل الدؤوب من أجل ترسيخ دعائم الوحدة، وتعزيز مسارها الديمقراطي، وفتح الباب واسعاً أمام ازدهار الوطن وسعادة الشعب، ومع ذلك كله.. فإن شعبنا قد أكد للعالم اقتداره وحكمته في تجاوز الأزمات التي اعترضت مسيرته، مغلباً صوت العقل على الهوى.. وصوت الضمير على صوت المصالح الضيقة.

لقد تحمل شعبنا من أجل الحفاظ على وحدة الوطن الكثير من المصاعب والسلبيات التي أثرت على جوانب حياته المختلفة، ومع هذا فقد أثبتت التجربة التاريخية اليمنية أن إرادة الشعب كانت هي الأقوى، وأن الحوار الديمقراطي السلمي هو وحده القادر على تحقيق وحدة الوطن واستقراره وتجاوز الأزمات مهما بلغت من الخطورة والتعقيد.

إننا بأسلوب الحوار الديمقراطي السلمي وحده نضع أقدامنـا على الطريـق الصحيح للخروج من الأزمة إلى العمل الجاد لتحقيـق مـا يطمـح إليـه شـعبنا وأشقاؤنا، وكل الخيرين من الأصدقـاء في هـذا العـالم الفسيح، مؤكديـن أن اليمن سيظل موحداً بعد أن اتفقنا جميعاً على ملامحـه في الحـاضر والمستقبل، ووضعنـا أسـس استقراره وتقدمـه وازدهـاره، مسـتمدين مـن الله العـون والتوفيق، ومن شعبنا العزم والثبات.

ولا يسعنا في هذه اللحظات التاريخية المهيبة إلا أن نعلن عن تصميمنا على التقيد بما تضمنته وثيقة العهد والاتفاق، والتزامنا الصادق، أحزاباً وتنظيمـات سياسية، بتحويلها إلى برنامج عملي لمسيرتنا الجديدة، كفريـق عمـل واحـد، وسنقف في وجه كل من يحاول وضـع العراقيـل في طريـق إنجازهـا، ملـتزمين بكافة الضمانات، ومنفذين كل ما اتفقنا عليه، حسب البرامج الزمنية المحـددة بالوثيقـة سـلفاً، مؤكديـن أن سـعادة الشـعوب وتقدمهـا مرهـون بقـوة المؤسسات، وقوة المبادئ ووضوح الرؤية والنهج.. وعليه.. فإننا نلتزم لشـعبنا اليمني العظيم أننا سنجعل من لجنـة الحـوار، والأحـزاب والتنظيمـات السياسـية، وكل الشرفاء والخيرين من أبنائه قوة دفع ومتابعة لتنفيذ وثيقة العهد والاتفاق.

وبهـذه المناسبة، وفي هـذا الشـهر الكريـم نغتنـم الفرصـة لتوجيـه الشـكر الجزيل إلى جلالة الملك الحسين بن طلال ملك المملكة الأردنيـة الهاشميـة وإلى الحكومة وشعب الأردن الشقيق على ما بذله من مساع خيرة، وجهد أخوي متميـز للمحافظـة علـى وحـدة اليمـن ورعايتـه الكريمـة لهـذا اللقـاء التـاريخي المبارك، ولأولئـك الذيـن عـبروا عـن قلقهـم، وبذلـوا جهدهـم مـن أجـل أن

نتجاوز نحن اليمنيين الأزمة، وإلى كل من شاركنا حفل مراسيم توقيع وثيقة العهد والاتفاق.

وختاماً.. نتوجه إلى شعبنا اليمني الصابر بالشكر والثناء على صبره وتحمله وجلده، ومعاونتنا للخروج من الأزمة التي ألمت بالوطن والمواطن، مهنئين أمتنا العربية والإسلامية بمناسبة شهر رمضان المبارك أعاده الله علينا جميعاً بالخير واليمن والبركة والأمن والاستقرار.

و لله وحده نتوجه بالشكر والثناء وطلب العون وهو نعم المولى ونعم النصير.

صادر عن لجنة حوار القوى السياسية
عمان ١٠ رمضان ١٤١٤هـ
الموافق ٢٠ فبراير ١٩٩٤م

ألقاها /
أحمد جابر عفيف
مقرر اللجنة

وثيقة عهد واتفاق

بين

أطـــراف القـــوى السياســـية

المقدمة

الحمد لله القائل: ﴿واعتصموا بحبل الله جميعاً ولا تفرقوا﴾ [آل عمران٣/١٠٣] صدق الله العظيم.

في الفترة من ١ جمادى الآخرة إلى ٧ شعبان ١٤١٤هـ الموافق ١٩٩٣/١١/٢٢م إلى ١٩٩٤/١/١٨م، عقدت لجنة حوار القوى السياسية أعمالها المتواصلة الدؤوبة في كل من صنعاء وعدن في مسعى وطني صادق لاحتواء الأزمة السياسية التي يعيشها الوطن وللوصول إلى المخارج الحقيقية للدفع بمسيرة الوحدة اليمنية المباركة التي تحققت في ٢٢ مايو ١٩٩٠م، في طريق المسيرة من أجل تعزيز الوحدة والديمقراطية واستقرار وترسيخ بناء دولة النظام والقانون والمؤسسات.

وجاءت جهود لجنة حوار القوى السياسية بعد أن بلغت الأزمة السياسية وتداعياتها حداً لا يمكن لأحد القبول به. واستجابة للحاجة الماسة لتكاتف جميع أبناء الوطن اليمني من أجل الإسراع في وضع نهاية حاسمة لتلك الأزمة وآثارها السلبية والضارة التي كادت أن تعصف بالوطن والشعب وتودي بوحدتها وتماسكها وتطيح بكل مكتسبات الشعب الوطنية بعد معاناته ونضاله الطويلين الذي زكته دماء قوافل من الشهداء من الآباء والأجداد.

لقد بدا اليمن أمام العالم أجمع وكأنه على وشك السقوط في هاوية محققة من جراء تلك الأزمة الناجمة في الأساس عن افتقاد الثقة، والأخطاء المتراكمة، والتجاوزات الخطيرة، والتداخلات في المهام والصلاحيات، وعدم الالتزام بالدستور والقوانين والنظم النافذة.. وهو ما أدى إلى تفاقم تدهور الأوضاع

الأمنية والاقتصادية والإضرار بقوت الشعب على النحو المحزن الذي آلت إليه الأمور.

وبعد جهود صادقة ومضنية من أجل وضع الخطوات والقواعد النهائية لإعادة الاستقرار والأمن في الوطن اليمني الغالي، ولتفادي تكرار ما حدث حماية للوحدة وتوسيعاً للمشاركة الشعبية في صنع القرار وإنجازه، وتأسيساً لديمقراطية حقة تبدأ من القرية إلى قمة الدولة بغية وضع اللبنات المتينة لدولة يمنية قوية تحمي ولا تهدد، تصون ولا تبدد. بعد تلك الجهود أثمرت أعمال لجنة حوار القوى السياسية بالوصول إلى هذه الوثيقة التي تشكل البداية السليمة والمدخل الصحيح لبناء اليمن الجديد، يمن الوحدة والحرية، وتؤكد حكمة اليمانيين في تغليب العقل والمنطق فوق كل الاعتبارات.

وبإعلان هذه الوثيقة على الشعب اليمني، تلتزم كافة القوى السياسية، بعد أن وقعت عليها كافة الأطراف، بالتقيد بها وبمواصلة كافة الجهود لتطبيقها ووضعها موضع التنفيذ على النحو الوارد فيها.

وتحتوي هذه الوثيقة الوطنية على القضايا الهامة التي شملها حوار القوى السياسية كما يلي:

١- المتهمون في قضايا الإخلال بالأمن

١- اتخاذ الإجراءات الحازمة لإلقاء القبض على المتهمين الفارين، في حوادث الاغتيالات ومحاولات الاغتيالات والتقطع وغيرها من الحوادث المخلة بالأمن، والبدء الفوري في محاكمة المقبوض عليهم في الأعمال التخريبية محاكمة شرعية وعلنية تضمن فيها إجراءات العدالة للمتهمين وتنفيذ العقوبات دون تباطؤ.

٢- تؤكد لجنة الحوار ما تضمنه بيان الحكومة بالنسبة للإجراءات الخاصة بمناهضة الإرهاب وضرورة الالتزام بسياسة اليمن المناهضة للإرهاب المحلي والخارجي، وإبعاد العناصر غير اليمنية التي تتوفر بحقها دلائل كافية لمزاولتها لأعمال تخالف سياسة اليمن وقوانينها أو تروج أو تحرض على مثل هذه الأعمال وإبعاد من ثبت إدانتهم بعد محاكمة شرعية علنية تضمن فيها إجراءات العدالة وتنفيذ العقوبة القانونية، ويتم ذلك عبر الأجهزة المختصة، ومنع استقدام أو دخول أو توظيف أو إيواء العناصر المتهمة بالإرهاب.

٣- تعلن لجنة الحوار للقوى السياسية وقوفها ضد أي تهاون أو تلكؤ عن اتخاذ الإجراءات القانونية الصارمة من قبل الأجهزة المعنية ضد المتورطين بالأعمال الإرهابية والتخريبية.

٤- يعتبر مُخالفاً للقانون، كل من يؤوي متهماً، تعلن الأجهزة الرسمية اسمه، أو هارباً من السجن، أو يتستر عليه، وتتخذ ضدّه الإجراءات القانونية.

٥- توضع خطة لإلقاء القبض على الفارين.. والمطالبة عبر الأنتربول أو عبر القنوات الدبلوماسية بتسليم المتهمين من غير اليمنيين أو الفارين إلى الخارج من اليمنيين أو إجراء محاكمتهم غيابياً.

٦- تستكمل التحقيقات مع المتهمين في قضايا الإرهاب والتخريب بعد إجراء التحريات وجمع المعلومات وفي إطار تكامل التحقيقات والربط بين القضايا ويتولى التحقيق في هذه القضايا محققون متخصصون وأكفاء تتوفر فيهم الحيدة، وعلى أن تحال القضايا إلى النيابة أولاً بأول.

٧- تؤكد لجنة الحوار للقوى السياسية على سرعة إصدار لائحة حمل السلاح وتنظيم العمل بها، والنظر في القانون الحالي لجعله أكثر صرامة للحد من حمل السلاح وانتشاره والاتجار به.

٨- يتم التحري والتأكد من وجود معسكرات أو مقرات للإعداد والتدريب على أعمال العنف واتخاذ الإجراءات المناسبة حيالها.

٩- لا تتجاوز خطة التنفيذ، وإجراءاته مدة ثلاثة أشهر.

١٠- كل الإجراءات المذكورة في البنود السابقة تتم وفقاً للقوانين النافذة وقواعد العدالة.

التنفيذ:

١- تضع وزارة الداخلية خطة لإلقاء القبض على المتهمين الفارين أو الهاربين من السجن، أو الذين يقفون وراء المتهمين وبإسناد عسكري من قبل وزارة الدفاع عند الحاجة.. تحت قيادة وزارة الداخلية وتقدم الخطة لمجلس الوزراء خلال أسبوع للمصادقة عليها.

٢- يقدم وزيرا الداخلية والعدل كشفاً بأسماء المحققين المختارين للتحقيق في هذه القضايا - لمصادقة رئيس الوزراء.

٣- تجري المحاكمات في مواقع حدوث الجريمة - وتنسق النيابة العامة مرافعاتها للربط بين القضايا في حالة أن المتهمين في قضية ما شركاء أيضاً في قضايا حدثت في مواقع أخرى - وتقدم النيابة العامة وممثليها في المخاليف القضايا للقضاء أولاً بأول.

٤- يقدم وزيرا الداخلية والعدل تقريراً نصف شهري لمجلس الوزراء عن سير القضايا والوقوف بحزم أمام أي تلكؤ أو تباطؤ من أي جهة.

٢- الجانب الأمني والعسكري

١- إزالة جميع النقاط داخل المدن وخارجها سواء كانت تابعة لوزارة الداخلية أو لوزارة الدفاع أو مشتركة.

٢- تتولى وزارة الداخلية تحديد الأماكن التي تقتضي المصلحة الأمنية إقامة نقاط فيها على أن تتعاون مع وزارة الدفاع لتحديد النقاط العسكرية والأمنية المشتركة، وتشكل لذلك الغرض لجنة بقرار من مجلس الوزراء خلال أسبوعين، وتقدم هذه اللجنة مقترحاً بالنقاط المقترح إقامتها، ويصدر مجلس الوزراء قراراً في ضوء ذلك يحدد الآتي:

أ- النقاط التي تقع تحت مسؤولية وزارة الداخلية.

ب- النقاط التي تقع تحت مسؤولية وزارة الدفاع.

جـ- النقاط التي تقع تحت المسؤولية المشتركة.

٣- يعقد صلح عام بين القبائل، الغرض منه حقن دماء اليمنيين، ويتم بموجبه إنهاء الثأر، واعتبار كل من يمارس الأخذ بالثأر خارجاً عن القانون، وتتولى أجهزة الدولة المختصة اتخاذ الإجراءات القانونية الصارمة ضده، وحصر معالجة قضايا الثأر التي حدثت قبل تاريخ إصدار هذا الإعلان، وتتحمل الحكومة أي نفقات يستلزمها ذلك، ويتم عقد هذا الصلح مع الأخذ بعين الاعتبار المسائل الأساسية التالية:

أ- تعلن الدولة صلحاً عاماً عبر مؤتمر وطني عام يشارك فيه كل القوى السياسية والاجتماعية والعلماء تدعو له، ويتم التوقيع على الإعلان من الجميع.

ب- يشكل المؤتمر لجنة لحصر ومعالجة قضايا الثأر التي حدثت قبل الإعلان.

جـ- يتم إعلان الصلح خلال شهر، ويعمل به من يوم الإعلان ويصدر قانون يعزز هذا الإعلان، ويعتبر كل من يأخذ بالثأر مخالفاً للقانون وتتخذ ضده العقوبات التي يجب أن يحددها القانون.

٤- حفاظاً على مكانة القوات المسلحة في نفوس أبناء الشعب، وصوناً لرصيدها النضالي العظيم المخلد في وجدان الشعب، وذاكرة التاريخ، يتم نقل الوحدات فيما كان يسمى بالأطراف في بعض مناطق محافظات تعز ولحج وإب وأبين وشبوة والبيضاء ومأرب، وإعادة تمركزها في مناطق يتفق عليها من قبل لجنة فنية من القوات المسلحة بما يؤمن متطلبات الاستراتيجية الدفاعية للدولة، وحماية الأهداف الحيوية وتتخذ وزارة الدفاع الإجراءات المنفذة لذلك. ويصدر بذلك قرار خلال أسبوع ويبدأ التنفيذ فوراً.

٥- عدم تسيير أي دوريات عسكرية في المدن، أو على الطرقات، وتتولى ذلك الشرطة طبقاً لمقتضيات الأمن.

٦- إنشاء جهاز استخبارات طبقاً لقانون يحدد كيفية تشكيله ومهامه وصلاحياته في حماية السيادة الوطنية، وتشكل لجنة من الحكومة والحوار

لإعداد القانون وتقديمه إلى مجلس الوزراء خلال فترة أقصاها شهر من تاريخه.

٧- البحث عن وسائل لإنهاء الوجود المسلح غير الرسمي، ومنع توزيع الأسلحة على المواطنين تحت أي مسمى، واعتبار ذلك جريمة مخلة بالأمن.

٨- إعادة تنظيم وزارة الداخلية بحيث تدمج وحدات الأمن المختلفة بها بما في ذلك الأمن المركزي، وتكون لها السيطرة عليها، وتحصر أي نفقات أمنية من خلال وزارة الداخلية، ويشكل مجلس الوزراء لجنة لتقديم مقترح بهذا الشأن في مدة أقصاها أسبوعان.

٩- يتم إخلاء المدن من القوات المسلحة وإعادة تموضعها خلال فترة زمنية أقصاها شهران، ضمن خطة مركزية واحدة لتموضعها تمهيداً لدمجها وتنظيمها، وتصحيح أوضاعها، تقدم من قيادة وزارة الدفاع ومن رئاسة مجلس الوزراء، ويصادق عليها من قبل مجلس الرئاسة، على أن لا تتجاوز عملية دمجها الأربعة الأشهر بعد تنفيذ عملية الإخلاء وإعادة التمركز في سياق بناء جيش وطني حديث، يعبر عن الوحدة الوطنية، ويواكب النهج الديمقراطي، متحرراً من كافة التأثيرات المناطقية والأسرية والقبلية والعرقية، مستوعبة كافة الوحدات العسكرية دون تمييز أو استثناء ويبدأ التنفيذ بعد إقرار الوثيقة والتوقيع عليها من قبل أطراف الوفاق الوطني.

١٠- الالتزام بعدم تحريك أي وحدات عسكرية أو تعزيزات بشرية أو مادية، وتجميد تنفيذ المشروعات التدريبية حتى تستقر الأوضاع ويصدر باستئنافها قرار من مجلس الوزراء، ومصادقة مجلس الرئاسة وتبلغ وزارة الدفاع بهذا القرار وتتولى اللجنة العسكرية متابعة التنفيذ.

١١- يقتصر دور الشرطة العسكرية على أمن وانضباط الوحدات العسكرية وتمنع من القيام بأي نشاط أو دوريات يتداخل مع اختصاصات الأمن العام.

١٢- يحظر ممارسة أي مظهر أو إجراء أو تصرف من شأنه أن يوحي بالتمايز أو التفاضل في التعامل بين أفراد القوات المسلحة.

١٣- يمنع ضباط وجنود القوات المسلحة من التدخل في قضايا المواطنين وشؤون السلطات المحلية أو مزاولة أي نشاط في مواقع عملهم يتداخل مع وظائف السلطات القضائية والتنفيذية.

١٤- يوقف التجنيد والتسليح والتعبئة للوحدات والمليشيات وحرس الحدود والحرس الشعبي وما شابهها وإلغاء ما تم استحداثه.

١٥- على وزارتي الدفاع والداخلية القيام بالإمداد والتموين للقوات المسلحة والأمن من خلال أجهزتها المختصة.

١٦- تلغى جميع الترقيات غير القانونية التي تمت منذ بداية عام ١٩٩٣م.

<u>التنفيذ:</u>

تشكل لجنة من مجلس الوزراء وبعض الشخصيات العسكرية والسياسية للإشراف على تنفيذ هذا القسم - وضع اللجنة جدول عمل زمني لأعمالها يقر من قبل مجلس الوزراء.

٣- تقنين العلاقة وتحديد الصلاحيات

١- تجسيد الدستور والقوانين واللوائح في الممارسة وتحديد مهام وصلاحيات مجلس الرئاسة ورئيس المجلس ونائبه في ممارسة المهام الدستورية، ويعاد النظر في مهام واختصاصات مكتب مجلس الرئاسة وفقاً لذلك.

٢- منع التصرف بالمال العام خارج الأغراض المحددة في الميزانية العامة بشقيها الجاري والتنموي المقرة من قبل مجلس النواب، والمحددة في قانون الميزانية العامة، مع ضرورة التقيد بالصلاحيات المحددة للصرف، وتحدد صلاحيات الصرف لكبار مسؤولي الدولة.

٣- لا يجوز الامتناع أو التباطؤ عن صرف أية اعتمادات مقررة في الميزانية أو التصرف بها من قبل أي جهة غير مختصة وفقاً لقانون الميزانية.

٤- عدم التدخل في اختصاصات أجهزة الخدمة المدنية والعسكرية، والامتناع عن إصدار التعليمات التي تتنافى مع القوانين وتخلق إرباكاً وتميزاً بين المواطنين وتفقد المستحقين فرصهم في التعيين والترقية.

٥- إصدار قانون لتحديد مرتبات ومخصصات رئيس مجلس الرئاسة ونائب الرئيس وأعضاء المجلس، ورئيس الوزراء، ونوابه والوزراء ونوابهم بموجب الدستور.

التنفيذ:

- التزام فوري من الجميع بالتوقف عن الصرف وعدم التدخل في أعمال الهيئات.
- يشكل مجلس الوزراء لجنة لإعداد القوانين واللوائح خلال شهرين.

٤- أسس بناء الدولة الحديثة وهيئاتها

إن المهمة الرئيسية تكمن في بناء الدولة وإصلاح ما علق بها من تشوهات خلال الفترة المنصرمة، حيث أثبتت تجربة السنوات الماضية منذ إعلان قيام

الجمهورية اليمنية في ٢٢ مايو ١٩٩٠م أن طريقة إدارة شؤون الحكم شكلت عائقاً أمام اندماج النظامين السابقين وبناء دولة الوحدة.

ولذلك فقد توخى حوار القوى السياسية في عمله هذا الخروج من جو الأزمة إلى جو العمل الديمقراطي الجاد الذي يحقق الاستقرار والتنمية الاقتصادية والاجتماعية المتوازنة ويرسخ الوحدة الوطنية، وانطلاقاً من ذلك ركزت الوثيقة إلى جانب الأسس والمبادئ العامة على تحديد هيئات السلطات المركزية والمحلية للدولة وتحديد صلاحياتها ومهامها، وحتى يمنع التداخل والتدخل الذي يسبب الإرباك والاحتكام إلى الأزمات.

١- الأسس والمبادئ العامة

تشكل الأسس والمبادئ العامة التالية أسساً لبناء الدولة وهياكلها سبيلاً لإيجاد دولة النظام والقانون والنظام المستقر وضمانة أكيدة في بناء دولة اليمن الحديث المرتكزة على:

١- الإسلام عقيدة وشريعة.

٢- الشعب مالك السلطة ومصدرها ويمارسها بشكل مباشر أو عن طريق الاستفتاء والانتخابات العامة، كما يزاولها بطريقة غير مباشرة عن طريق الهيئات التشريعية والتنفيذية والقضائية وعن طريق المجالس المحلية المنتخبة.

٣- الجمهورية اليمنية - دولة - عربية إسلامية واللغة العربية لغتها الرسمية.

٤- الوحدة اليمنية والنظام الجمهوري.

٥- الوحدة الوطنية أساساً لحماية الوحدة وترسيخ أركانها.

٦- الديمقراطية والتداول السلمي للسلطة، والتعددية السياسية والحزبية.

٧- اللامركزية الإدارية والمالية أساس من أسس نظام الحكم.

٨- حماية الحريات العامة.

٩- احترام حقوق الإنسان.

١٠- حرية العمل النقابي والمهني والإبداع الفكري والثقافي.

١١- تشجيع البحث العلمي في مختلف مناحي الحياة.

٢- هيئات الدولة

إن بناء الدولة واستكمال مؤسساتها وهيئاتها المركزية واللامركزية وقوانينها وأنظمتها ولوائحها مهمة رئيسية استهدفها كل المشاركين في لجنة الحوار وكافة المشاريع التي عرضت عليها رغبة في تصحيح مسار تجربتنا الوحدوية والديمقراطية الوليدة وبناء دولة النظام والقانون، دولة المؤسسات، التي تعتمد على قاعدة اللامركزية الإدارية والمالية، لإدارة شئون الدولة اليمنية الواحدة، التي تستوعب مضامين الدولة الوطنية القائمة على قاعدة الحكم المحلي باختصاصاته التنموية والخدمية والإدارية والمالية ينظمها القانون.

أ – هيئات السلطة المركزية

١- مجلس النواب:

هو الهيئة التشريعية للجمهورية اليمنية.. ويجري انتخابه من قبل الشعب بالاقتراع السري والحر والمباشر.. ويحدد الدستور صلاحياته ومهامه وشروط العضوية وطريقة الترشيح والانتخاب.

٢- مجلس الشورى:

ويتكون من عدد متساو من الأعضاء يمثلون وحدات الحكم المحلي يتم

انتخابهم من قبل مجالس المخاليف.. ويحدد الدستور عدد الأعضاء من كل وحدة إدارية وشروط العضوية وطريقة الترشيح والانتخاب كما يحدد اختصاصات ومهام المجلس على النحو التالي:

- إبداء الرأي في القوانين الأساسية وبشكل خاص ما يتعلق بشؤون الحكم المحلي، التي يحيلها إليه مجلس الرئاسة بعد رفعها من قبل مجلس النواب وذلك قبل إصدارها من قبل رئاسة الدولة.
- يشارك مع مجلس النواب في انتخاب أعضاء مجلس الرئاسة.
- إبداء الرأي في مشروعات الميزانية العامة للدولة وخطط التنمية الاقتصادية والاجتماعية قبل إقرارها من قبل مجلس النواب وتحال إليه من الحكومة ويرفع إليها ملاحظاته ومن ثم تحيلها الحكومة لمجلس النواب بعد استيعاب ملاحظات ومقترحات المجلس.
- يتولى انتخاب أعضاء المحكمة العليا للجمهورية ويقدم قضاة الجمهورية ضعف عدد المرشحين ويصدر بهم قرار جمهوري.
- يتولى انتخاب أعضاء المجلس الإعلامي ومجلس الهيئة العامة للخدمة المدنية، وتقدم الحكومة الترشيحات ويصدر بهم قرار جمهوري.
- تقديم مقترحات بمشاريع قوانين إلى الحكومة خاصة بشؤون الحكم المحلي.
- يتولى النظر في قضايا شؤون الحكم المحلي المحالة إليه من الحكومة أو المرفوعة من أي من مجلس الوحدات الإدارية.
- إبداء الرأي في المعاهدات وقضايا الحدود قبل عرضها على مجلس النواب وتحال إليه من الحكومة.
- النظر في أية قضايا تحيلها الحكومة إلى المجلس.

٣-رئاسة الدولة

تمثل رئاسة السلطة السيادية للدولة، ويتكون مجلس الرئاسة من خمسة أعضاء ينتخبون من قبل مجلس النواب ومجلس الشورى مجتمعين، وينتخب مجلس الرئاسة رئيساً ونائباً للرئيس من بين أعضائه.

- لا تزيد فترة العضوية في مجلس الرئاسة عن دورتين انتخابيتين.
- لا يجوز للرئيس ونائبه وأعضاء المجلس ممارسة أي عمل حزبي أثناء شغلهم لعضوية المجلس (ولا ينطبق هذا الحكم على أعضاء مجلس الرئاسة الحالي للدورة الحالية).

ويحدد الدستور صلاحيات ومهام المجلس على النحو التالي:

١- تمثيل الجمهورية في الداخل والخارج.

٢- دعوة الناخبين في الموعد المحدد للانتخابات العامة.

٣- حل مجلس النواب بعد التشاور مع مجلس الوزراء وطبقاً للمادة الواردة في الدستور الحالي.

٤- الدعوة إلى الاستفتاء العام.

٥- تكليف من يشكل الحكومة وإصدار قرار جمهوري بتسمية أعضائها بناءً على اختيار رئيس الوزراء المكلف.

٦- الاشتراك مع الحكومة لمناقشة مشروع بيانها قبل تقديمه لمجلس النواب لتنال بموجبه الثقة.

٧- تلقي تقارير دورية من رئيس الوزراء عن سير تطبيق السياسة العامة للدولة في كل المجالات.

٨- التشاور مع رئيس الوزراء في تسمية أعضاء مجلس الدفاع الذين يرشحون من قبل مجلس الوزراء طبقاً للقانون.

٩- يصدر القوانين التي يقرها مجلس النواب.

١٠- حق طلب إعادة النظر في أي قانون أقره مجلس النواب.

١١- توقيع قرارات التعيين والترقية والعزل لكبار قادة القوات المسلحة والأمن من رتبة عقيد وما فوق وبعد موافقة مجلس الوزراء.

١٢- التصديق على قرارات مجلس الوزراء القاضية بإنشاء الرتب العسكرية أو منح النياشين والأوسمة التي ينص عليها القانون.

١٣- الإذن بحمل النياشين التي تمنح من دول أخرى.

١٤- إصدار قرارات بقانون في غياب المجلس بناء على اقتراح من مجلس الوزراء وفي حالات استثنائية لا تحتمل التأخير ولا تتعارض مع الدستور وعلى أن تعرض على المجلس في أول اجتماع له بعد صدور القرار.

١٥- المصادقة على المعاهدات والاتفاقيات التي يوافق عليها مجلس النواب.

١٦- إنشاء البعثات الدبلوماسية وتعيين واستدعاء السفراء بعد موافقة مجلس الوزراء.

١٧- اعتماد الممثلين للدول والهيئات الأجنبية.

١٨- منح حق اللجوء السياسي.

١٩- إعلان حالة الطوارئ والتعبئة العامة وفقاً للقانون.

مهام وصلاحيات الرئيس:

يقوم الرئيس بالمهام والصلاحيات التالية استناداً على مهام وصلاحيات مجلس الرئاسة:

- يرأس اجتماعات مجلس الرئاسة.
- يمثل الجمهورية في الخارج ويوقع على وثائق اعتماد السفراء ويستقبل سفراء البلدان الأخرى.
- يوقع على القوانين.
- يوقع على قرارات مجلس الرئاسة.
- طلب التقارير من رئيس الوزراء لتقديمها لمجلس الرئاسة حول المسائل المتعلقة بتنفيذ مهام الحكومة.
- يوقع على القوانين بقرارات والقرارات الجمهورية ومعه رئيس الوزراء.
- يرأس مجلس الدفاع الوطني في حال الحرب.

مهام وصلاحيات نائب الرئيس:

يقوم نائب الرئيس بالمهام والصلاحيات التالية:

يعاون الرئيس في مهامه وعلى وجه الخصوص يتولى:

- مهام الرئيس في حالة غيابه خارج الجمهورية أو في حالة مرض يقعده عن ممارسة مهامه.
- طلب التقارير من رئيس الوزراء لتقديمها لمجلس الرئاسة في المسائل المتعلقة بشئون الحكم المحلي.
- نائباً لرئيس مجلس الدفاع الوطني في حالة الحرب.

مهام أعضاء مجلس الرئاسة:

- المشاركة في أعمال المجلس.
- يتولى بقية أعضاء مجلس الرئاسة مساعدة الرئيس ونائبه وفقاً للائحة داخلية تنظم عمل المجلس.

٤-الحكومة:

مجلس الوزراء هو حكومة الجمهورية اليمنية وهو الهيئة التنفيذية والإدارية العليا للدولة، ويتبعها بدون استثناء جميع الإدارات والأجهزة والمؤسسات التنفيذية التابعة للدولة.

وتختص الحكومة على قاعدة اللامركزية الإدارية والمالية بالشؤون الخارجية والقوات المسلحة والأمن العام والعملة والموارد السيادية، ورسم السياسة المالية والنقدية والاقتصادية والاجتماعية والثقافية واقتراح مشاريع القوانين والإشراف على تنفيذها.

الحكومة مسؤولة مسؤولية كاملة وجماعية أمام مجلس النواب.

٥-السلطة القضائية:

وتتكون من المحكمة العليا للجمهورية والمحاكم التي يحددها القانون ومن النيابة العامة وتتمتع السلطة القضائية باستقلال كامل - ويتم انتخاب أعضاء المحكمة العليا من قضاة ومحامين مؤهلين وممارسين في شؤون الشريعة الإسلامية والقانون من قبل مجلس الشورى ولمرة واحدة حتى يبلغ القاضي أحد الأجلين أو يسيء إلى شرف المهنة ففي هذه الحالة يفصل ولا يسمح له

بالعمل في مجال القضاء مرة أخرى.. ويحدد الدستور والقانون مهامها وصلاحيات وطريقة انتخابها وعزلها.

٢-١ الحكم المحلي:

إن نظام الحكم المحلي المراد إقامته على قاعدة اللامركزية الإدارية والمالية في ظل الدولة اليمنية الواحدة وعلى مبدأ المشاركة الشعبية الواسعة في الحكم ومبدأ النهج الديمقراطي، المعزز للوحدة الوطنية حيث يمارس مواطنو الجمهورية اليمنية بكل تقسيماتها الإدارية.. حقوقهم وواجباتهم الدستورية بطريقة تمكنهم من التنافس الإيجابي لبناء صرح الدولة اليمنية الواحدة من خلال ازدهار وحداتهم الإدارية، اقتصادياً واجتماعياً وإقامة ميزان العدالة وسيادة الأمن والاستقرار والرخاء.

٢-١-١ التقسيم الإداري:

يقوم الحكم المحلي على قاعدة تقسيم إداري جديد للجمهورية اليمنية تتجاوز التكوينات والوحدات الإدارية القائمة ويعاد فيها دمج البلاد دمجاً كاملاً تختفي فيه كافة مظاهر التشطير، وتؤكد على الوحدة اليمنية والوطنية واليمن الجديد.

ويرتكز هذا التقسيم على أسس علمية تراعي الأسس السكانية والجغرافية ومجمل الظروف الاقتصادية والاجتماعية والخدمية للسكان، مشكلاً في ذلك قاعدة أساسية للتنمية المتوازنة.. انطلاقاً من ذلك تقسم الجمهورية إلى ٤-٧ وحدات إدارية تسمى مخاليف.

وتشكل كل من صنعاء العاصمة السياسية وعدن العاصمة الاقتصادية والتجارية - وحدات إدارية (أمانات عامة) مستقلة وذات شخصية اعتبارية

واستقلال مالي وإداري ولهما بجالسهما المنتخبة وفق أسس وضوابط يحددها القانون، وعلى أن يراعى وضع عدن كمنطقة حرة.

٢-٢-١ صلاحيات الحكم المحلي:

يقوم الحكم المحلي على قاعدة الانتخابات المباشرة والحرة والمتساوية لهيئاتها، ويتم انتخاب بجالس الحكم فيها، ويتمتع بصلاحيات إدارية ومالية كاملة تمكنه من إدارة شئون الوحدة الإدارية والتنموية والخدمية على قاعدة التنافس الإيجابي في إطار الوحدة على أن تنعكس مهمة بناء الدولة في انتقال مركز الثقل في عدد من قضايا إدارة شؤون الإدارة المركزية إلى أجهزة الحكم المحلي ويتلخص في التالي:

أولاً: الشؤون المالية والإدارية والاقتصادية والاجتماعية

١-الشؤون الإدارية:

يدير الحكم المحلي في الوحدات الإدارية شؤون المواطنين والعاملين فيه على مستوى الوحدات الإدارية ويعتبر مسؤولاً مسؤولية كاملة عن قضايا العمل والتعليم والصحة والبلديات والشؤون الاجتماعية والاقتصادية والنشاطات والفعاليات الثقافية الأخرى داخل الوحدة الإدارية وفقاً للسياسة العامة للدولة. كما يتولى شق الطرقات وتخطيط المدن والبناء وغير ذلك من الأعمال التي لا تدخل ضمن نطاق الوظائف السيادية للدولة، وتنظيم العلاقات مع الجهات المركزية فيما يخص هذه الأنشطة على أساس:

أ- التخطيط العام والإشراف الرقابي مهمة الإدارة المركزية.

ب- التخطيط على مستوى الوحدة الإدارية وكذا المشاركة في التخطيط العام، ومسؤولية كاملة في التنفيذ - مهمة الحكم المحلي.

٢-الشؤون المالية:

إن نظام اللامركزية في الجانب المالي يعد من أسس الحكم المحلي وينبغي أن يتمخض عنه كفاءة عالية في تعبئة الموارد المالية وكفاءة أعلى في الاستخدام.

ولمزيد من الوضوح لابد من التمييز في هذا الباب بين الموارد التي تقع ضمن اختصاصات الحكم المحلي وتلك التي تقع ضمن نطاق موارد السيادة وتتمثل في:

أ- الموارد السيادية:

- عوائد الجمارك.
- ضرائب الدخل على أرباح الشركات العاملة على مستوى الجمهورية.
- حصة الدولة في الأرباح السنوية للمؤسسات العامة العاملة على مستوى الجمهورية.
- موارد النفط والغاز والثروات المعدنية والسمكية.
- أي موارد أخرى ذات طبيعة سيادية يحددها القانون.
- موارد المياه: تعتبر موارد المياه من الموارد السيادية وعليه فإن تنميتها والاستفادة العقلانية منها ضرورة من ضرورات الحياة، وفق أسس وضوابط يحددها القانون ويتضمن تحديد وتوضيح حدود المسؤولية المركزية والمحلية تجاهها واختصاصات الحكم المحلي في الوحدات الإدارية حتى تحدد طبيعة التعامل معها وطريقة الاستفادة منها.

ب-الموارد المحلية:

- الرسوم المحلية، التي يصدر بها قرار من مجلس الوحدة الإدارية وفقاً لقانون يحدد صلاحيات وأسس ومجالات إصدار القرارات والأنظمة من قبل المجالس المحلية.
- ضرائب كسب العمل، والمهن الحرة والأنشطة التجارية المختلفة في إطار الوحدة.
- الضرائب والرسوم على الشركات المسجلة والعاملة في إطار الوحدة الإدارية.
- عوائد النشاط الاقتصادي في إطار الوحدة الإدارية.
- الزكاة.
- الضرائب والرسوم على القات.
- الضرائب العقارية.
- رسوم المرور والمواصلات والأراضي.
- ضريبة حماية البيئة.
- الدعم المقدم من الميزانية المركزية.

وهذا التحديد لا يعد حصراً نهائياً وإنما على سبيل الإيضاح فقط، ويحدد القانون الموارد السيادية والمحلية.

أما فيما يخص الإنفاق: فيتضمن الإنفاق الذي يرد في الميزانية السنوية للوحدة الإدارية، بنوداً تتعلق بالخدمات الاجتماعية والأنشطة الاقتصادية

للوحدات العامة الداخلة في نطاق الوحدة الإدارية وغيرها من الأنشطة التي تدخل في نطاق اختصاصاتها، ويخرج من بنود الإنفاق المحلي تلك الممولة مركزياً كمشاريع الطرقات الرئيسية والمواصلات التي تربط بين الوحدات أو المشاريع الاستراتيجية كالنفط والغاز والمعادن الهامة.

ينشئ البنك المركزي فروعاً له في مختلف الوحدات الإدارية، بصفته بنك البنوك تتولى بدورها جانباً من وظائفه الرئيسية باستثناء الديون الخارجية، الإصدار، إقراض الدولة.

٣- الشؤون الاقتصادية:

تتنافس الوحدات الإدارية في إطار " سياسية الحرية الاقتصادية " بتكوين قاعدتها الاقتصادية بمكوناتها المعروفة: الإنتاج، التوزيع، فرص العمل والتشغيل، فرص الاستثمار، وتحسين الخدمات الاجتماعية والرعاية للمواطنين في الوحدات الإدارية، ومثل هذا التنافس سيحفز أجهزة الحكم المحلي على تقديم النموذج الأفضل الذي ستكون مسؤولة عنه مباشرة وسيكون الأداء هنا مرتبط بمستوى اضطلاع هذه الأجهزة بعملها ومسؤولياتها، ولن تتهرب سلطات الحكم المحلي من مسؤولياتها في حالة عجزها بإلقاء التبعية على السلطة المركزية كما هو الحال عندما تختلط المسؤولية، إن الحكومة ستتفرغ للتخطيط في إطار الأهداف الرئيسية العامة، وكذا مراقبة التنفيذ وسيسهل مهامها عاملان:

١- إن الأهداف العامة التي سترسمها ستقوم على أساس حاجة الوحدة الإدارية.

٣- إن الرقابة على التنفيذ ستبدأ أيضاً من داخل هذه الوحدات الإدارية بسبب رقابة الناخبين وسيضمن ذلك تحقيق الأهداف المرسومة.

٤-الشرطة والأمن:

يكون الأمن من مهام الحكم المحلي المباشرة في الوحدات الإدارية المختلفة، وتتولى الوحدات الإدارية إدارة قوة الشرطة والأمن الخاصة بها في إطار الخطة الأمنية العامة للدولة، وتمارس مهامها وفقاً للضوابط والأسس التي تضعها وزارة الداخلية، وتأتمر تلك الوحدات بأمر السلطات المحلية ويتم تسليحها بشكل موحد وتحدد وظائفها وحقوقها وفقاً للقانون.. أما قوامها فيعتمد على حاجة كل وحدة إدارية، وتتولى السلطة المحلية المسؤولية المباشرة للأمن في نطاق الوحدة الإدارية.

وتنسق خطة الأمن العام الذي تشرف عليه وزارة الداخلية النشاط الأمني فيما بين الوحدات الإدارية وتراقب النشاط الأمني في كل الوحدات الإدارية وفقاً للقانون.

٥- التعليم:

أ- يتم وضع سياسة تعليمية واحدة للجمهورية اليمنية.. وتتولى مجالس الحكم المحلي في الوحدات الإدارية، تنفيذ ذلك على قاعدة التفاعل الإيجابي فيما بينها لتقديم النموذج سواء فيما يتعلق بالمؤسسة أو مخرجات التعليم.

ب- المعاهد التقنية والفنية ومعاهد ومراكز التأهيل مسؤولة مباشرة للحكم المحلي، بما في ذلك تأهيل المعلمين والعناية بهم، وتوفير حاجة المدارس منهم.

ج- مدارس تحفيظ القرآن ونشرها مسؤولية الحكم المحلي.

د- التعليم العالي يتقيد الحكم المحلي بخطة وسياسة التعليم العالي ومتطلبات التنمية في الحقول المختلفة في الجمهورية.

٦-الصحة والخدمات الاجتماعية الأخرى:

١- فيما عدا مكافحة الأوبئة على صعيد البلاد كلها واتباع سياسة دوائية وطنية بمعايير موحدة فإن الاهتمام بالصحة والأطباء والإشراف على المستشفيات والوحدات الصحية ووضع نظام لتسييرها ومنح التراخيص والرقابة على العيادات الخاصة والمختبرات، المراكز العلاجية وتشجيعها، وتعيين الجهاز المتخصص هي مهمة الحكم المحلي.

٢- تنطبق نفس المعايير في علاقة الأجهزة المركزية بأجهزة الحكم المحلي في مجال الخدمات والأنشطة الاجتماعية الأخرى والعاملين فيها.

٧- نظام الخدمة المدنية في إطار الوظيفة العامة ونظام العمل:

١- يخضع جميع العاملين في الخدمة المدنية وخارجها لقوانين واحدة.

٢- تطبق هذه القوانين في إطار الوحدات الإدارية بحيث يترك نظام التحفيز في إطارها للحكم المحلي وفقاً لحاجتها وظروفها.

٣- تحتفظ الوحدات الإدارية وما يتفرع عنها بإرشيفها الخاص بسجلات العاملين وتمارس صلاحية كاملة فيما يخص التوظيف والترقية والفصل والإحالة إلى المعاش والإجازات وقرارات التأهيل

الداخلي والخارجي الذي يمارس وفقاً للخطة العامة للدولة وغير ذلك من القضايا التي ينظمها القانون.

٤- للسلطة القضائية نظامها المستقل.

ثانياً: التكوينات الإدارية في الوحدات وهيئات الحكم:

١- يدير الحكم المحلي مجالس منتخبة من الشعب تمتلك سلطة القرار الإداري والإشراف والمحاسبة والرقابة على أداء أجهزة الحكم المحلي في الوحدات الإدارية التابعة له وتنظم بقانون.

٢- يشكل في المخلاف مكتب تنفيذي ينتخبه مجلس الحكم المحلي في المخلاف من بين أعضائه أو من خارجه، يرأسه رئيس منتخب من قبل مجلس الحكم المحلي ويصدر به قرار جمهوري ويحدد القانون تسمية الهيكل التنظيمي للمكتب وفقاً لما تقتضيه طبيعة المهام المناطة به.

٣- قرارات مجلس الحكم المحلي ملزمة داخل نطاق الوحدة الإدارية له، ولا يجوز أن يتخذ قرارات تتعدى نطاق حدوده الإدارية.

٤- قرارات الحكومة ملزمة لهذه المجالس شريطة أن لا تتعارض مع الصلاحيات القانونية المناطة بالحكم المحلي ويبين القانون طريقة الرقابة وحدودها وصلاحياتها.

٥- القوانين التي يتخذها ويقرها مجلس النواب وتصدرها رئاسة الدولة ملزمة للعمل بها في جميع مجالس الحكم المحلي في الجمهورية.

٦- يتمتع جميع المواطنين اليمنيين بحقوق متساوية وكاملة في جميع الوحدات الإدارية بما في ذلك حق الانتخاب والترشيح لهيئات

مجالس الوحدات الإدارية حيث يؤخذ معيار المولد أو الإقامة للمواطن كأساس في ممارسة هذا الحق، وفقاً للقانون.

٧- يتكون كل مخلاف من وحدات الحكم المحلي من عدد من الوحدات الفرعية الإدارية، وتنظم صلاحيات هيئاتها المنتخبة بما يتفق ومضمون الحكم المحلي وتسمى: ألوية - مديرية - ناحية - بحسب التسلسل وتحدد لهذه الهيئات مهام وصلاحيات تنفيذية في برامج وخطط المخلاف ومهام بلدية خاصة بكل وحدة إدارية فرعية.

٨- تنتخب مجالس الوحدات الإدارية الأدنى رؤساء وأعضاء مكاتبها التنفيذية ويصدر برؤساء المكاتب قرار من رئيس الوزراء.

٢-٢ إعادة بناء وتنظيم القوات المسلحة:

إن إعادة بناء وتنظيم القوات المسلحة تعتبر واحدة من القضايا الرئيسية، وتتبع القوات مباشرة الحكومة، ولا يجوز إنشاء أي قوة عسكرية أو شبه عسكرية تتبع أي جهة أخرى - ويتم إعداد الخطة العامة لإصلاح ودمج وإعادة بناء وتنظيم القوات المسلحة وفق المبادئ والأسس التالية:

١- القوات المسلحة اليمنية، قوات دفاعية مسؤولة عن حماية الحدود البرية والبحرية والجوية للجمهورية اليمنية، والدفاع عن السيادة الوطنية.

٢- ضرورة ضبط ميزانية وزارة الدفاع بما يمكنها من أداء دورها وفقاً لمقتضيات الدفاع عن الجمهورية اليمنية.

٣- يحدد حجم القوات المسلحة موزعة على أنواع الثلاثة الفروع البرية / البحرية / الجوية ولا يسمح ببقاء قوة أو إنشاء أية وحدة خلافاً لذلك وخارجاً عن الثلاثة الفروع المحددة.

٤- تحديد التشكيلات المطلوبة للقوات المسلحة والملائمة لمسرح العمليات وفقاً لما تقره جهات الاختصاص ضمن الشروط ومتطلبات الدفاع عن السيادة واستقلال الجمهورية اليمنية.

٥- استكمال الأسس المادية والبشرية للتشكيلات المقترحة (٤) بعد تحديدها من خلال إعادة تركيب وتنظيم التشكيلات الحالية.

٦- يتم تموضع القوات المسلحة بعد تحديد حجمها، وتحديد تشكيلاتها واستكمال مؤسساتها المادية والبشرية بحسب الأوليات التالية:

أ- تموضع الوحدات في المناطق الحدودية.

ب- تأمين مواقع النشاط الاقتصادي للشركات العاملة.

جـ- إعادة تنظيم وتموضع ما تبقى من وحدات في مناطق العمق بحسب الحاجة وكاحتياطي.

وانسجاماً مع مبدأ تقليص حجم القوات المسلحة الحالي وصولاً إلى الحجم المحدد تعتمد الأسس التالية:

١- الإحالة للمعاش حسب قانون شروط الخدمة وقانون المكافآت والمعاشات.

٢- فتح باب الاستقالة، والمعاش الاختياري المبكر.

٣- إحالة العسكريين العاملين في المؤسسات الحكومية المدنية من قوام القوات المسلحة وتثبيتهم في المؤسسات المدنية التي يعملون بها.

٧- تنفيذ قانون الأحزاب والتنظيمات السياسية بمنع العمل الحزبي في القوات المسلحة والأمن.

٨- تقسيم الجمهورية إلى مناطق عسكرية.

٩- يعاد صياغة قانون شروط الخدمة في القوات المسلحة والأمن ليؤكد على:

١- العمل في القوات المسلحة حق وواجب وطني على كل أبناء اليمن، ولا بد أن يتمثل هذا المبدأ في تركيب القوات المسلحة، دون أي تمييز أو تفضيل.

٢- تحدد الفترة الزمنية التي يقضيها كبار قادة القوات المسلحة والأمن في الوظائف القيادية بخمس سنوات.

٣- أن تكون القوات المسلحة نموذجاً للوحدة الوطنية ويحدد ملاكاتها على أساس الكفاءة والخبرة بحيث تصبح مثالاً للوحدة الوطنية، بعيداً عن كل المؤثرات الحزبية والسياسية والانتماءات الأسرية والقروية والمناطقية والسلالية والمذهبية ويعاد تنظيمها وفقاً لهذه الأسس حتى لا توجد وحدة عسكرية خاضعة للمؤثرات المشخصة أعلاه.

٢-٣ الإعلام الرسمي:

تشكيل هيئة وطنية من العناصر الإعلامية الكفؤة للإشراف عليه والتخطيط للأجهزة الإعلامية الرسمية، تحل محل الوزارة ضماناً لخدمتها لصالح

المجتمع بعيداً عن التمييز لأي طرف سياسي وبما يمكنها من أداء دورها الإعلامي والتثقيفي وخدمة رسالتها.

٢-٤ التربية والتعليم:

التأكيد على توحيد المناهج الدراسية في كافة المدارس والكليات والمعاهد وإزالة كل ما لحق بالمناهج من تشويهات والسعي الحثيث لتحديث المناهج العلمية لتواكب العصر والعمل على إعداد جيل يمني موحد العقيدة والرؤى الوطنية والقومية.

٢-٥ المجلس الأعلى للأمن القومي:

١- يشكل مجلس أعلى للأمن القومي بالجمهورية اليمنية تحدد مهامه في إجراء الأبحاث والدراسات وإعداد التوصيات لرئاسة الدولة والحكومة بهدف حماية السيادة الوطنية وتوطيد علاقة بلادنا بالوطن العربي والعالم على ضوء الوضع العالمي الجديد والمتغيرات فيه ويدرس ويبحث بعناية لتجنيب بلادنا من التعرض للكوارث والأزمات والاهتزازات الزاحفة على معظم بلدان العالم الثالث.

٢- توضع للمجلس مهام ولوائح لضبط نشاطه وينشأ بقانون.

٣- يتكون من متخصصين في الشؤون السياسية والعسكرية والأمنية والاقتصادية والاجتماعية.

٢-٦ جهاز الرقابة والمحاسبة:

١- ينبغي تفعيل دور الجهاز المركزي للرقابة والمحاسبة كهيئة رقابية مستقلة عن السلطة التنفيذية وترتبط بالسلطة التشريعية مباشرة

وتلتزم العلنية لتقاريرها ويكون للحكومة أداتها في الرقابة المسبقة واللاحقة لأداء الأجهزة التنفيذية المركزية والمحلية.

٢- يشترط أن يتوفر في أجهزة الرقابة وجود عناصر قوية وكفؤة ومحايدة يكون بمقدورها الصمود أمام كافة الضغوط، وتصمد في وجه أية محاولة تعترض تأدية مهامهم في هذا الجانب أو تسخرها لأغراض سياسية أو محسوبية.

٢-٧ الإصلاح في مجال الوظيفة العامة:

إن الإصلاح في جانب الإدارة والوظيفة العامة لابد أن يخضع لدراسة الأوضاع الراهنة بصورة عميقة بدءاً بقواعد النظام، مروراً بإجراءاته العملية وصولاً إلى قياسات الأداء، ولما كانت الإدارة أساسها الإنسان لأنه العنصر الفاعل والمؤثر فيها، فإن الإصلاح ينبغي أن يتوجه إليه في الدرجة الأولى لإعداده وبنائه إلى جانب صياغة الأنظمة واللوائح والقواعد المالية وفق المبادئ التالية:

أ- الوضوح والبساطة في الأنظمة لتسهيل فهمها وتطبيقها.

ب- تحديد دقيق وسليم للواجبات والمسؤوليات والصلاحيات.

جـ- وضع قواعد ثابتة لتفويض الصلاحيات من الأعلى إلى الأدنى على كل المستويات المركزية والمحلية.

د- إعداد اللوائح الإدارية وأنظمة العمل بدقة.

هـ- إعداد دليل عمل بإجراءات المعاملات الخاصة بالمواطنين في مختلف المجالات.

وإضافة إلى أهمية إعداد الأنظمة.. فإن الاهتمام بالعنصر البشري في الإدارة يقتضي العمل بما يلي:

١- تكثيف عملية التدريب المستمرة للقدرات العلمية والعملية للقيادات والكوادر الإدارية.

٢- توفير البيئة المناسبة للعمل والاهتمام بإيجاد فرص عمل جديدة.

٣- تحييد الإدارة واعتبار الوظيفة العامة حق وواجب وتخضع التعيينات في جميع المناصب الإدارية لشروط الخدمة المدنية واللوائح والنظم والقوانين النافذة، ويعتبر نواب الوزراء وما فوق مناصب سياسية.

٤- إنشاء محاكم إدارية متخصصة تبت في قضايا المخالفات الإدارية خلال فترة أقصاها ستة أشهر من توقيع هذه الوثيقة.

٥- تشكيل هيئة عامة، للخدمة المدنية بدلاً عن الوزارة، تتبع مجلس الوزراء.

ثالثاً: الاقتصاد والتنظيم المالي

إن عدم استكمال بناء الدولة أثر تأثيراً مباشراً على الوضع الاقتصادي والمالي وكان من أبرز عوامل غياب الوحدة المؤسسية للدولة بقاء البلاد بدون سياسة اقتصادية ومالية محددة وواضحة تنظم هذا الميدان الحيوي والهام وكان لغياب السياسة الاقتصادية الواضحة منذ اليوم الأول لولادة تجربتنا الوحدوية الديمقراطية بالرغم من أن السياسة المعلنة كانت (الحرية الاقتصادية) إلا أن تلك السياسة لم تستكمل حلقاتها لتمكين الاقتصاد من النمو في إطارها

فكان الاضطراب والقلق وحالة الفوضى في محل التنظيم واصبح الإنفاق العام في ظل غياب وحدة الإرادة السياسية والقرار الحاسم أحد مصادر تقوية الفوضى التي عكست نفسها على العملية الوطنية وأدت إلى تدهور قوة الريال الشرائية وتعثر الأنشطة الاقتصادية الإنتاجية كالزراعة والصناعة وطغت موجة الغلاء وتراجعت القيمة الحقيقية للأجور ومداخيل السكان أمام تحول الأسعار التي حكمتها تدهور قيمة العملة الوطنية بالإضافة إلى هذا وذاك طغيان العجز في الميزانية العامة، من هنا تأتي عملية إصلاح الأوضاع الاقتصادية في إطار سياسة الحرية الاقتصادية ومن خلال عدد من الإجراءات العاجلة بوقف التدهور أمر في غاية الأهمية.. وانطلاقاً من ذلك كله وحرصاً في الخروج بسياسة متكاملة تتداخل وتتكامل مع عملية إصلاح بنية الحكم كلها نجد ضرورة اتباع الخطوات التالية:

١- التقييد بموازنة عامة للدولة محددة لأوجه الإنفاق والموارد يتم خلالها التخلص من العجز المتصاعد الناشئ عن الفجوة التمويلية الكبيرة بين الإنفاق والموارد من خلال التركيز على زيادة الموارد وتقليص الإنفاق وتنظيمه في حدود الحاجة الضرورية.

٢- العمل بموجب خطط متوازنة للتنمية وبرنامج استثماري سنوي لتأمين تحقيق التنمية الاقتصادية والاجتماعية المتوازنة.

٣- إصلاح النظام النقدي لوقف تدهور العملة الوطنية وتفعيل وظيفة البنك المركزي في ذلك وتنظيم وظائفه بما لا يتعارض مع وظائف البنوك التجارية واتخاذ الإجراءات الضرورية والعملية لصيانة العملة

بما في ذلك إصدار العملة الجديدة المتفق عليها، وتنظيم الصرافة ومكافحة التزوير للعملة.

٤- مكافحة الفساد والرشوة والتسيب الإداري والكشف عن مهربي السلع والأسلحة والمخدرات ومحاسبتهم طبقاً للقوانين النافذة.

٥- تنفيذ القرارات الخاصة بإقامة المنطقة الحرة في عدن على أن يبدأ المشروع في الإجراءات التنفيذية فوراً حتى تستكمل كافة الإجراءات في نهاية هذا العام الجاري.

٦- تنظيم نشاط المؤسسات والشركات العامة والرقابة عليها وخاصة فيما يخص نشاطها المؤثر على النقد الأجنبي الذي تلجأ إليه لتمويل أنشطة أصبحت مصدر استنزاف للاقتصاد.

٧- اتخاذ قرار سريع تعامل بموجبه خامات الصناعة الوطنية الأساسية ومدخلات الزراعة والأسماك وغيرها في الأنشطة الإنتاجية أسوة بالمواد الغذائية التي يمولها البنك المركزي لوقف تصاعد أسعارها وتدهور هذا النشاط الحيوي للاقتصاد الوطني.

رابعاً: تعديل الدستور

نظراً لأهمية الدستور كوثيقة بالغة الأهمية في حياة شعبنا في حاضره ومستقبله يتم ما يلي:

١- الالتزام بالدستور الحالي حتى يتم تعديله.

٢- لتنفيذ ما تضمنته وثيقة العهد والاتفاق وما يتطلبه من تعديلات دستورية يتم العمل العاجل لإجراء التعديلات الدستورية خلال فترة

ثلاثة أشهر ولا تتجاوز خمسة أشهر، وتشكل لهذا الغرض لجنة وطنية من العلماء وأطراف حوار القوى السياسية وبعض المتخصصين في جامعتي عدن وصنعاء، ومشاركة بعض الشخصيات الاجتماعية لوضع مشروع للتعديلات الدستورية آخذة في الاعتبار مسودة مشروع التعديلات بما لا يتعارض مع المبادئ والأسس العامة والمهام والصلاحيات المحددة للهيئات وطريقة تكوينها في وثيقة عهد واتفاق أطراف حوار القوى السياسية، وتتفرغ اللجنة لهذه المهمة تفرغاً كاملاً حتى تتمكن من إنجاز عملها في الفترة الزمنية المحددة.

٣- إعادة النظر في النظام الانتخابي البرلماني والمحلي بصورة شاملة وعلى وجه الخصوص الانتخاب بالقائمة النسبية على ضوء دراسة علمية تراعي التجربة اليمنية والتجارب الإنسانية الأخرى، ويعاد النظر في قانون الانتخابات على ضوء نتائج هذه الدراسة.

خامساً: آلية التنفيذ

لضمان تنفيذ ما جاء بهذه الوثيقة الوطنية التي تستهدف تصحيح مسار الوحدة وبناء الدولة اليمنية الحديثة، دولة النظام والقانون، فلا بد من حشد كل الطاقات الوطنية الرسمية والشعبية لذلك، وعليه اعتماد الآلية التالية:

١- إعطاء الحكومة كافة الصلاحيات وعدم التدخل في أعمالها وبما يمكنها من تنفيذ المهام المناطة بها.

٢- تضع الحكومة جداول زمنية لإنجاز المهام المحددة خلال شهر من إشهار الوثيقة.

٣- كلما ورد بهذه الوثيقة ويتطلب تعديلاً دستوريا يعمل به فور إقرار التعديلات الدستورية على أن يتم التحضير المتوازي لبعض المهام مع إعداد مشروع التعديلات الدستورية أما القضايا التي لا تتطلب تعديلاً دستورياً فتنفذ فوراً.

٤- علنية الإجراءات التي تتخذها الحكومة فيما يخص تنفيذ هذه الوثيقة وبيان الحكومة.

٥- عقد مؤتمر صحفي كل شهر يحدد التقدم في تنفيذ المهام ويعين ناطق رسمي باسم الحكومة.

سادساً: آلية المتابعة

١- تتولى لجنة حوار القوى السياسية مهام المتابعة والإشراف على تنفيذ القرارات التي نصت عليها " وثيقة العهد والاتفاق " بين أطراف حوار القوى السياسية لبناء الدولة اليمنية الحديثة.

٢- تصدر قرارات تنفيذية بمنح اللجنة ما يلي:

أ- حق الحصول على المعلومات من أي جهة كانت وبشكل خاص فيما يساعد اللجنة على تنفيذ مهامها.

ب- حق استخدام وسائل الإعلام لنشر بياناتها التي تتعلق بتوضيح سير تنفيذ الوثيقة والعوائق التي تقف أمامها والمتسببين في تعطيلها سواءً كانوا أشخاصاً أو هيئات.

جـ- توفر الحكومة للجنة متطلباتها المكتبية والإدارية التي تساعدها على أداء دورها.

سابعاً: الترتيبات والظروف الأمنية المطلوب توافرها للتوقيع على الاتفاقية وبدء تنفيذها

تشكل لجنة من أطراف الحوار وذلك للقيام بوضع الترتيبات اللازمة لتوفير الظروف الأمنية المطلوبة للتوقيع على الاتفاقية وضمانات مباشرة التنفيذ، بالتنسيق مع الرئيس والنائب - ويحدد الموعد على ضوء الترتيبات التي يتفق عليها.

خاتمة

إن إنجاز هذه الوثيقة بالاتفاق على ما ورد فيها يشكل أساساً قوياً لإصلاح أوضاع بلادنا السياسية والاقتصادية ويخرجها من كافة أزماتها المتلاحقة التي عرفتها وعطلت إمكانياتها وأخضعتها للقلق والاضطرابات.

نعم.. إن إنجاز عمل كهذا يتطلب إرادة سياسية قوية موحدة القول والفعل بالعمل والحركة والوفاء بالوعد والصدق والالتزام ولا تأخذها في الحق لومة لائم طالما وهدفنا هو صيانة الوحدة وحماية الجمهورية والحفاظ على مسيرتنا وخيارنا الديمقراطي وتأكيد رغبة شعبنا في تحقيق أهدافه في أمن الإنسان واستقراره ورخائه.

ومن الله نرجو التوفيق وهو من وراء القصد.

﴿وقل اعملوا فسيرى الله عملكم ورسوله والمؤمنون﴾

صدق الله العظيم.

التوقيعات على الوثيقة

التوقيعات على الوثيقة
عمّان

١٠ رمضان ١٤١٤
٢٠ فبراير ١٩٩٤

لجنة حوار القوى السياسية

الأسماء حسب الحروف الهجائية

الإســـــم	التــوقـيـــع
أحمد جابر عفيف	
إسماعيل بن أحمد الوزير	
أنيس حسن يحيى عوض	
أحمد عبدالرحمن قرحش	
أحمد كلز	
جارالله محمد مسعد عمر	
حيدر أبو بكر العطاس	
حسين شرف حسين الكبسي	
حمود هاشم عبدالله الذارحي	
سالم حسن المعمري	
صادق علي الضبآب	
صالح ناصر نصران	
صلاح بن احمد فليته	
عبد العزيز عبدالغني	
عبد الوهاب أحمد الآنسي	

صفحة ١ من ٢

التوقيعات على الوثيقة
عمّان

١٠ رمضان ١٤١٤
٢٠ فبراير ١٩٩٤

لجنة حوار القوى السياسية

الأسماء حسب الحروف الهجائية

عبد القادر حسن محمد القيري	
عبد القدوس يحيى المضواحي	
عبد الكريم علي يحيى الإرياني	
عبدالله أحمد غانم	
عبد الله صالح البار	
عبد الله محسن الاكوع	
عبد الواحد هواش	
عمر عبد الله الجاوي	
فضل محسن عبد الله	
محسن محمد أبوبكر بن فريد	
محمد راوح سعيد	
محمد عبدالله علي الفسيل	
محمد عبد الملك المتوكل	
يحيى محمد الشامي	

التوقيعات على الوثيقة
عمان

لجنة حوار القوى السياسية ١٠ رمضان ١٤١٤ ٢٠ فبراير ١٩٩٤

أمناء أو رؤساء الأحزاب والتنظيمات السياسية

علي عبدالله صالح الأمين العام للمؤتمر الشعبي العام	علي سالم البيض الأمين العام للجنة المركزية للحزب الإشتراكي اليمني
عبدالله بن حسين الأحمر رئيس الهيئة العليا للتجمع اليمني للإصلاح	إبراهيم بن علي الوزير الأمين العام لاتحاد القوى الشعبية
أحمد محمد الشامي الأمين العام لحزب الحق	حمود محمد بيدر الأمين العام لمنظمة مناضلي الثورة اليمنية
خالد فضل منصور رئيس التجمع اليمني الوحدوي	سنان عبدالله بو لحوم رئيس اتحاد القوى الوطنية
عبد الرحمن علي محمد الجفري رئيس رابطة أبناء اليمن	عبد الملك عبدالجليل المخلافي الأمين العام للتنظيم الوحدوي الشعبي الناصري
قاسم سلام أمين سر قيادة قطر اليمن حزب البعث العربي الإشتراكي	مجاهد يحيى أبو شوارب شخصية مستقلة

وثائق مختلفة

من عبد الله السلال رئيس الجمهورية العربية اليمنية

الى صاحب الفخامة الأمير اللواء فؤاد شهاب رئيس الجمهورية اللبنانية

عزيزي وصديقي العظيم، لما لي من شديد الرغبة في اطراد علاقات المحبة التي تربط لحسن الحظ بلدينا، قد اخترت السيد أحمد جابر عفيف ليكون مندوبا فوق العادة ووزيرا مفوضا من قبلي لدى فخامتكم، وان ما خبرته من اخلاصه وهمته وما رأيته من مقدرته في المناصب العالية التي تقلدها لمما يجعل لي وطيد الرجاء في أن يكون النجاح نصيبه في تأدية المهمة التي عهدت اليه فيها، ولاعتمادي على غيرته وعلى ما سيبذل من جهد صادق ليكون أهلا لعطف فخامتكم وحسن تقديرها أرجو فخامتكم أن تحوطوه بتأييدكم وتولوه رعايتكم وتتلقوا منه بالقبول وتمام الثقة ما يبلغه اليكم من جانبي ولا سيما اذا كان له الشرف بأن يعرب لفخامتكم عما أتمناه لشخصكم من السعادة ولبلادكم من الرغد .

واني أيها الصديق صديقكم الوفي

رئيس الجمهورية

برئاسة الجمهورية بصنعاء
في ثلاث عشر من شوال سنة ألف وثلاثمائة وثلاث وثمانين هجرية
الموافق سبع وعشرين من فبراير سنة ألف وتسعمائة وأربع وستين ميلادية

وزير الخارجية

من رئيس الجمهورية العربية اليمنية

إلى صاحب الفخامة السيد/ شارل الحلو رئيس الجمهورية اللبنانية

أخي وصديقي العزيز

لما كنت شديد الرغبة في توطيد عرى الصداقة والمحبة والتفاهم التي يسرني أن تسود بين بلدينا الشقيقين ،

فقد وقع اختياري على السيد/ أحمد جابر عفيف ليكون لدى فخامتكم سفيراً فوق العادة ومفوضاً .. وان ما عهدته من درايته واخلاصه وما خبرته فيه من مقدرة في المناصب العالية التي شغلها يحملني على الاعتقاد بأن اختياره سيقع لديكم موقعاً حسناً وأنه سيؤدي مهامه على الوجه الذي يحظى بتقديركم ورضاكم مما يكون دليلاً جديراً على حسن ثقتنا به .

وإني لأرجو فخامتكم أن تمنحوه اعتمادكم المطلق في كل ما يحمله إليكم باسمي ولاسيما إذ يعرب لفخامتكم عن صادق أمنياتنا لفخامتكم ورفاهية الشعب اللبناني الشقيق .

وإني أيها الأخ العزيز

أخوكم الوفي

الفريق/ حسن العمري

رئيس الجمهورية بالنيابة

تحرر في رئاسة الجمهورية بصنعاء

في ثالث عشر شهر محرم الحرام عام ستة وثمانين وثلاثمائة وألف هجرية

الموافق : الرابع من مايو سنة ألف وتسعمائة وستة وستين م

وزير الخارجية

بسم الله الرحمن الرحيم

من رئيس الجمهورية العربية اليمنية

الى صاحب الفخامة السيد/ الدكتور نور الدين الأتاسي

رئيس الدولة بالجمهورية العربية السورية

أخي وصديقي العزيز

لما كنت شديد الرغبة في توطيد عرى الصداقة والمحبة والتفاهم التي يسرني أن تسود بين بلدينا الشقيقين .

فقد وقع اختياري على السيد / أحمد جابر عفيف ، ليكون لدى سيادتكم سفيراً فوق العادة ومفوضاً غير مقيم

وأن ما عهدته من درايته وإخلاصه وما خبرته فيه من المقدرة في المناصب الرفيعة التي شغلها يحملني على الاعتقاد بأن اختياره سيقع لديكم موقعاً حسناً وأنه سيؤدي مهامه على الوجه الذي يحظى بتقديركم ورضاكم مما يكون دليلاً جديداً على حسن ثقتنا به

وإني لأرجو سيادتكم أن تمنحوه الاعتماد الكلي في كل ما يحمله إليكم باسمي ولا سيما إذ يعرب لسيادتكم عن صادق أمانينا لشخصكم ورفاهية الشعب العربي السوري الشقيق .

وإلى اللقاء أيها الأخ العزيز

أخوكم الوفي

حسن العمري

رئيس الجمهورية العربية اليمنية بالنيابة
ورئيس الوزراء

تحريراً برئاسة الجمهورية صنعاء في ثمان عشر من محرم الحرام عام ستة وثمانين وثلثمائة وألف هجرية .
الموافق الرابع من مايو سنة ألف وتسعمائة وستة وستين م .

وزير الخارجية

الجمهورية اللبنانية

وسام الأرز الوطني

إن رئيس الجمهورية اللبنانية

منح بموجب المرسوم رقم ٣٩٦ تاريخ ١١/١/١٩٧٢

معالي السيد احمد جابر عفيف

وسام الأرز الوطني

رتبة الوشاح الأكبر

يحق له ابتداء من تاريخ ١١/١/٧٢ أن يتقلد هذا الوسام

وأن يتمتع بجميع الحقوق ومراسم التكريم والامتيازات العائدة له.

في ١٤/ ١/ ١٩٧٢

عميد مجلس الأوسمة

حققه وختمه وسجله تحت رقم ٣٩٦

أمين سر مجلس الأوسمة

المنظمة العربية للدفاع عن القدس

شهادة عضوية

الاخ الاستاذ/ احمد جابر عفيف الموقر

ببالغ الغبطة والبهجة والمسرة الدائمة تتشرف المنظمة بأن تتقدم الى رحابكم الزكية بهذه الشهادة القديرة . وذلك إفتخاراً بمكانتكم الوطنية المرموقة والمعتبرة . وإعتزازٌ بإشتراككم الميمون في عضوية المنظمة وإسهامكم الجاد في تحقيق اهدافها الإسلامية الخالدة علي طريق الدفاع عن قضية القدس الشريف والمسجد الاقصى المبارك .

ادامكم الله عوناً للوطن والأمة

وبالله التوفيق

عبد الرحمن سلطان

رئيس المنظمة

صنعاء في ٢٥ جماد الاول ١٤١٧هـ

الموافق ٧ اكتوبر ١٩٩٦م

الجمهورية اليمنية
اتحاد الأدباء والكتاب اليمنيين
الأمانة العامة

الوالد الجليل الأستاذ / أحمد جابر عفيف
رئيس مؤسسة العفيف الثقافية . رئيس مجلس الأمناء — الأكرم

بعد التحية والتقدير :

باسمي واسم الأخوة أعضاء الأمانة العامة والمجلس التنفيذي للاتحاد أتقدم إليكم بخالص الشكر والتقدير على جهودكم المثمرة وقناعتكم الكريمة والمتمثلة في إهداء الاتحاد صالة خاصة بالفعاليات الثقافية

وهنا تجدر الإشارة إلى أن الأمانة العامة في اجتماعها يوم الاثنين ١٩٩٨/٢/٩م قد أقرت أن يطلق عليها اسم

صالة العفيف .

إن مثل هذا العطاء ليؤكد أن قيم الخير ما زالت موجودة في هذا الوطن وبمثل هذا البذل فإنكم غرستم في قلوب إخوانكم وأبنائكم الأدباء وردة شذية لا تذبل مع الأيام.

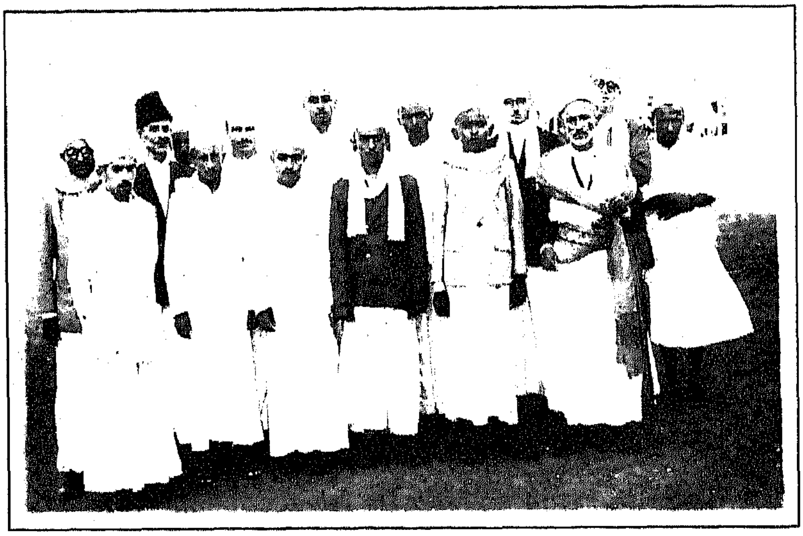
﴿ وأما الزبد فيذهب جفاء ، وأما ما ينفع الناس فيمكث في الأرض كذلك يضرب الله الأمثال ﴾ الرعد (١٧)

وفقكم الله وبارك فيكم وجزاكم خير الجزاء . والسلام عليكم ورحمة الله وبركاته

وتقبلوا عميق تقديري وفائق تحياتي.

ولدكم . إسماعيل الوريث
أمين عام اتحاد الأدباء
والكتاب اليمنيين

ملحــق الصــور



صورة تذكارية بالحديدة من اليسار : أحمد جابر عفيف، صغير سليمان، الحشيبري، علي فاضل، مهدي، محمد لقمان. ومن الخلف : إسماعيل الحرازي، العزي مصوعي، علي حمود عفيف، محمد العديني، وآخرون (عام ١٩٥٢ م)



صورة تذكارية من اليسار : محمد لقمان، مدرس مصري، محمد خلوصي، أحمد جابر عفيف، مدرس فلسطيني. ومن الخلف : علي عبد العزيز نصر، إسماعيل الحرازي، الحشيبري، أحمد هاجي، صغير سليمان (عام ١٩٥٢م)



صورة نادرة للشهيد / علي عبد الغني بطل ثورة ٢٦ سبتمبر
(في عام ١٩٥٧ م)



صورة تذكارية من اليسار : الأستاذ / أحمد المروني، أحمد جابر عفيف، الرئيس /عبد الله السلال، العميد / أحمد الجرموزي، عبد الله غالب السري، وآخرون.
(في عام ١٩٥٨م)

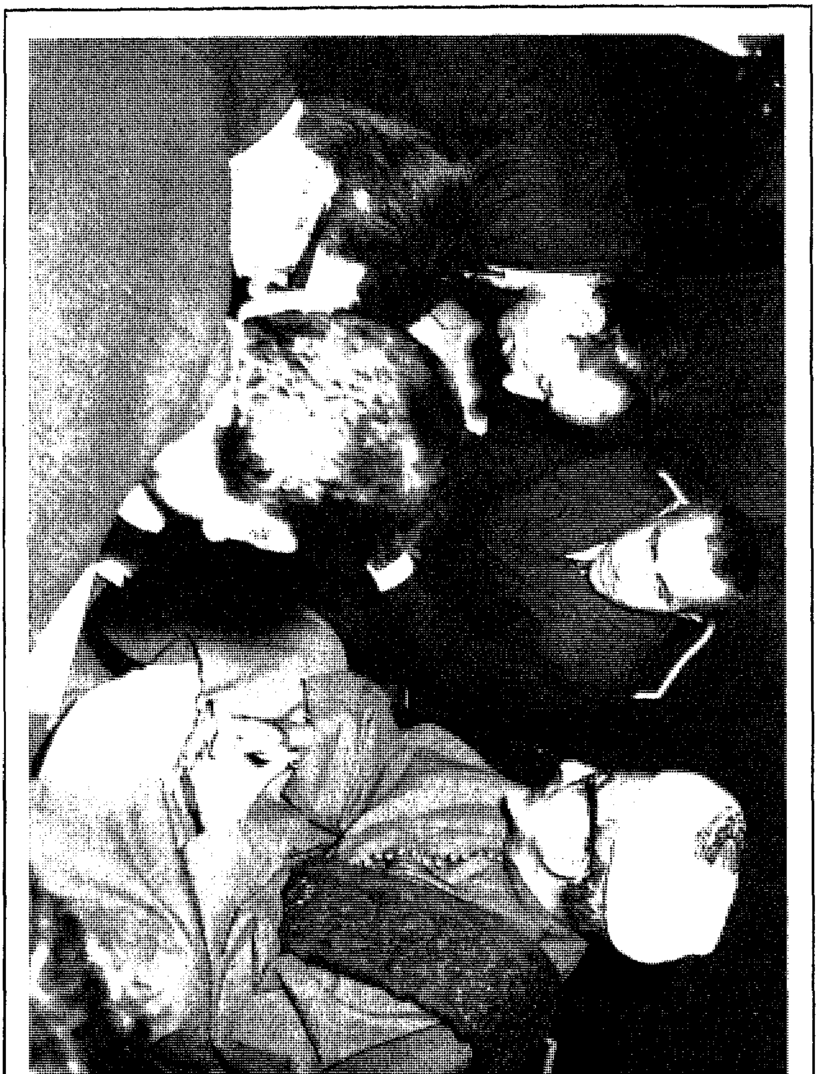


من اليمين الأخ السفير / أحمد محمد باشا والقاضي الإرياني وأحمد جابر عفيف والشهيد الزبيري وجزيلان (١٩/١١/١٩٦٢م - بيروت)



الشهيد الزبيري والقاضي الإرياني وجزيلان والمؤلف

(١٩/١١/١٩٦٢ -بيروت)



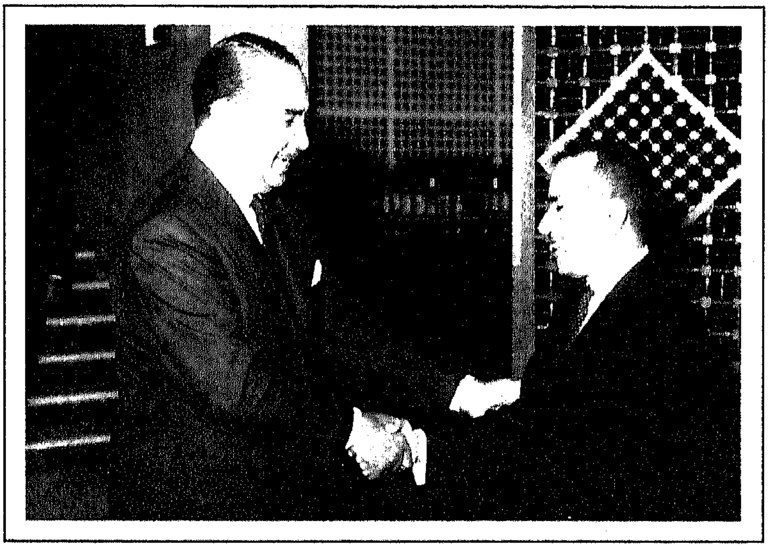
القاضي العلامة / عبد الرحمن الإرياني مع المؤلف
(١٩٦٣م – بيروت)



الأستاذ / محسن العيني، مدير عام المراسم بالخارجية اللبنانية، القاضي /عبد الرحمن الإرياني، أحمد جابر عفيف



دولة / حسين العويني – رئيس وزراء لبنان ومعه المؤلف (١٩٦٣ م – بيروت)



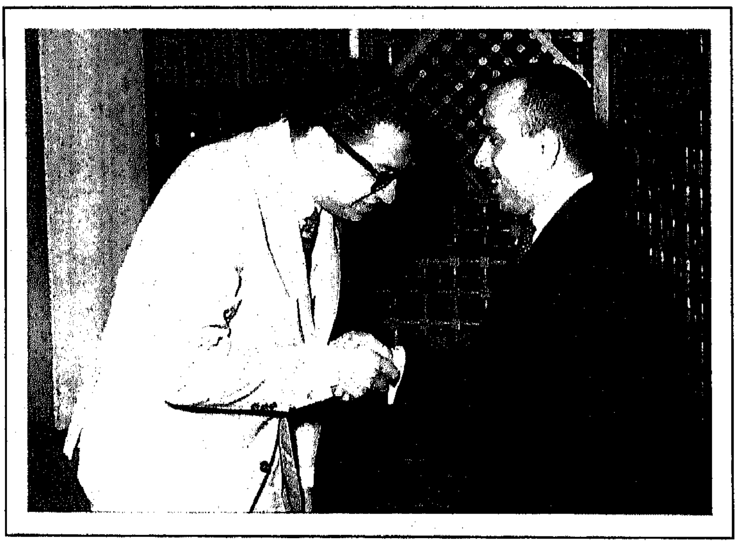
اللواء / عبد الحميد غالب سفير مصر مع الأستاذ / أحمد جابر عفيف (١٩٦٣ م – بيروت)



الأستاذ / أحمد جابر عفيف يقدم أوراق اعتماده إلى اللواء / فؤاد شهاب رئيس الجمهورية اللبنانية (١٩٦٤/٤/٣ م – بيروت)



القائد العام للجيش اللبناني مع الأستاذ / أحمد جابر
عفيف (١٩٦٤ - بيروت)



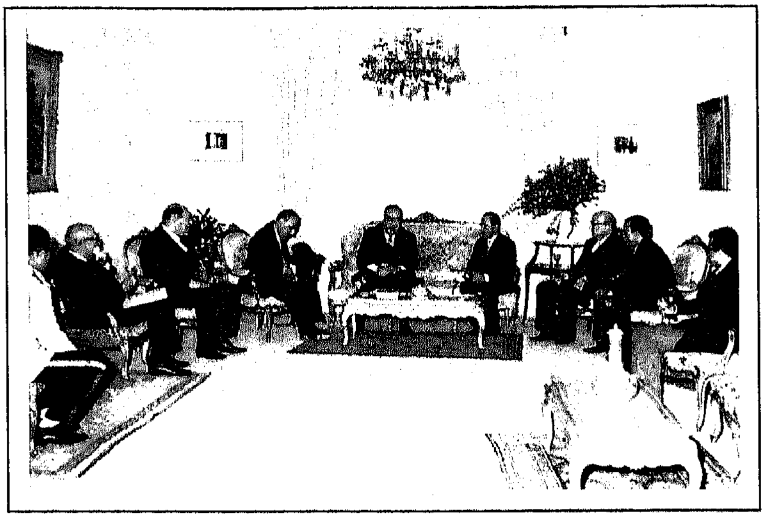
الأستاذ / رياض نجيب الريس مع المؤلف (١٩٦٤ - بيروت)



دولة رشيد كرامي – رئيس وزراء لبنان مع المؤلف (١٩٦٥ م – بيروت)



الأستاذ / أحمد جابر عفيف يقدم أوراق اعتماده إلى فخامة /نور الدين الأتاسي كسفير لبلاده
غير مقيم لدى سورية (١٩٦٦/٦/٢م –دمشق)



المؤلف مع فخامة الأستاذ / شارل الحلو – رئيس الجمهورية اللبنانية

(١٩٦٦/٦/١٠م –بيروت)



المؤلف مع فخامة الأستاذ / شارل الحلو – رئيس الجمهورية اللبنانية

(١٩٦٦/٦/١٠م –بيروت)



معالي الأستاذ / فليب تقلا – وزير خارجية لبنان ومعه المؤلف



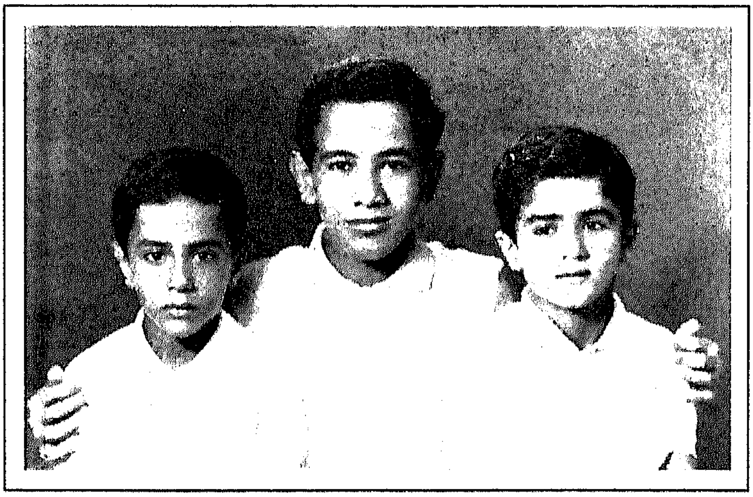
صورة تذكارية للسيدة أم أبنائي / طه وخالد وطارق وأروى



شريكة حياتي أم أبنائي مع حبيبتي أروى ١٩٦٧ م



مع أم البنين وأروى ١٩٦٦م



أحبابي / طه وخالد وطارق



طه أحمد جابر عفيف، والحبيبة أروى



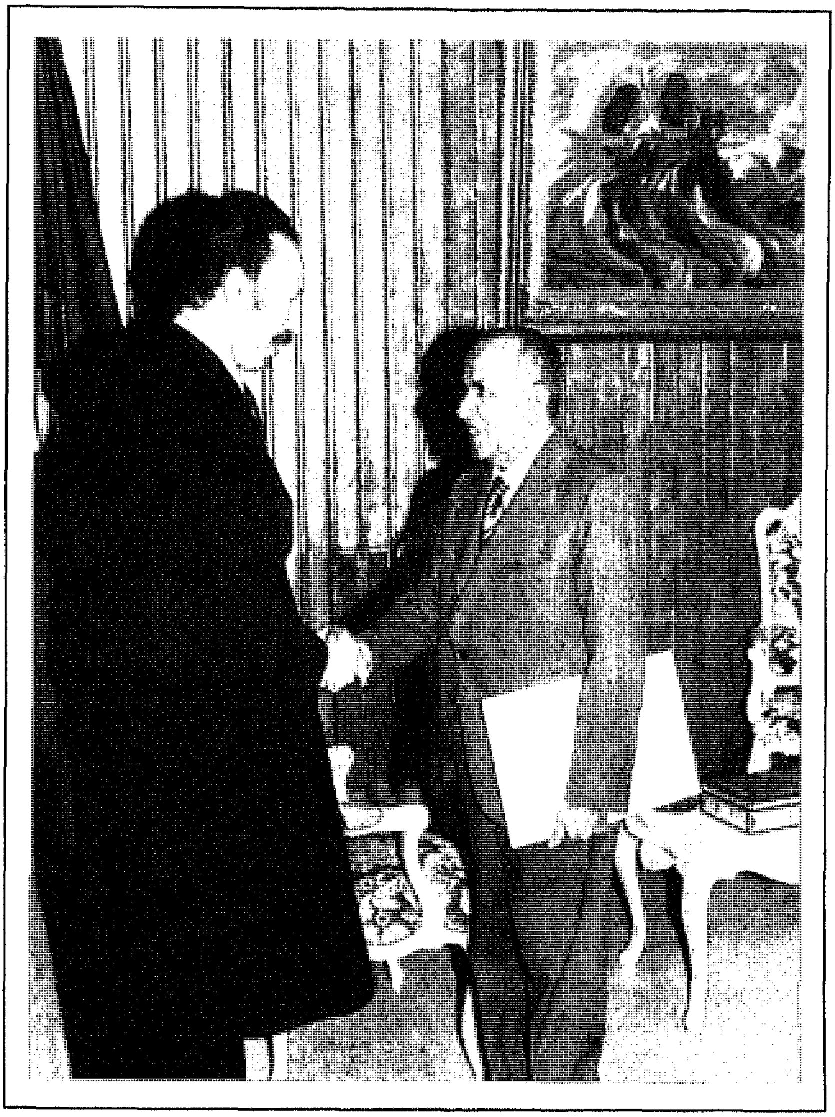
الأستاذ الجليل / أحمد محمد نعمان، والأستاذ / عبد السلام صبرة مع المؤلف

(١٩٧٢م - بيروت)



الأستاذ الجليل / أحمد محمد نعمان، ومعه الأستاذ / أحمد جابر عفيف

(١٩٧٢م - صنعاء)



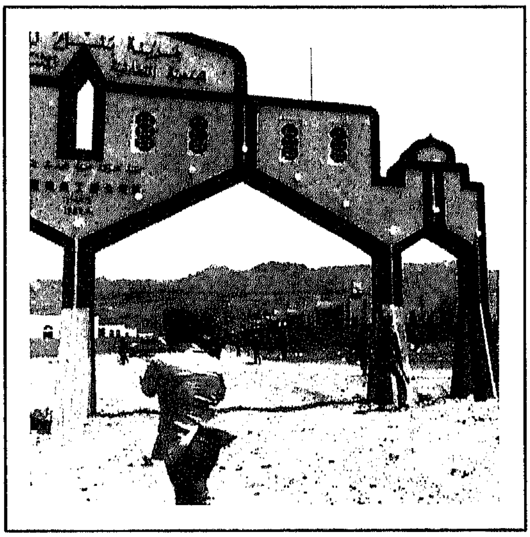
العقيد / هواري بومدين - رئيس الجزائر ومعه المؤلف (١٩٧٣م - الجزائر)



الأستاذ الجليل / محسن أحمد العيني ومعه المؤلف (١٩٧٣ – صنعاء)



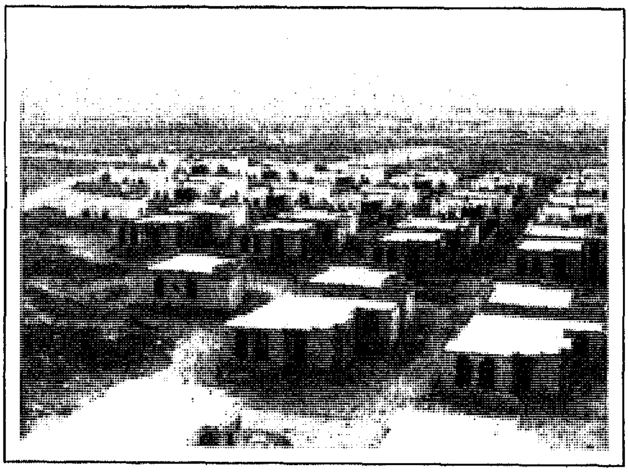
مع الأخ رئيس الجمهورية وهو يفتتح مدينة بنك الإسكان –١٩٨٢م



بوابة مدينة بنك الإسكان –١٩٨٢م



الأخ رئيس الجمهورية وعلى يساره الأستاذ / أحمد
جابر عفيف وعلى يمينه الرئيس / ياسر عرفات
والسفير الصيني أثناء زيارته لمدينة بنك الإسكان
(١٩٨٢م)



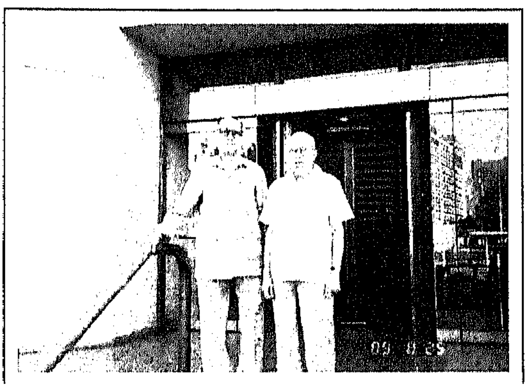
بداية بناء مدينة بنك الإسكان -١٩٨٢م



زيارتي لموسكو وأنا رئيس جمعية الصداقة اليمنية السوفيتية ١٩٨٨م



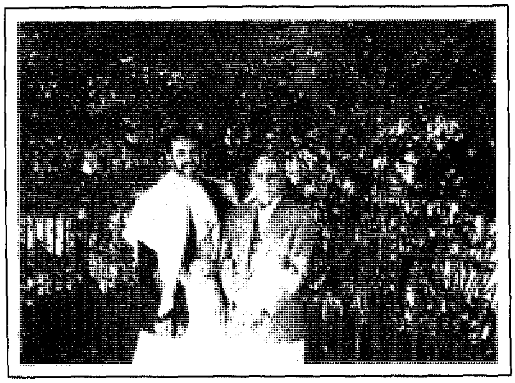
صورة تذكارية في موسكو مع الأخوين العميد /علي عثرب والأستاذ /عبد الرحمن الشبيبي ١٩٨٨م



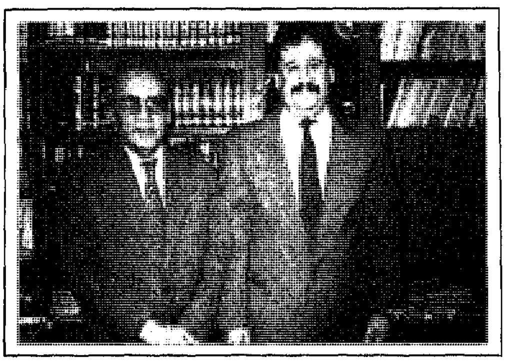
مع الأخ العزيز الوفي / جازم الحروي – عام ١٩٨٩م



مع الأخوين الشاعرين / إبراهيم الحضراني وحسن الشرفي - ١٩٩٨م



مع الأخ العميد / مجاهد أبو شوارب -١٩٩٥م



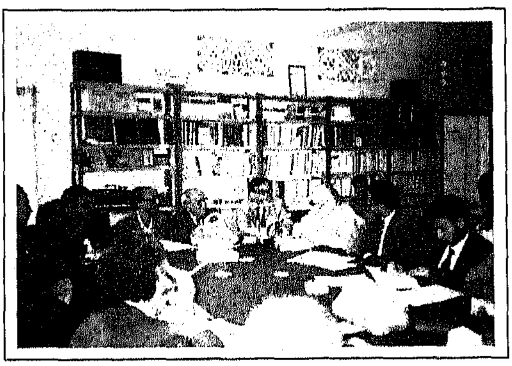
مع العزيز / يحيى حسن سويد -١٩٩٥م -



العفيف يكرم الشاعر العربي الكبير
سليمان العيسى ١٩٩٧م



حفل منح جائزة العفيف الثقافية – مجال القصة القصيرة – لعام ١٩٩٧م . من اليمين : محمد النصيري، وجدي الأهدل، الأستاذ أحمد جابر عفيف، هدى العطاس



ندوة عن القات –١٩٩٥م –



الأستاذ / أحمد جابر عفيف يمنح القاص وجدي الأهدل جائزة العفيف الثقافية مناصفة مع القاصة هدى العطاس٢٥/٥/١٩٩٧م – صنعاء

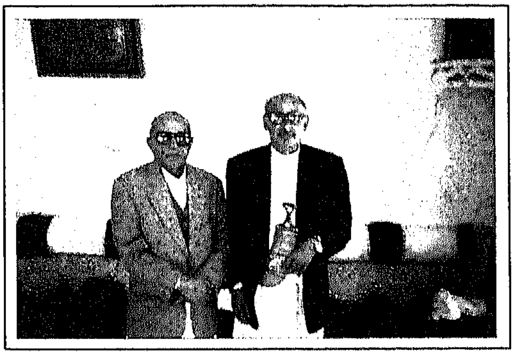


الأستاذ /أحمد جابر عفيف يكرم المناضل الكبير عبد السلام صبرة ٢٩/٩/١٩٩٨م



حفل تكريم المناضل / عبد السلام صبرة

من اليمين: الأساتذة: محمد الشرفي، محمد عبد الله الفسيل، أحمد جابر عفيف، عبد السلام صبرة،أحمد المروني، سعيد الجناحي



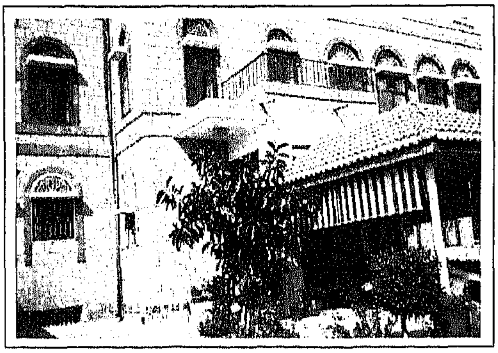
رفيق العمر الصديق / حسين عبد الله المقدمي



الأستاذ / عبد الملك منصور وزير الثقافة والسياحة
يسجل كلمة شكر للمؤسسة

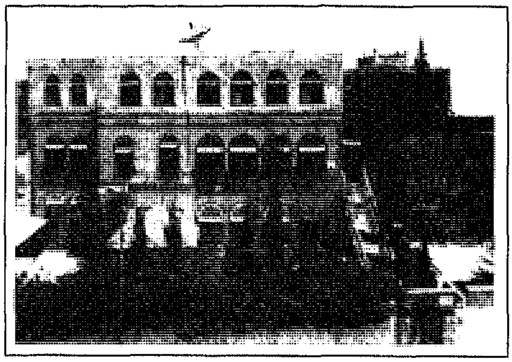


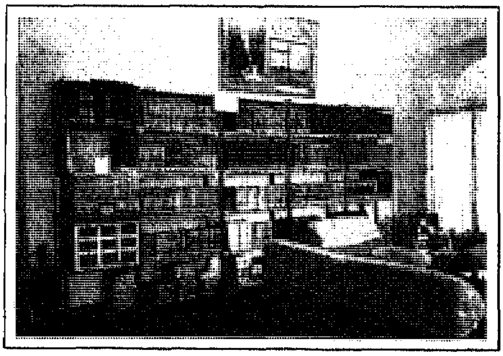
الأستاذ / أحمد جابر عفيف يكرم الفنان محمد سعد
عبد الله ١٣/٤/١٩٩٩م



جانب من مبنى مؤسسة العفيف الثقافية

مؤسسة العفيف الثقافية

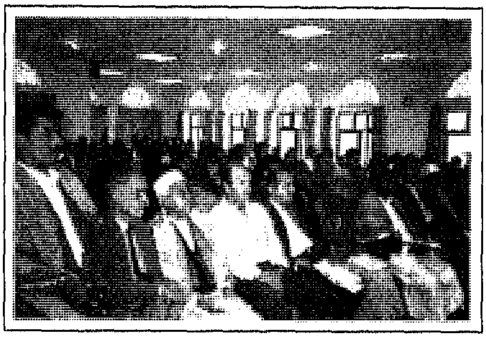




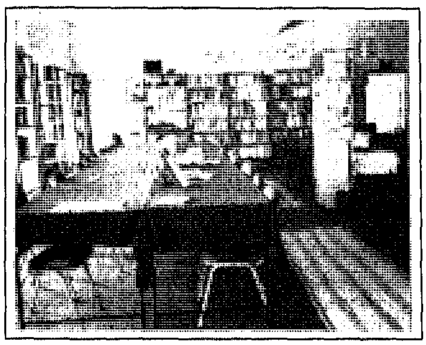
جانب من مكتبة مؤسسة العفيف الثقافية



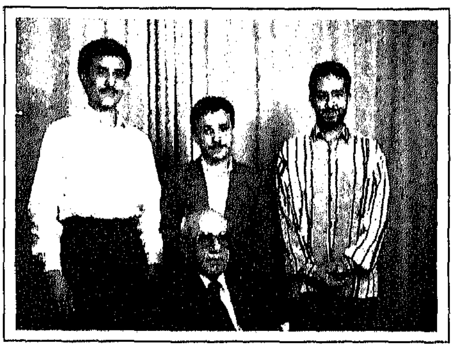
أحباء المؤسسة



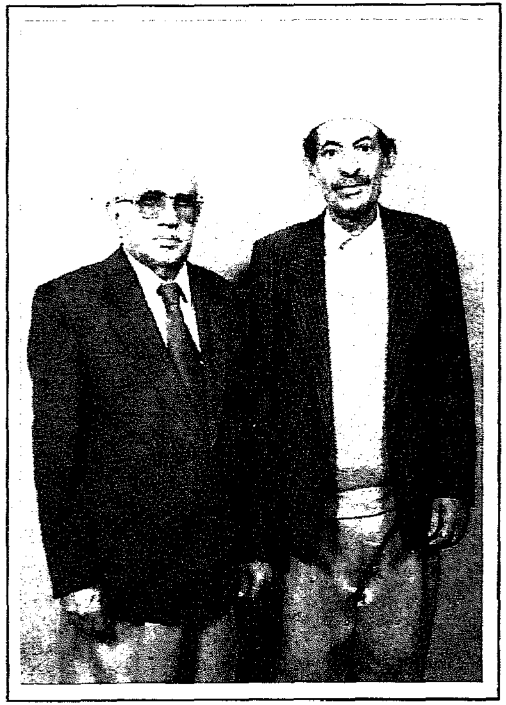
أحباء المؤسسة



جانب من مكتبة مؤسسة العفيف الثقافية



الثلاثي: وجدي وعادل وعلوان الذين شجعوني على تسجيل هذا الكتاب



الأخ / سعيد أحمد قاسم الصلوي يعمل طباخاً لدي
من عام ١٩٦٩م



أبنائي الأعزاء / طه وخالد وطارق – ١٩٩٩م

وصيتي

لقد فكرت كثيراً هل من المفيد نشر مثل هذه الوصية وما هو المردود من ذلك.. وفي الأخير اقتنعت بأهمية فائدة النشر:

١- إعطاء صورة كاملة عما قمت به نحو تأسيس مؤسسة العفيف الثقافية.. وبراءة للذمة (من أين لي هذا؟) أمام الله وأمام ضميري وأسرتي والناس جميعاً.

٢- هي بحد ذاتها رسالة موجهة إلى الخيرين في هذا البلد أن يتجهوا لفعل الخير وأن يكونوا على يقين بأن هذا هو الباقي.

أنا أحمد جابر عفيف من مواليد بيت الفقيه حوالي العام ١٩٢٩م، أؤمن بالله ورسوله وباليوم الآخر وأن الموت حق والحياة حق والبعث حق، عشت هذه الحياة بما قُدِّر لي من العمر ولأن الموت قادم حتماً فإني أوصي بما يلي:

أولاً: أوصي أولادي أن يتمثلوا في حياتهم قيم الخير والحب والحياة والتقدم والوطنية، وهي القيم التي عشت لها كل حياتي وآمنت بها بكل كياني وأحمد الله أني سأموت وأنا مطمئن تماماً لاستقامتهم وعلاقة الود والألفة التي تربطهم راجياً منهم أن تستمر الحال كذلك بعد موتي،

وأنصحهم الاحتكام في كل شئونهم إلى العقل والمنطق فما غُلِبَ امرؤٌ إلا من باب عاطفته.

ثانياً: لقد أجريت القسمة بينهم جميعاً بالتفاهم المشترك والرضى الحر وحسب الفرائض الشرعية وأصول قسمة التركات وذلك بهدف إغلاق أي باب لاحتمال سوء التفاهم بينهم ولذلك أؤكد عليهم بأن وصيتي لهم جميعاً، وعهدي الوثيق عليهم أن يستمروا على حال ما فعلنا وأن يمتنع كل أحدٍ عن محاولة – بمجرد محاولة – فك ما أبرمنا.

ثالثاً: لقد أنشأت مؤسسة العفيف الثقافية بعلم أولادي جميعاً وكان هدفي الأكبر من ذلك هو خدمة قضية التقدم في بلادي والإسهام قدر طاقتي في نهضتنا الحديثة وقد كلفني ذلك جهوداً مضنية ومتاعب يعلمها الله وحده، ولذلك فإن هذا المشروع أثمن ما في حياتي وأنا حريص كل الحرص على استمرار المؤسسة وتطورها واتساع دورها الثقافي والنهضوي، وعهد الله على جميع أولادي مراعاة رغبتي هذه بعد مماتي وطوال حياتهم وعدم المساس بما وضعته بها وفيها وبشأنها إلاّ بما ينفعها وينميها والله محاسبهم على ذلك، وقد وضعت بشأنها وصية مستقلة تعتبر جزءاً لا يتجزأ من هذه الوصية، وكلاهما ملزمة لأولادي.

رابعاً: مكتبتي تحتوي على مجموعة مختارة من الكتب بعضها مخطوط أوقفتها على مؤسسة العفيف الثقافية وتصبح ضمن أملاكها وتأخذ حكمها على كل حال.

خامساً: جميع المصوغات الذهبية والحلي التي مع زوجتي هي ملك لها وليس لي فيها شيء.

سادساً: لقد رافقني الأخ / سعيد أحمد الصلوي سنين طويلة رفقة أمانة ووفاء وبراءة للذمة أوصى أن يستمر مع العائلة إن رغب ذلك أما حقوق نهاية خدمته القانونية فيقدرها الأخ/أحمد علي الوادعي المحامي وتعطى له فوراً.

سابعاً: بالنسبة لمؤسسة العفيف الثقافية أوصي بشأنها ما يلي:

١- جميع أملاك المؤسسة العقارية وغيرها وصية من ثلث تركتي أوقفتها على المؤسسة بما لي من حق شرعي في التصرف بثلث التركة، وحسب ما هو مذكور في أوراق القسمة، وهذا الوقف محبساً على الأغراض التي حددتها للمؤسسة سواءً في هذه الوصية أو في النظام الأساسي للمؤسسة.

٢- إن الغرض الأساسي للمؤسسة هو خدمة الثقافة، وخلق ثقافة متقدمة تعلي من شأن الإنسان وحريته وكرامته وحسب التفصيلات في النظام الأساسي للمؤسسة.

٣- والمؤسسة وقفية ثقافية لكل المجتمع اليمني يجب أن تدار وتمارس نشاطها في إطار الأهداف المحددة لها، ويُمنع منعاً باتاً تغيير طبيعتها أو تسخيرها لأهداف أخرى غير المخصصة لها.

٤- يدير المؤسسة ويشرف عليها ويرعاها مجلس أمناء مكون من الأخوة/أحمد علي الوادعي، أحمد قائد بركات، د/حسين عبدالله العمري، محمد أحمد الرعدي، مطهر علي الإرياني، د/يوسف محمد عبدالله، د/ناصر العولقي، وبعد وفاتي يتولى رئاسة المجلس من يختاره المجلس وإن كنت راغب على المجلس اختيار د/حسين عبدالله العمري، ولا يكون تغيير هذه الهيئة من قبل أيٍ كان.

٥- إذا تعذر على أي من أعضاء مجلس الأمناء الاستمرار في عضوية المجلس أو توفي أو عجز، يختار الأعضاء الباقون بديلاً له بطريقة الاقتراع على أن يراعى في ذلك ما يلي:

أ- أن يقبل المرشح لهذا المركز النظام الأساسي، ويعلن التزامه بأهداف المؤسسة ولوائحها في ورقة موقعة منه يعدها مجلس الأمناء لهذا الغرض.

ب- يجب أن يكون البديل من فئة الكتّاب أو الباحثين أو الأدباء الذين لهم إسهام بارز في الحياة الثقافية للبلاد.

جـ- أن يكون يمني الجنسية.

د- ألاّ يقل عمره عن ٢٥ عاماً ولا يزيد عن ٦٥ عاماً.

٦- جميع سلطاتي كرئيس للمجلس سيتولاها الرئيس المختار من المجلس غير أنه عند الصرف من أموال المؤسسة إذا زادت مبالغ المصروفات الشهرية أو في صفقةٍ واحدة عن عشرين ألف ريال، يتعين أن يوقع على أمر الصرف مع الرئيس الأخ / أحمد علي الوادعي أو من ينيبه لذلك.

٧- تم إجراء القسمة بين ورثتي جميعها وتحصل الثلث الذي أملك التصرف فيه كما أشاء في منزلي الذي أسكنه بصنعاء والواقع في الشارع الجنوبي الثاني من شارع الخرطوم يحده من الشمال منزل ومن الشرق منزل أولاد القاضي محمد عبدالله العمري، ومن الغرب منزل عبدالمنعم عبدالله الشوكاني ومن الجنوب شارع مسفلت.

وبما أن المنزل مكون من دورين وبدروم فإنني أوصي بشأنه ما يلي:

أ- أوقفت المنزل جميعه مع الحديقة الملحقة به على مؤسسة العفيف الثقافية ولخدمة أغراضها المحددة في نظامها الأساسي، وهو وقف محبس لا يباع ولا يوهب ولا يورث ومطلق غير محدد بزمن.

ب- على أنه بالنسبة للطابق الأول والبدروم لا تنفذ الوقفية بشأنهما إلا بعد وفاة زوجتي ويبقى لاستعمالها حتى يتوفاها الله مهما طال عمرها.

جـ- يتولى إدارة هذه الوقفية نظارتها الأخ الدكتور/ حسين عبدالله العمري، فإذا استحال عليه ذلك أو مات أو اعتذر عنها تولاها بعده الأخ / محمد أحمد الرعدي، ثم من يعينه مجلس الأمناء.

د- إذا أفلست المؤسسة أو استحال استمرارها على النحو الذي رسمته لها، أو تم مصادرتها فتؤول هذه الوقفية إلى جامعة صنعاء.

هـ- على ناظر هذه الوقفية المحافظة على المبنى والحرص على استخدامه بالطرق المعتادة والسليمة وترميمه وإصلاح ما يتلف منه، واستمرار توصيل الخدمات إليه من مياه وكهرباء وتليفون وغير ذلك، وكحرصه على ملكه الخاص، ولا تداخل في سلطته وسلطة مجلس أمناء المؤسسة، إذ أن ناظر الوقفية مختص بالإشراف والمفاقدة على المبنى وحسن استخدامه وضمان سلامته، وجميع المصروفات اللازمة لإقامة المبنى وترميمه واستمرار الخدمات فيه والضرائب وغيرها تكون في ميزانية المؤسسة وعلى رئيس مجلس الأمناء الإيفاء بالتزامات المبنى وما يحتاجه أولاً بأول وبانتظام.

٨- جميع الخدمات التي تقدمها المؤسسة للجمهور والمتعلقة بالمكتبة والقاعة والصالة وغيرها يجب أن تستمر على الدوام ودون انقطاع ويستفيد منها

الجميع دون استثناء غير أنه لا يجوز استغلال المؤسسة أو استعمالها لغير الأغراض المحددة لها في هذه الوصية وفي النظام الأساسي.

٩- والله شاهد وأسرتي وليعلم من لا علم له أن ما امتلكته من مال هو من مال حلال لا شبهة فيه فقد قمت بشراء وبيع قطع من الأراضي ابتداءً من عام ١٩٥٩م عن طريق المرحوم علي عاطف وبعلم أولاده وكذا بواسطة الأخ قاسم الرماح والأخ عبد الله ناصر الآنسي من الروضة عن أرضية بالروضة، والكاتب الأمين أحمد سنهوب وغيرهم، وكسبت فوائد من بيع بيتي الأول قرب نادي الظرافي، وبيع بيتي الثاني بالصافية أمام بيت قاسم الرماح، وبيع بيتي الذي بنيته عام ١٩٦٧ بمدينة تعز.

كل هذه الأراضي والبيوت هي التي كسبت منها مالاً حلالاً لأولادي وما أوقفته على مؤسسة العفيف الثقافية، ويعلم من يعرفني من إخوة وأصدقاء أنني عشت عيشة عادية لا إسراف فيها ولا تبذير ولا أتعاطى شجرة القات، بل ساهمت في تأسيس (الجمعية الوطنية لمواجهة أضرار القات) معنوياً ومادياً وإيماناً مني أن القات قد أضر باليمنيين ضرراً أعجز عن وصفه المشين.

كما أوصي زوجتي أن تصرف المساعدة التي أقدمها لبعض طلاب جامعة صنعاء في حدود أربعة آلاف ريال لأربعة طلاب لمن يرغب منهم الاستمرار حتى يتم تخرجهم من الكليات، كما أطلب من الأخوة أعضاء مجلس الأمناء الرعاية والعناية بالولد/عبدالوهاب أحمد الخياط. أما ما أملك من مال نقدي فهو بنظر زوجتي أم أولادي فتتصرف به كما أوصيتها وبمساعدة أولادي الخمسة ذكوراً وإناثاً، وأنا على ثقة من حسن تصرف زوجتي فلها الفضل الكبير على حياتي وساعدتني على نجاحي بوعي ومسؤولية جزاها الله خيراً، وأوصي أولادي مضاعفة الطاعة لها والحرص على صحتها وأحوالها.

أرجو الله أن أكون قد أصبت الخير بهذه الوصية.

كتبت تحت توقيعي وبشهادة الأخوين / أحمد علي الوادعي، وعبدالوهاب الخياط، وكفى بالله شهيداً.

الاسم: أحمد جابر عفيف

التوقيع:

التاريخ: ٢٤ رمضان ١٤١٢هـ

الموافق: ٢٨ مارس ١٩٩٢م.

نحن أبناء الأستاذ / أحمد جابر عفيف نعتز ونفخر بما ورد في هذا وندعو الله أن يطيل عمر والدنا ويمتعه بالصحة.

الاسم	التوقيع
١- خديجة " زوجة أحمد جابر عفيف "	
٢- طه أحمد جابر عفيف	
٣- هدى أحمد جابر عفيف	
٤- خالد أحمد جابر عفيف	
٥- طارق أحمد جابر عفيف	
٦- أروى أحمد جابر عفيف	

الشاهد الأول

الاسم: أحمد علي الوادعي

التوقيع:

الشاهد الثاني

الاسم: عبدالوهاب أحمد الخياط

التوقيع:

أنا أحمد جابر عفيف،مؤسس ومالك"مؤسسة العفيف الثقافية" أوصي بما يلي:

أولاً: إن " مؤسسة العفيف الثقافية " تكوين ثقافي حضاري له أهداف محددة في النظام الأساسي الخاص بها وفي وصيتي المحررة تحت توقيعي.

ثانياً: جميع موجودات وممتلكات وحقوق المؤسسة المذكورة وقفية مني، في حدود ثلث تركتي ولا تتجاوزه بحسب التقييم الذي تم عند إجراء القسمة لتركتي حسبما هو مبين في الفصول المحررة بيد أولادي، وبموافقة حرة منهم.

ثالثاً: تشمل أملاك المؤسسة وموجوداتها:

١- المبنى الذي أسكنه الآن بجميع أدواره وملحقاته والموصوف تفصيلاً في الفقرة (٧) من المادة (سابعاً) من وصيتي، وكذا جميع الموجودات بالمؤسسة من كتب وأجهزة ومكاتب وغير ذلك.

٢- المبالغ النقدية المرصودة من قبلي لحساب " مؤسسة العفيف الثقافية " في بنك اليمن الدولي ش.م.ي رقم الحساب (١٠٧١٠-٤٤١٣-٠١) صنعاء، ويتولى تنفيذ هذه الوصية بعد وفاتي مجلس الأمناء وهم الإخوة: " أحمد علي الوادعي، أحمد قائد بركات، د. حسين عبدا لله العمري، مطهر علي الإرياني، د. ناصر عبدا لله العولقي، د.يوسف محمد عبدا لله "، وعلى بنك اليمن الدولي اعتماد هذه الوصية فيما يخصه.

٣- الحقوق القانونية والشرعية للمؤسسة باعتبارها شخصاً معنوياً، والناشئة عن ممارستها لنشاطها.

رابعاً: أملاك وموجودات المؤسسة وقفية مؤبدة لا سلطان لورثتي عليها إلا في الحدود التي تضمنتها وصيتي.

خامساً: أرجو أن يكون واضحاً لدى زوجتي وأولادي جميعاً بأن إنشاء المؤسسة والوقفية التي رصدتها لها لا تتضمن ذرة غبن لحقوقهم الشرعية باعتبارهم ورثة لي، وأني راعيت في ذلك حقوقهم الشرعية، وأحطتهم علماً بما فعلت، وكان عن رضاهم الطوعي وتوقيعاتهم على الوصية.

سادساً: بما أن وقفية البيت على المؤسسة تشمل الأرضية ومبنى المؤسسة وأعلاها النادي الرياضي والدور الأرضي الذي أسكنه، وكذلك البدروم، فإن جميع ما فيها من وقفية المؤسسة باستثناء ما رأت زوجتي أن تأخذه منها عند انتقالها إلى مسكنها الخاص، بعد وفاتي إذا قدر الله أن أرحل قبلها.

سابعاً: لقد تضمنت وصيتي الشخصية، والنظام الأساسي للمؤسسة أهم ما أوصي به بشأن المؤسسة وما أؤكد عليه هنا هو:

١- إن الذي يقرر عدم صلاحية المؤسسة للاستمرار أو عجزها عن تحقيق أهدافها هو مجلس الأمناء وأولادي جميعاً.

٢- يجوز لمجلس الأمناء أن يقبلوا التبرعات العينية والنقدية التي يهبها الغير للمؤسسة بشرط ألا يترتب على ذلك تغيير طبيعة المؤسسة، أو يحيد بها عن أهدافها.

ثامناً: ما لم يرد في هذه الوصية يطبق بشأن المؤسسة نظامها الأساسي الصادر بتاريخ ١٩٨٩/١١/٢٧م، وتحت توقيعي، وكذا وصيتي الخاصة.

والله من وراء القصد،،،،

صنعاء	**أحمد جابر عفيف**
حرر في ٢٦ صفر ١٤١٦هـ -	**رئيس المؤسسة**
الموافق: ١٩٩٥/٧/٢٤م.	**رئيس مجلس الأمناء**

زوجتي العزيزة

أبنائي الأعزاء

الإخوة / أعضاء مجلس الأمناء

السلام عليكم ورحمة الله وبركاته..

إلحاقاً إلى وصيتي الخاصة بمؤسسة العفيف الثقافية، وتأكيداً بوقفي للمؤسسة وقفاً عاماً، ويشمل ذلك مبنى المؤسسة كاملاً من البدروم إلى أخر طابق، وما يحتويه من تجهيزات وأثاث ومكتبة وأجهزة كومبيوتر متنوعة وطابعات كومبيوتر وجميع محتويات المبنى، ونظراً إلى رغبة زوجتي أم أولادي في اختيارها السكن في منزلها الخاص بها وذلك بعد وفاتي.

ولما لها من فضل على نجاحي وسعادتي فقد أعطيتها الحق الكامل في نقل جميع محتويات الدور الأول السكني مثل غرف النوم وجميع الفرش والمفارش والسجاد والدواليب والصالونات، وكل ما تريده وتحتاجه بدون تحديد، وعليها وعلى أولادي تحويل الطابق الأول إلى متحف خاص كما أوصيتهم بذلك ويكون تابعاً للمؤسسة.

والجميع يعلم أن هدفي من إنشاء مؤسسة العفيف الثقافية هو تقديم خدمة متواضعة لوطني وأبنائه المثقفين، وأرجو أن تكون نموذجاً يحتذى بها.

والله من وراء القصد،،،

أحمد جابر عفيف

رئيس المؤسسة

رئيس مجلس الأمناء

١٩٩٦/١٢/١٢م

زوجتي الحبيبة

أبنائي الأعزاء

إلحاقاً بوصيتي والملحقات الأخرى

أوصيكم بما يلي:

جميع الأثاث والمفروشات والصالونات وغرف النوم وغير ذلك الموجودة بالدور الأول الذي أسكنه بمبنى المؤسسة يصبح ملكاً لأمكم العزيزة علينا جميعاً وينقل إلى منزلها.

يتولى الولد / طارق كمهندس تنفيذ ما يلي:

١- تنقل إدارة المؤسسة وأجهزة الكمبيوتر إلى الدور الأول.

٢- يتحول البدروم إلى مخازن للمؤسسة.

٣- يتحول الديوان الكبير إلى مكتب مجلس الأمناء مع طاولة كبيرة وكراسي وصالون.

٤- تتحول غرفة نومي إلى متحف يخصني.

٥- تتحول غرفة الملابس مع بقاء الدواليب إلى أرشيف لحفظ الوثائق للمؤسسة.

٦- يتحول ديوان العائلة إلى أحد مكاتب الإدارة.

٧- يتحول حجرات المنزل (القاعات) إلى متحف يضم جميع ما أملك من مخطوطات ورسوم، وصور، ونياشين، وميداليات، وأوسمة، ورسائل بخطي أو بتوقيعي، ونسخة من وصيتي، ونسخة من

الملحقات بالوصية وغير ذلك. وترتب بطريقة منظمة ومحفوظة وتعلق بالحوائط بوساطة لوحات زجاجية مغلقة بأقفال، والبعض مفروشة على طاولات تحت أسقف من زجاج مغلقة بأقفال، بحيث يشاهد أو يقرأ ذلك أي راغب أو باحث، وتنقل جميع الكتب المطبوعة إلى مكتبة المؤسسة، تحول الدواليب إلى حفظ بعض المخطوطات والتحف وغير ذلك.

٨- يتم إغلاق باب المؤسسة الحالي، ويزال الدرج الحديد نهائياً، ويغلق الباب الحديد، ويكون باب المنزل الجنوبي، وباب الحوش هو الباب الوحيد للدخول إلى المؤسسة.

٩- يعين حارس أمين للمؤسسة بضمان موثوق به، وينام داخل المؤسسة.

١٠- يتولى مجلس الأمناء جميع صلاحياته المنصوص عليها في النظام الأساسي ووصيتي الملحقة بها، وعلى أسرتي مساعدة وتسهيل كل مهام المجلس،

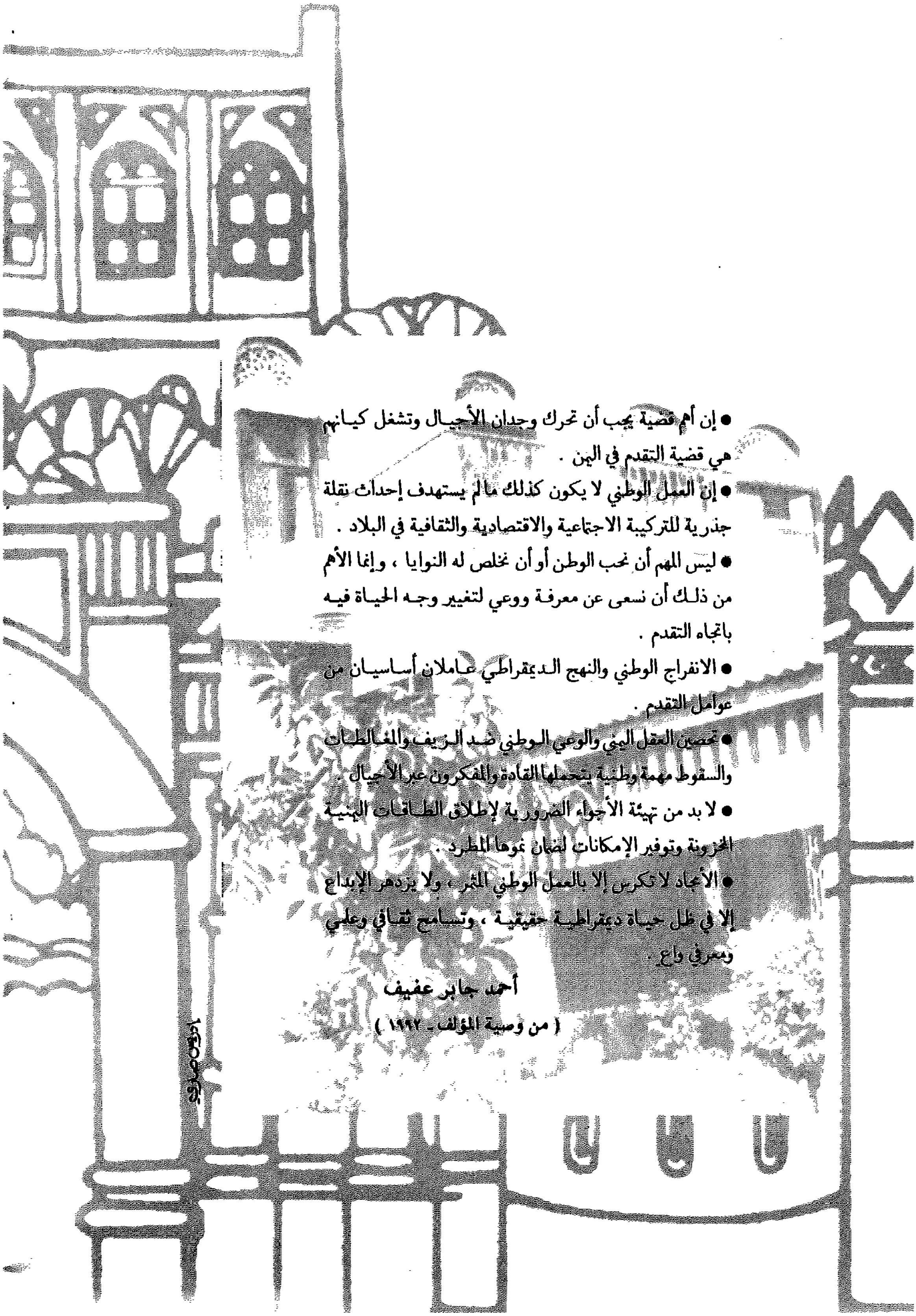
والله من وراء القصد،،،،

أحمد جابر عفيف

رقم الإيداع بدار الكتب

(85)

بتاريخ 1999/6/6م



● إن أهم قضية يجب أن تحرك وجدان الأجيال وتشغل كيانهم هي قضية التقدم في اليمن .

● إن العمل الوطني لا يكون كذلك ما لم يستهدف إحداث نقلة جذرية للتركيبة الاجتماعية والاقتصادية والثقافية في البلاد .

● ليس المهم أن نحب الوطن أو أن نخلص له النوايا ، وإنما الأهم من ذلك أن نسعى عن معرفة ووعي لتغيير وجه الحياة فيه باتجاه التقدم .

● الانفراج الوطني والنهج الديمقراطي عاملان أساسيان من عوامل التقدم .

● تحصين العقل اليمني والوعي الوطني ضد الزيف والمغالطات والسقوط مهمة وطنية يتحملها القادة والمفكرون عبر الأجيال .

● لا بد من تهيئة الأجواء الضرورية لإطلاق الطاقات اليمنية المخزونة وتوفير الإمكانات لضمان نموها المطرد .

● الأمجاد لا تكرس إلا بالعمل الوطني المثمر ، ولا يزدهر الإبداع إلا في ظل حياة ديمقراطية حقيقية ، وتسامح ثقافي وعلمي ومعرفي واع .

أحمد جابر عفيف

(من وصية المؤلف ـ ١٩٩٢)